أبجديات حواء

نورة أردوغان

السبيل

أبجديات حواء

تأليف:نورة علي أردوغان

مراجعة:عرابي عبد الحي عرابي

القياس:21.5×15.5 سم

عدد الصفحات 242 ص

الطبعة الأولى

2025م - 1446هـ

جميع الحقوق محفوظة

السبيل

من إصدارات مشروع السبيل

www.al-sabeel.net

أبجديات حواء

تأليف
نورة علي أردوغان

السبيل

الإهداء

أتوجه بالدعاء الخالص لأبي -رحمه الله- الذي غاب عني ولم يغب ما علمني إياه، ورباني عليه في حياتي. وأسأل الله أن يحفظ لي أمي الحبيبة التي ما فتئت يومًا عن دعمي في كل ما أكتب، وتقويمي بما أخطئ.

وأتوجه بالشكر الخاص لزوجي الذي كان له دور كبير في توجيهي ومتابعتي بما كنت أكتب. والشكر موصول لكل من علمني حرفًا من علوم الدنيا والآخرة، ومن كان له يد بيضاء في وصول هذا الكتاب إلى القارئ الكريم.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن هذا الكتاب هو مزيج منظم وجهد مهذب كي يبسط باختصار بعض القضايا التي تواجه المرأة، وتطرقت فيه إلى بعض الأطروحات حول تربية الطفل، وكذلك بعض القضايا الأسرية التي تثير الجدل، وتضع بعض الحلول لهذه الأطروحات التي ستجدونها في طيات السطور. سائلةً المولى أن يوفقني في هذا الكتاب لما فيه خير لي في ديني ودنياي، وأن يكون حجة لي لا عليّ.

بداية، أود لفت الانتباه إلى أن ما أقوله للنساء لا يعني أني أقف إلى جانب الرجل ضد المرأة، إذ إني أتحدث من منظور إصلاحي للطرفين. ولكني أتوجه بالحديث للنساء دائمًا انطلاقًا من تخصصي بذلك، وستجدون بين طيات الكتاب ما يخص الرجل أيضًا، ولم أنسَ الجانب التربوي. فهذا الكتاب يصحح ما أفسده منحرفو الفكر والفطرة. فإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وإن أصبت فهو من توفيق وكرم الله تعالى فله الحمد من قبل ومن بعد.

ملاحظات أود التركيز عليها

الأولى: في كتابي، حاولت الابتعاد عن الحشو حتى لا يمل القارئ، ويتيه بين الحشو والأفكار الأساسية.

الثانية: ما تجدونه في الكتاب إما جهد شخصي، أو فهمي لكتاب أو مقالة قرأتها، أو من بحث أجريته حول قضية من القضايا المذكورة في الكتاب نتج عنها موضوع من المواضيع المكتوبة، وأحيانًا تعجبني فكرة من كاتب ما، فأكتبها بتصرف.

الثالثة: نوعت الطرح في المواضيع فلم أرتبها ترتيبًا معينًا، وذلك بغرض أن يكون أكثر متعةً للقارئ، فربما تجدوني أنتقل من موضوع إلى آخر ثم أعود وأكمل ما تركته ناقصًا.

الرابعة: ربما تجدون بعض الجمل المكررة بقوالب وأساليب شتى، وما اتخذت هذا الأسلوب إلا لتثبيت الفكرة وترسيخ المعلومة، كما تعلمنا في كتاب الله القرآن الكريم.

خامسًا: أشكر كل من يعطي كتابي هذا من وقته كي يقرأه، وأعرف حق المعرفة قيمة وقت كل منكم، فجزاكم الله خيرًا -داعية الله أن يترك أثرًا في نفوسكم الطيبة-.

سادسًا: أتوجه لله تعالى بدعائي أن يتقبل هذا العمل بعد أن أكرمني بإتمامه، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون حجة لي لا عليّ، وأحمده سبحانه أن علمني ما لم أكن أعلم.

كيف أختار زوج المستقبل؟

هل يلبس ساعة أم معطف؟ كم مقاس حذائه؟ هل مَسحه جيدًا؟ يلبس جرافة أم يضع جلًا على شعره؟ ما مدى تناسق الألوان؟ كيف يتحدث، وكيف يجلس، وكيف يأكل ويشرب، وكيف يرمش ويضحك؟ وماذا أحضر معه؟ هذه أسئلة نسمعها بين كثير من النساء بعد خروج الخاطب من زيارة أهل العروس لأول مرة. وهنا تقع الفتاة المقبلة على الزواج في حيرة أمام آراء لجنة التحكيم التي ينصبها المجتمع، بناءً على معايير لا تُوزن بميزان ولا قبان! ويصبح قبول العريس مهمة صعبة عليه وعليها لتجاوز عقبات خلبية لا قيمة لها.

ومن هنا السؤال: كيف أختار زوج المستقبل إذن؟! هذا تساؤل قد لا تعتبره بعض المقبلات على الزواج مهمًا؛ حيث تكتفي بأن يعجبها شكله، وطوله، وجلسته، أو أنه يشبه أحدًا من الممثلين، أو المغنين، أو المشاهير.

هذه حقيقة متغلغلة في مجتمعاتنا، ولدى الفتيات المقبلات على الزواج. حتى إن الكثير من الأهالي -عندما يريدون تزويج بناتهم- إذا سألتهم عن مواصفات الشاب الذي يتمنونه لابنتهم، لوجدت المواصفات التي يطلبونها كلها دنيوية كما ذكرت في البداية، وكأنه مشروع لا علاقة له بالآخرة. كيف؟! وحياتنا كلها لله تعالى، وقرار مصيري مثل هذا لا يرتبط بهدفنا الذي نعيش لأجله، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فالفتاة المؤمنة بحاجة إلى زوج مؤمن ليحققا معًا العبودية لله تعالى طوال العمر.

لا يكفي أن يكون الزوج هو ذلك الشخص القادر على الإنفاق، ولا يكفي أن يتمتع بالعضلات والقوام الممشوق، ولا تكفي أي صفة دنيوية ترابية مؤقتة. فكلما ارتقى الإنسان، ركز على الأفكار والأفهام، لا سيما الصحيحة منها. الفكر الذي يجعل الإيمان بالله تعالى نبراسًا له، وينعكس على أفعاله لتوافق إيمانه. فكل ما سبق من مواصفات الدنيا يذهب، ويبقى صاحب الخلق والدين كنزًا ثمينًا لزوجته وعائلته. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إذا أتاكم مَن تَرْضون دينَه وخلقَه فأَنْكِحوه، إلا تفعلوه تَكُنْ فتنةٌ في الأرضِ، وفسادٌ كبيرٌ...)

[رواه أبو حاتم المزني، وأخرجه الترمزي].

حين تصل الفتاة إلى سن الزواج، فعلى والديها أن يعلمهَا ويحدثاها عن الزواج، وعن الغاية منه، ولماذا جعله الله سكنًا ومودة للرجل والمرأة. ومهم جدًا أن تعرف -المقبلة على الزواج- مواصفات الزوج الذي سيقاسمها بقية حياتها، وستنجب منه أطفالًا يتعاونان في تربيتهم وتعليمهم ليكملوا رحلة الحياة بتناغم وانسجام، لتتحول برضا الله دنياهم إلى جنة تمهد لجنة الآخرة بإذن الله.

وفي الحقيقة، فإن بعض الأهالي لا يعرفون أصلًا ما هي الصفات التي يجب أن تتوفر في الخاطب، حتى يعلموها لابنتهم. ومن هنا أردت الحديث حول هذا الموضوع.

إن الصفة الرئيسية في زوج المستقبل هي ما قاله النبي -عليه الصلاة والسلام-، أي الخُلق والدين. ومن هذه الصفة تتفرع جميع الصفات الحسنة. فمن تزوجت برجل صاحب خُلق، فقد فازت برجل من أكمل المؤمنين، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلقًا وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم) [رواه أبو هريرة، وأخرجه أبو داود والترمزي].

فصاحب الخلق الحسن لا يظلم زوجته بل ينصفها، ويعطيها حقوقها، ويعينها على أمور دينها ودنياها، وينصحها ويعظها، ويخاف عليها في الدنيا، ويخشى عليها من غضب الله في الآخرة، كي يكملا رفقتهما وصولًا للجنة. ستجده رحيمًا بها، ولن تسمعه يتلفظ بألفاظ سيئة، أو يهينها، أو يدعوها بما يخدش حياءها، ولن يهين كرامتها يومًا. وبالمقابل، فإن الزوجة الصالحة تتغير أحوالها بكلمة طيبة من زوجها.

كذلك زوج المستقبل، فهو رجل صادق غير مخادع. كلامه يطابق أفعاله، فلا يغش عند الخطبة بتجميل وجهه ليبدو بشكل أفضل، أو بسن أصغر، ولا يحدّث بما ليس لديه، أو يخفي سرًا عنها كزواج سابق أو وجود تشوه لديه أو مرض ما أو غيره.

**سيفيد السؤال عن الرجل في محيطه وأقرانه بشكل متنوع ومتعدد، وليس فقط من خلال سؤال أصدقائه وأقاربه الذين قد لا يشهدون بصدق واعتدال.

المراد هو اكتشاف مدى تطبيقه لدينه على أرض الواقع بمختلف الظروف، ومدى انعكاس إيمانه على أخلاقه. فالسؤال الأهم ليس لون البنطال الذي يلبسه، ولا سعره، وهل يملك بيتًا أو سيارة، بل الأهم: هل يأكل أموال الناس؟ هل يستحل ما ليس له؟ ما هي مصادر رزقه؟ هل هي معلومة ومن مصدر حلال أم من حرام؟ وهناك أسئلة عديدة تعكس أخلاق الرجل في هذا الزمان، نحتاج إلى إجاباتها مثل:

حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي، مثلًا: هل ينشر ما يرضي الله؟ هل يكتب ويشارك كلامًا طيبًا أم خبيثًا؟ هل يؤمن بما أنزل الله ويتبع الصحيح من الحديث؟ أم أنه جاهل يتبع ما لم ينزل الله به من سلطان سواء من نظريات مختلفة كالتطور وأوهام النسوية، وانحرافات الشعوذة، وغير ذلك من الأفكار الهدامة؟

ولا بد من التأكد من علاقته بالله تعالى، فرأس الحكمة مخافة الله. والتأكد من علاقته بالله تعالى إذا كانت مقطوعة أو فاسدة، فلن تستقيم علاقته بأحد من البشر. ثم كيف يكون شكل علاقته بوالديه، ورحمه، وجيرانه؟ وهل لديه معصية ظاهرة أو يجاهر بها، كالتدخين أو النرجيلة أو السهر حتى الصباح على المباريات، والألعاب، والمقاهي، والأصحاب؟

هذه أسئلة يمكن معرفة جوابها بشكل مباشر أو غير مباشر، بعضها يمكن

توجيهه من شخص حكيم ذو نظرة وبصيرة يقابل المتقدم للخطبة، وبعضها يجب السؤال عنه فيمن حول الخاطب حصرًا.

فهناك أبعاد للشخصية لا تظهر إلا على أرض الواقع، والذين يعاملونه بالدرهم، والدينار، والسفر، والحضر سيقولون لك ما لا تتوقعه سلبًا أو إيجابًا. ولا داعٍ للتكهن بالمصير والمستقبل، بل يجب الأخذ بكل الأسباب الممكنة من السؤال والتحري. ولا يغني حذر عن قدر، ولكن مع الدعاء والاستعانة بالله، ستلتقين بمن ترضين خلقه ودينه، على أن تكوني أيضًا ذات الدين التي أوصاه النبي -صلى الله عليه وسلم- بالظفر بها في حديثه: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) [رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري].

فلا تتباهي -أيتها الفتاة- بأي من الصفات الدنيوية التي لا تكون معيارًا وحيدًا لدى الخاطب المميز الذي نتحدث عنه، واعلمي أنه يبحث عن ذات الدين، وما أمكن من باقي المواصفات، كما تبحثين أنتِ عن الشروط ذاتها. فينبغي ألا نجعل محور الاختيار هو المظاهر المؤقتة التي يملكها الجميع، ويمكن أن يتحلى بها الجميع على قدره أيضًا. فقد خلق الله تعالى الإنسان جميلًا، ويؤتيه المال ويمنعه عنه، ويؤتيه النسب الرفيع ويضعه أحيانًا، ولكن من وهبه الله الخلق والدين، وثبته عليهما، فذلك هو الكنز العظيم.

فمعتدل الجمال، بخلقه ودينه، يكون أجمل البشر بعيون أهله، ويكون بكرم

نفسه، وأخلاقه، واجتهاده في دينه ودنياه بلسمًا على أهله الراضين بأرزاقهم. ولكن لا يكون -بأي حال- سيئ الخلق والبعيد عن الدين جميلًا في بيته، وجمال الإيمان لا ينعكس في قلبه. فالغم يكون مسكنه ولا ينجيه البيت الواسع، ولا السيارة الحديثة تبعده عن الهم، بل إن الحسرة مصيره ومصير أهله وزوجته.

اللهم ارزق كل فتاة زوجًا صالحًا ترى الحياة من عيونه التقية، وتأكل من كسبه الحلال، وتعيش معه على الكلمة الطيبة، والرزق المبارك الواسع وإن قل، فرحمة الله تنتشر في البيت المؤمن الذي أُسس على التقوى من أول يوم. ومع نهاية كل يوم في جلسة عائلية لطيفة، لا يبقى من مصاعب الدنيا ومظاهرها شيء.

تحرش مقبول!!

زوجة تقف في منتصف الطريق تلتقط الصور مع زوجها، فيقترب منهما مجموعة من الشباب، ويخبرونهما بأنهما لائقان ببعضها مع غمزة. هنا يُعتبر هذا تحرشًا.

فتاة ترقص في شوارع المدينة، فيقترب منها عشرة شباب، ويخبرونها بجمال رقصاتها مع حركات غير أخلاقية. هنا يُعتبر هذا تحرشًا.

عروسان في يوم زفافهما، يقترب شاب من العروس ويخبرها بأنها أجمل من عريسها، وأن الأبيض زادها جمالًا. هذا يُعتبر تحرشًا.

ولو وقع ما ذُكر سابقًا، قد يصل الأمر إلى وقوع الجرائم. ولكن الغريب في عصرنا الحالي أنه إذا كان كل ما ذُكر من ردود على صورة، أو فيديو، أو كلام على مواقع التواصل صار يُعتبر ملاطفة لا تحرش، وذوقًا لا تحرش، وأتيكيتًا لا تحرش، ويكون أيضًا برضا وقبول الطرف المعني، وإبداء الشكر الجزيل للمعلق.

التحرش وقلة الأخلاق هما واحد، سواء على مواقع التواصل الاجتماعي أو في الواقع. فالدين يقول: «لا ينبغي للأنثى أن تقبل أو تسمح بالتغزل بها من أي شاب أجنبي، ولا الرجل يقبل بذلك». لكن الأمور انقلبت في أيامنا هذه، وما كنا نرفضه ونعتبره رمزًا لقلة الأخلاق والبذاءة بالأمس، أصبح اليوم أتيكيتًا وملاطفة.

الرجل مهم في حياة المرأة

تحدثتُ مع صديقة كانت متزوجة وانفصلت عن زوجها، وعاشت فترة طويلة دون زواج كي تربي أولادها، وحالها ميسور. قالت: «والله مهما حاولت المرأة إظهار قوتها، وأنها تستطيع قضاء كل حوائجها دون الحاجة لرجل، فإن الحقيقة غير ذلك. الرجل في حياة المرأة لا يمكن تجاهله، ولا يمكن التأقلم على عدم وجوده، أو أخذ دوره بالكامل.

إذ توجد مشاعر بوجود الرجل بجانب زوجته لا يمكن للمرأة وصفها. فالقوامة والطاعة التي تذمها الكثير من النساء الآن، أشعر بها كأنها بر أمان. خدمة

الزوجـة لزوجهـا ليسـت عـارًا كـما يُصـور، ولا عيبًـا، ولا نقصًـا مـن قيمـة الزوجـة. بالعكـس؛ إذ تشـعر الزوجـة بأنوثتهـا عندمـا تعتنـي ببيتهـا، وبنفسـها، وبأولادهـا.

نحـن النسـاء دون رجـال ببسـاطة كالسـمكة دون ميـاه، وهـذا مـا أشـعر بـه بـكل صـدق. لا تشـوهوا منظومـة الـزواج بـزواج فاشـل تعـرض لـه أحـد الطرفـين، كـما أن الديـن لا يمكـن تشـويهه بإسـاءة بعـض مدعيـه.»

اختيار زوجة المستقبل

عليـك أن تعلـم -في الوقـت الـذي تقـرر فيـه الـزواج وبنـاء أسرة مكونـة مـن أب، وأم، وأطفـال- أن الاختيـار الدقيـق لمـن ستقاسـمك حياتـك هـو أهـم عامـل مـن عوامـل بنـاء أسرة منسـجمة ومسـتقرة. فالزوجـة عمـود أسـاسي -بعـدك- لإقامـة عائلـة مسـتقيمة وسـعيدة.

إذا كان اختيـارك للزوجـة قائمًـا عـلى أسـاس الجـمال فقـط، دون الأخـذ بالنقـاط الأساسـية التـي يجـب أن تتوفـر فيهـا، فهـذا لا يعنـي بالـضرورة أنهـا مناسـبة، وعاقلـة، وتسـتطيع التعامـل معـك، ومـع أطفالـك في المسـتقبل، أو مـع أهلـك، أو حتـى مـع مجتمعـك.

تتطلـب عمليـة اختيـار الزوجـة منـك التفكـير، والتـأني، والسـؤال المفتـش عنهـا وعـن

أهلها، إلى جانب استشارة الأشخاص الذين تثق بهم، ممن يعرفونها. ولا ننسى الاستخارة التي أُمرنا بها. فإذا كان اختيار الزوجة قائمًا على أساس الجمال فقط، فلا بد أنه سيذهب في دهشة الجمال، وتتجلى معه العقبات الغائبة عن الفكر. وسيعيش الرجل والمرأة معًا في حالة من التشتت، وعدم الطمأنينة والاستقرار، وربما عدم الانسجام، مما قد يؤدي إلى الانفصال، وتشريد الأطفال.

عند التقدم لفتاة، يجب عليك التأكد من صفاتها ونشأتها في البيت الذي تربت فيه، ومن أخلاقها، وعلاقتها بربها، ومحافظتها على صلاتها؛ لأن هذه التفاصيل هي ما ستجعلك سعيدًا في حياتك معها أو تعيسًا. ولا تنسَ أن للزوجة الصالحة دورًا مهمًا وأساسيًا في جعل البيت مليئًا بالسعادة، بل إنها -والله- أفضل السعادات في هذه الدنيا، وهذا ما أكده نبينا الكريم -صلى الله عليه وسلم- حين قال: (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ) [رواه عبد الله بن عمرو، وأخرجه مسلم].

ليس شرطًا وجود علاقة حب تجمع الطرفين من قبل الزواج. فالمحب أعمى لا يرى مساوئ المحبوب، ولن تقع الصدمة قبل الزواج وإنما بعده. حيث سيكتشف الطرفان أن الحب الذي قضيا فترة من حياتهما، وهما يجريان من أجله لا يشبه الحب الذي سيعيشانه بعد الزواج. فالزواج منظومة وعلاقة لا تشبه أي علاقة أخرى، لها شروطها وأسسها، وكل طرف خصه الله بواجبات وحقوق لن تجدها في أي علاقة أخرى.

إذا كانت البنت عزباء، أو مطلقة، أو أرملة، أكبر منك أو أصغر، وقد وجدت فيها الصفات التي تريدها، وحجم الفروقات بينكما منطقي، فلا تفكر إذن بنظرة المجتمع لك؛ لأنك عندما تتزوج بشابة تناسب المجتمع، فكن متيقنًا أن ذلك لن ينفعك، ولن يزد من مقدار سعادتك. فلا تجعل بعض الأمور الاجتماعية عائقًا للزواج من الفتاة المناسبة، ولنا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة. فقد تزوج البكر، والأرملة، والمطلقة، والتي تكبره سنًا، والتي تصغره أيضًا.

ذلك الشاب الذي أقصى ما يطمح إليه زوجة جميلة فقط -دون الالتفات لعقلها أو دينها- عليه أن يضع في حسبانه أنه عليه الرضا بسوء خُلقها، وجهلها في التربية، وإسرافها، وألا يندب حظه ويلطم، فهذا نتيجة ما سعى له قبل الزواج. فإن كانت المرأة جميلة وذات أخلاق طيبة، فبها ونعمت، أما إن كانت جميلة مع سوء الخلق أو فحش اللسان على الزوج وأهله، فلا تحترمهم، فما نفعُ الجمال حينها؟

أيها المقبل على الزواج، حين تجد الزوجة المناسبة، لا تنسَ أن تحرص على أهم أساسيات الحياة، وأهمها توفير الأمن النفسي للعائلة بشكل عام من طرفك وطرفها. فكما أنه مطلوب منها أن تقدر مشاعرك وتعرف حق قوامتك، تذكر أن المرأة بحاجة لأن تشعر أنك تقصد الاستقرار والديمومة معها، فتكون المحور الأساسي لحياتك، فتسكن وتطمئن.

نسمع بعض المقبلين على الزواج من الشباب يتساءلون: لماذا يوصيني كل من حولي بالزواج من المتدينة؟ ألا يمكنني الزواج من فتاة تصلي ولكنها غير متدينة؟ ببساطة؛ لأن المتدينة أرعى لحقوق الله تعالى، وحقوق زوجها وبيتها وأولادها. لكن لا يعني هذا إغفال باقي المعايير كالحسب، والنسب، والجمال. وبنفس الوقت، لا يكون هذا الأمر محور الاختيار، فيجب أن تقبلها عينك ويكون جمالها محببًا إليك، لا أن ترفضها وتنفر منها. ولا تطلب المثالية في كل الصفات، فإن منال ذلك صعب فالكمال لله وحده.

لعلك سمعت بمقولة: «أعزب وأفتخر»، وهي شعار يستخدمه بعض الشباب الذين يعبرون عن إمكانية الاستغناء عن الزواج، أو أنهم غير مستعدين لتحمل مسؤوليات الزوجة والأطفال. وكثير من هؤلاء يرون أن النساء بطبعهن خبيثات أو مزعجات، وهذا منطق غير سوي. وهذا التعميم فيه من العمى ما فيه، لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إذا قال الرجلُ هلكَ الناسُ فهوَ أهلَكُهُمْ) [رواه أبو هريرة، أخرجه مسلم]. فلا يُعقل وصف كل النساء بالسلبية، بل إن هناك الكثير من النساء الخيرات والطيبات المتدينات الخَلوقات الحافظات لسمعتهن، كما أن هناك الكثير منهن على خلاف ذلك، وهناك الكثير من الرجال الطيبين الخَلوقين المتدينين، وكثير منهم على غير ذلك.

وهنا يقع على عاتق الرجل الطيب البحث والسؤال عنها ليصل إليها. فإن لم يجدها، فلا ضير بالقول: «الوحدة خير من جليس السوء». نعم، لا تتزوج

السيئة، ولكن غيّر المحيط الذي تبحث فيه حتى يكرمك الله بالوصول لصاحبة الخلق والدين التي تعينك في إكمال نصف دينك.

فلكل شاب مقبل على الزواج، اعمل بوصية النبي -صلى الله عليه وسلم-، وابحث عن الزوجة التي تناسبك وتصلحك، واجعل أول معاييرك حُسن دينها وخلقها. ففي الصحيحين، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَداكَ.) [رواه أبو هريرة، أخرجه البخاري]. ولا تنسَ أن في المرأة الصالحة سعادة الدنيا، وأنها قادرة على جعل الحياة قطعة من الجنة -كما يقال-.

رزق الله كل أعزب زوجة صالحة تملأ عليه حياته سكنًا وأمانًا، فيعيشان بتراحم، ومودة، ومحبة، وأن يعمر الله بيوتنا بالحب، والسعادة، والإيمان.

معاناة النساء في ظل فقدان الحقوق الأساسية

كنت في حديث مع سيدة مطلقة تقدّم لخطبتها رجل، وكنا نتحدث حول هذا الموضوع، فقالت لي هذه العبارة كما كتبتها: «طاير عقلي أني رح أتزوج واحد بيشتغل. كلمة «رايح عالشغل» أو «راجع من الشغل» وقعها على قلبي أكثر من كلام الغزل والحب، لأني كنت مفتقدة هذا الشعور.»

هـذا نموذج عـن معانـاة الكثـير مـن النسـاء اللـواتي يعشـن مـع أزواج عاطلـين عـن العمـل، تاركـين زوجاتهـم محتاجـات لـكل صغـيرة وكبـيرة في بيوتهـن، ورغـم تقصيرهـم معهـن ماديًـا تجـد أخلاقهـم متدنيـة مـع زوجاتهـم وأولادهـم. الرجولـة لا تكـون فقـط بالشـارب في الوجـه؛ فعندمـا يجعـل الرجـل زوجتـه في حاجـة لأقـل متطلباتهـا هـي وأولادهـما، وهـو قـادر عـلى العمـل وإشـباع أهـل بيتـه، هنـا يجـب أن يعـرف أنـه محاسـب، وأن لا مفـر لـه يـوم القيامـة حينـما يسـأله اللـه تعـالى عـن حقـوق أهـل بيتـه.

تشويه منظومة الزواج

منـذ أقـدم العصـور وفي الأديـان التـي اعتنقهـا البـشر كافـةً، كان ومـا زال عقـد الـزواج أقـدس عقـد يمكـن أن يربـط ذكـرًا بأنثـى. وحـين كان الإسـلام معنيًّـا بـكل شـؤون الإنسـان، فقـد أولى اهتمامًـا خاصًـا وكبـيرًا لهـذا العقـد، فابتـدأ بوصفـه بالميثـاق الغليـظ، فقـال تعـالى: ﴿...وَأَخَـذْنَ مِنْكُـمْ مِيثَاقًـا غَلِيظًـا﴾ [النساء: ٢١]، وأفـرد لـه جملـة مـن الأحـكام والتشريعـات الضابطـة.

إلا أنـه في الآونـة الأخـيرة، خاصـةً في ظـل مـا يشـهده العـالم مـن انفتـاح عولمـي وسـيطرة النظـرة الماديـة والمقاييـس الرأسـمالية عـلى المجتمعـات وحيـاة الأفـراد، بـات التشـويه يلحـق بمنظومـة الـزواج، فلـم يعـد الـزواج سـهلًا ميسرًا، ولا يمثـل أولويـة لـدى الشـباب ذكـورًا وإناثًـا، بـل صـار قيـدًا وعبئًـا عـلى النفـس.

فأصبحنا نرى شبابًا قد تخطوا الخامسة والثلاثين أو حتى الأربعين من عمرهم، ولا يخطر ببالهم أن يتزوجوا، وذلك لأن النظرة المادية والأعباء التي أثقلت كاهل الحياة الزوجية لم تعد بمقدورهم. فانتشرت ظاهرة عزوف الشباب عن الزواج في كل المجتمعات تقريبًا.

مما ساهم أيضًا في تدهور الوضع، وما تُقره القوانين الوضعية من تشريعات جديدة تطل علينا بين الحين والآخر بمسميات تسيء للزواج، مثل موضوع زواج القاصرات. فالشاب والفتاة يُمنعان قانونًا من الزواج تحت سن الثامنة عشر في كثير من البلدان، مع أنه يُسمح لهما بممارسة العلاقات المحرمة بمجرد البلوغ.

وكذلك نرى أن حلم الأمومة بات كابوسًا يؤرق بعض الفتيات بعد أن كان يراودهن منذ نعومة أظافرهن، حين أَنِسَت الطفلة بممارسة دور الأم مع دميتها. فما عادت ترغب في الأمومة لتصورها أنها العائق أمام وصولها إلى ما يسمونه «تحقيق الذات» الذي يكون وفق معايير لا تمت بصلة لدينها، وبعيدة كل البعد عن الأسس التي أقرَّتها الشريعة لبناء نفس سوية زكية.

وبعض من فكَّر بخوض تجربة الزواج بعد أن استقى من الإعلام تصوُّرًا مخادعًا وهميًا للزواج، فقد لعب الإعلام دورًا كبيرًا في زراعة الأحلام الواهمة والخيالات الرومانسية لدى الشباب والبنات التي لا تمت لواقع الحياة بصلة، فتأججت لدى بعضهم مشاعر، وعواطف، وتوقعات عالية من الطرف الآخر، وظنًّا مزيفًا أن في الزواج تنفيسًا عن الرغبات، وحلولًا للمشكلات النفسية، وإصلاحًا لكل

خلل في الذات. والمثل المعروف عندنا حين نقدم النصح لأم شاب طائش ليعدل ابنها عن طيشه، فيُقال لها: «زوجوه، بيعقل».

وما إن تدور عجلة الحياة بهم حتى يبدأ الاصطدام بين الواقع، وتلك الخيالات الناشئة عن المسلسلات والأفلام الهوليوودية البعيدة كل البعد عن مسار الحياة والمسؤوليات الزوجية.

فينشأ الصدع في البيوت والجفاء بين الزوجين، وصارت تُستبدل علاقات عابرة وبطولات وهمية في أروقة برامج التواصل أو مع زملاء العمل بحياة السكينة والمودة، وبات الطلاق أسهل حل لكل مشكلة مهما عَظُمَت أو صَغُرَت بين الزوجين.

وتأتي النسوية لتزيد الطين بِلَّة، إلا أنها هذه المرة تظهر بِحُلَّة جديدة بحجاب وعباءة، وطاقية ولحية، لتقول: «حان وقت الانتصار للمرأة وتخليصها من قيد الزواج الذي كبَّلها لسنوات».

فتنبثق مفاهيم النسوية على أيدي بعض من يدعون الفقه والعلم بالدين، بأنهم اطلعوا على ما أخفاه أهل الدين من أحكام شرعية، فبدؤوا بدسّ السم بالعسل. فهم لا يهاجمون صريح القرآن ولا ما ثبت من السنة، بل ينخرون في الفقه بادعاء أحكام جديدة لم يصل إليها الفقهاء من قبل، ويحطّون من شأن العلماء والآراء الفقهية، بدءًا من الأحكام الخاصة بالمرأة مثل أحكام الحجاب،

والزينـة، والعمـل، والسـفر، وصـولًا إلى مفاهيـم الطاعـة للـزوج، والقوامـة، وغيرهـا.

ولا غرابـة في أن تنجـرَّ بعـض النسـاء خلـف هـذه الدعـوات، وحـين يـأتي الخطـاب النسـوي ممـن يدعـي العلـم الشرعـي لينبـش جروحهـنَّ، ويبُـثّ فيهـنَّ السـموم عـلى أنـه إنقـاذٌ لهـنَّ، ورفـعٌ للظلـم عنهـن، فـإنّ ذلـك يلامـس جراحهـن، ويدفعهن للمسير خلـف الأفـكار النسـوية.

والعجـب أن هـذه الدعـوات تصـور الفقـه بأنـه ذكـوري، وأن الشريعـة ميالـة للذكـور عـلى حسـاب الإنـاث، ومعطـاءة للـزوج حقوقًـا تجعلـه يـأسر الزوجـة تحـت سـلطته، مـما ينعكـس عـلى النفـوس بالنفـور مـن الديـن كلـه، وليـس البعـد عـن الـزوج فقـط. فتسـعى الفتـاة حينهـا لتحقيـق الانفصـال والتخلـص مـن هـذا القيـد، فيكـون طلاقهـا وهـدم بيتهـا أولويـةً مرجـوةً، ثـم انطلاقهـا متحـررة هـو الهـدف الأسـمى.

إن الـزواج نعمـة مـن نعـم اللـه علينـا وآيـة مـن آياتـه في الخلـق: ﴿وَمِـنْ آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـمْ مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ أَزْوَاجًـا لِتَسْـكُنُوا إِلَيْهَـا وَجَعَـلَ بَيْنَكُـمْ مَـوَدَّةً وَرَحْمَـةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِـكَ لَآيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ﴾ [الـروم: ٢١].

شرّعـه اللـه تلبيـة لرغبـات وحاجـات في النفـوس البشريـة، وجعـل قوامـه المـودة والرحمـة، وأناطـه بحقـوق وواجبـات كان عـلى كل مـن الزوجـين توطـين نفسـيهما عليهـا قبـل أن يصطدمـا بمسـؤولياتهما. فتزكيـة النفـس ووضـوح الأهـداف مـن الأولويـات التـي تسـبق الـزواج، فتنعكـس عـلى كل تفاصيـل الـزواج بـدءًا مـن اختيـار

شريـك الحيـاة وصـولًا إلى حـل أعظـم الخلافات الزوجيـة، لتكـون الطمأنينة والسـكينة هـي الحبـال الممـدودة بـين أطـراف البيـت الواحـد كـما أراد اللـه أن يكـون، فيغـدو نـواة مجتمـع صالـح، وحصنًـا للأبويـن وأطفالهـما مـن كل سـوء.

وعندمـا أُسـلط الضـوء عـلى هـذه الظواهـر، فهـذا لا يعنـي أننـي أنكـر الظلـم الواقـع عـلى المـرأة في بعـض البيـوت التـي بَعُـدَت عـن طريـق الحـق، وتقـوى اللـه، والخشـية منـه. فظلـم الـزوج لزوجتـه بأبشـع صـورة، وأكل حقوقهـا، وهضمهـا، وتسـلّطه عليهـا يعـد ظلـمًا مرفوضًـا شرعًـا وعقـلًا، حتـى وإن تغافلـت عنـه المجتمعـات، وقـصرت يـد المـرأة عـن ردّه عـن نفسـها.

لكـن تشـويه مفهـوم الـزواج، وتأطـيره ضمـن الإطـار المـادي، وجعـل مقاييـس المـال، والجـمال، والشـهرة أسـاس التعـارف والارتبـاط بـين الزوجـين، إضافـةً إلى غـلاء المهـور، وارتـكاب كثـير مـن المحرمـات في ليـالي الزفـاف، والسـعي للكـمال في متطلبـات الحيـاة الزوجيـة بـكل مـا فيهـا، وصـولًا إلى بغـض الشريعـة بأحكامهـا التـي سـنَّها اللـه -وهـو الأعلـم بمـا يصلـح حـال النـاس- قـد غـدت أسـبابًا رئيسـية لهـدم البيـوت، فأتعبـت الـزوج وأرهقـت الزوجـة.

ثـم إن مـن أهـم مفاتيـح الإصـلاح هـو الوعـي بفداحـة وعظـم مصيبـة اسـتمرار الشـباب والنسـاء في العـزوف عـن الـزواج، وانتشـار الطـلاق في المجتمعـات بتشـجيع العابثـين. ومـا تشريـع زواج الشـواذ إلا نتيجـة مـن نتائـج مـا سـبق، ومـا مجتمعاتنـا

ببعيـدة عنـه، وستشـهد السـنين المقبلـة انتكاسـة حقيقـة في الـزواج إن اسـتمر الوضـع بهـذا السـوء.

كذلـك إدراك الوالديـن لخطـورة مـا يطـرح في الإعـلام، وفسـاد الشاشـات التـي بـين أيـدي أبنائهـم يشـكل أساسًـا في تصحيـح النظـرة للحيـاة الزوجيـة، ولا نغفـل عـن أهميـة تزكيـة النفـس لـدى الأب والأم، وتذكّـر الغايـة مـن الوجـود عـلى هـذه الأرض، حتـى يشـكّل ذلـك سـببًا للعـودة إلى فتـح بـاب الحـلال وتيسـيره ليصعـب الحـرام، فيقـلُّ تأثـير مـا يُشـحَن بـه الشـباب والفتيـات من عواطـف بصـور، وأفـلام، وإيحاءات بـكل مـكان، بحيـث لا يُنَفِّـس المـرء عـن نفسـه بالمحرمـات والتفاهـات.

لا بـد مـن العـودة لأحـكام الديـن القويـم، ورفـض أي ظلـم يقـع عـلى الزوجـة أو الـزوج هـو مطلـب شرعـي وغايـة حفظهـا الإسـلام، وذلـك يوجـب عـلى الدعـاة وأهـل الديـن تبيـان الحقـوق، وتوضيـح أن الركيـزة الأساسـية للـزواج هـي المـودة والرحمـة. فنحـن لا نخبـئ الشـمس بغربـال، ولا نختفـي خلـف أصابعنـا حيـال صـور الظلـم التـي تشـهدها مجتمعاتنـا بـين الحـين والآخـر مـن أزواج أوقعـوا أشـنع الجرائـم بزوجاتهـم مختبئـين تحـت غطـاء الشريعـة كـما يدعـون.

فالفقـه ليـس عصًـا بيـد الـزوج ينهـال بهـا عـلى زوجتـه متـى شـاء، بـل هـو مضبـوطٌ بالأحـكام التـي تجعلـه متسـقًا مـع مقاصـد الديـن، قبـل أن يفكـر الإنسـان أصـلًا في طـرق بـاب أهـل المـرأة للـزواج. فالأحـكام مسـتقاة مـن القـرآن والسـنة النبويـة،

وليست تابعة لذكورة ولا أنوثة. والفقه لا يميل للرجل أو للمرأة؛ فهو اجتهادٌ وتشريعٌ ليس تابعًا للجنس أو الهوى، بل مستمدٌ من النصوص والأحاديث النبوية.

وإن أي فهم لبشر يعارض القرآن وصحيح السنة قابلٌ للرد. ومقولة الإمام مالك في هذا عظيمة، حيث قال: «كلٌّ يؤخذ منه ويرد عليه، إلا صاحب هذا القبر» (يقصد سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-).

ومن عداه يمكن أن يخطئ ويصيب، ومرده إلى الكتاب والسنة. وأما الدين فقد كَمُلَ، فلا حاجة لنا بنصوص وتشريعات علمانية غربية لنأخذ حقوقنا من خلالها.

تجارة الشرف في عالم التواصل الاجتماعي

كلمة «بيع العرض والشرف» قد تبدو غريبة أو كبيرة أو نادرة، وهذا صحيح. لكن، للأسف -في زماننا- لا تزال هذه المسميات كبيرة، بينما الأفعال على الواقع تتجاوز ذلك بكثير. سأخبركم كيف.

هل تعلمون أن هناك من تجري بثًا مباشرًا، أو مُسجلًا تافهًا، وذا محتوى فارغ على وسائل التواصل الاجتماعي، وتستقبل من الشباب الهدايا التي تُثمّن

جهودهـا؟! إنهـا هدايـا أونلايـن تُحوّلهـا التطبيقـات إلى حسـاباتها البنكيـة، وهـي أمـوال تعيـش بهـا مـن قلـة الـشرف، وذلك مقابـل الخضـوع بالقـول والتظـارف. حيث إنهـا ترتـزق بإباحـة خصوصيتهـا لمـن هـب ودب، وقـد حققـت أرباحًـا للتطبيقـات مـن خـلال أنوثتهـا. وهكـذا تـدور عجلـة الكسـب مـن الأعـراض، مـع دعـم بعـض الأهـالي الذيـن يتعايشـون بهـذا الأسـلوب الرخيـص.

إن مسـألة بيـع العـرض والـشرف عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي ليسـت مجـرد ظاهـرة عابـرة، بـل هـي أزمـة مجتمعيـة تعكـس حالـة مـن الضعـف في الأخـلاق وجهـل بالديـن. فالكثـير مـن الفتيـات والشـباب -تحـت حجـة الضغـوط الاجتماعيـة، والرغبـة في كسـب المـال السريـع- يفتنـون بهـذه الأنشـطة التـي تبـدو سـهلة ومربحـة، لكنهـم لا يدركـون العواقـب السـلبية التـي قـد تترتـب عـلى ذلـك.

لم يلهـث الشـباب والفتيـات فقـط وراء هـذه التفاهـات لكسـب المـال بـل صـار أيضًـا كبـار السـن يشـاركون بهـذه البرامـج وكأنهـم يراهقـون مـن جديـد، فمثـل هـذه الأنشـطة يمكـن أن تـؤدي إلى الابتعـاد عـن الديـن، وتـآكل القيـم والأخـلاق. فمـن خـلال الانخـراط في عـالم الشـهرة الزائفـة، يفقـد الأفـراد الكثـير مـن هويتهـم الحقيقيـة، ويصبحـون رهائـن لـلآراء العامـة وضغـوط المجتمـع الافـتراضي. فالتظاهـر بالسـعادة والنجـاح عـلى منصـات التواصـل الاجتماعـي لا يعكـس الحقيقـة، بـل قـد يكـون غطـاءً لإخفـاء الألم والنـدم.

علاوة على ذلك، فإن دعم هذه الأنشطة أو الانخراط فيها يمكن أن يؤثر سلبًا على العلاقات الأسرية والمجتمعية. فبدلًا من أن تكون الأسرة حصنًا للأخلاق والقيم، قد تتحول إلى ساحة للتنافس والخداع، حيث يسعى كل فرد فيها للحصول على أكبر عدد من المتابعين أو الهدايا.

ولذلك، من المهم أن نعيد التفكير في دور وسائل التواصل الاجتماعي في حياتنا. بدلًا من استخدامها كوسيلة للتسويق للذات عبر عرض الخصوصيات، كما ينبغي أن نستثمرها في نشر الوعي وتعزيز الأخلاق. ونستخدم هذه المنصات لمشاركة التجارب الإيجابية، ودعم قضايا هادفة تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

يجب كذلك تذكر أن الشرف والعرض هما جزء من ديننا، وهويتنا، وثقافتنا. فلا بد من الحذر جيدًا من فتنة هذه الوسائل، سواء الناشر أو الداعم أو المشاهد، فالداعم عليه وزر كبير؛ فهو من يساعد هؤلاء المفسدون بالاستمرار في نشر الفساد والتفاهات، ناهيك عن أن يكون المرء ممن ينفق أمواله على مثل هذا أو يكسب منها. فسيسأل الله تعالى كل امرئ عن ماله: من أين اكتسبه وأين أنفقه.

طاعة الزوج قيمة وليست عارًا

بعض النساء يعانين من انفصام -برأيي- كونهن نساء ولا يردن أن يكن كذلك.

عن نفسي -كامرأة- لم أشعر يومًا أن طاعتي لزوجي عارٌ يعتليني، ولا أن طاعتي تنكد حياتي. على العكس، تشعرني طاعتي له بقوامته، وبوجود مدير لحياتي، وحياة عائلتي يديرها بما فيه حكمة لمعيشتنا، حتى ولو اختلفنا على قرار ما، فأنا مقتنعة بأنه هو المدير، وبطاعتي له سيكرمني الله ويرضى عني. لم أخرج من بيتي يومًا بفضل الله حتى ولو إلى جارتي التي تسكن وجهًا لوجه باب بيتي دون أن أستأذنه، ولم أشعر أن استئذاني قد قلل من قيمتي، بل على العكس، أكون مطمئنة ومرتاحة البال.

أطبخ، وأكنس، وأربي أولادي، وأطيع زوجي، وأبحث عن كل ما يريحه. لم يكن كل هذا بالنسبة لي إلا صمام أمان للبيت والعائلة. أقلق إن قلق، وأحزن إن حزن، وأفرح لفرحه؛ لأني لا أنظر لعلاقتي به إلا برحمة وود، لا بتنافس وحرب.

إن العلاقة الزوجية، إن بُنيت على ما يرضي الله تعالى، ستسكن السعادة والراحة تلك البيوت. لا تسمعوا ولا تقرؤوا لمن تشوهت فطرتهم وعقيدتهم، حتى صاروا مع شياطينهم يتساوون.

أخطاء زوجية مدمرة!

هناك بعض التصرفات التي تسبب المشكلات الزوجية، والتي يقع فيها كل من المرأة والرجل بعد الزواج:

- تخيُل الحياة الزوجية على أنها خالية من الهموم، والمشكلات، والضغوطات المالية والاجتماعية والنفسية.
- وضع كل طرف الآخر في مكانة المعصوم؛ فكل منهما يتوقع من الآخر الكمال في جميع التصرفات، مع العلم أن الكمال لله وحده، فعند أول ذنب يقترفه أحدهما بحق الآخر، يُصاب بخيبة أمل كبيرة.
- اعتبار أهل كل طرف أعداء لهما، والظن بهم أنهم يكيدون المكائد لكل منهما ليل نهار.
- تواصل الرجل مع قريباته من النساء والمزاح معهن، فابنة عمك، وابنة خالك، وزوجة أخيك جميعهن قد يكن سببًا في خلافكما، وكذلك المرأة تواصلها مع أقاربها من الرجال، سواء كان زوج أخت أو ابن عم، من الممكن أن يحول البيت إلى بركان معرض للانفجار في أي لحظة بسبب الغيرة، طبعًا إذا تحدثنا فقط من منظور اجتماعي وليس ديني.
- المشكلات التي تخرج من بين الزوجين يصعب حلها، بينما التي لا تتعدى عتبة بيتهما من السهل الوصول إلى حل يرضي كليهما.

فن التعامل مع الزوج

سبحان الذي خلق الحياة من ذكر وأنثى، وجعل لكل طرف ميلًا فطريًا للطرف الآخر، ووضع لهذا الميل قانونًا يحكمه، فصله كتابه وسنة نبيه. وجعل أعظم ما في هذا القانون بناء الأسرة بالزواج، ولضمان المودة بين الطرفين، جعل لكل طرف حقوقًا على الآخر.

فكيف تتعامل الزوجة مع زوجها؟

التعامل مع الزوج فن يمكن للمرأة أن تتقنه لتعيش بدفء، وأمان، وراحة معه. فمن المهم أن تتعلم الزوجة وتقرأ في فن التعامل مع زوجها، وأن تبحث عما يحب ويكره منذ بداية عقد قرانهما؛ لأن عدم المعرفة قد يؤدي إلى الوقوع في الكثير من المشكلات. فالرجال ليسوا متشابهين في شخصياتهم، إذ لكل رجل شخصية تختلف عن الآخر، وليس بالضرورة أن يكون زوجك نسخة عن والدك أو أخيك، حتى لا تنصدمي فيما بعد.

لكن هناك صفات يجتمع بها تقريبًا جميع الرجال، وهي محبة تقدير الزوجة لزوجها. وحينما يكون مُتعبًا أو يعاني من بعض المشكلات في عمله، فكوني متأكدة أن نقاشك معه في أي موضوع لن يأتي بأي نتيجة ترضينها. لذلك، اختاري الوقت المناسب لمناقشة أي موضوع أو شكوى.

عندما تزوجت، أُوصيت بوصية لا أنساها ما حييت، وهي: «لا تكوني أنت وهموم الدنيا على زوجك، بل كوني أنت وزوجك على هموم الدنيا.» هذه الجملة تركت أثرًا كبيرًا في حياتي، وفي تعاملي مع زوجي، وصرت أوصي كل متزوجة بها؛ لأن الزوجة لها أثر كبير في حياة زوجها. فإن كانت داعمة له ومشجعة، نسي أكبر همومه، وإن كانت العكس، زاد الهم والحمل عليه أضعافًا مضاعفة.

الكثير من المتزوجين يشتكون من الملل حتى يصل بهم الأمر إلى أن حياتهم الزوجية تموت تدريجيًا. لذا يمكن للمرأة أن تضع خططًا ومواضيعًا مشتركة بينها وبين زوجها، كبرنامج يتابعونه بشكل يومي أو كتاب تقرأه الزوجة، وتتناقش مع زوجها بأسلوب بسيط ومشوق عما قرأت. كما يمكن تخصيص ساعة مسائية مثلًا لزيارة الأقارب والأصدقاء أو السير معًا. كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا جاء الليل يسير مع أمنا عائشة -رضي الله عنها- ويتحدث معها.

يمكن أيضًا المشاركة في الأحاديث خلال جلسة لشرب الشاي أو القهوة. ويجب على الزوجة البحث عن أساليب وأفكار يحبها زوجها، فهذا يكسر الملل الذي يعاني منه الأزواج عادة. ليس بالضرورة أن تتناسب كل الأفكار التي ذكرتها مع كل الأزواج، فالمرأة هي القادرة على تقييم ما يلفت نظر الزوج وما يشدّه نحوها. مع العلم أن هناك نساء يعانين من طول مدة عمل أزواجهن، حتى يكاد الزوج لا يرى زوجته ولا يرى أولاده، وهنا يقع على عاتق الرجل التخفيف من ساعات العمل ما أمكن، فزوجتك لها حق عليك وكذلك أبناؤك.

لا يخلو بيت من المشكلات، فهي ملح الحياة كما يُقال، لكن الذكاء يكمن في حلها لضمان استقرار العائلة قدر الإمكان. إذ يجب أن تقوم العلاقة على أساس ودي متراحم، وعدم تمسك كل طرف بوجهة نظره لإثبات صحتها للطرف الآخر؛ لأن الحياة بين الزوجين ليست قائمة على إفحام الطرف الآخر، بل على الود والرحمة. كيف تُحل المشكلة؟ يجب عدم تركها تتراكم حتى ينفجر أحد الطرفين في وجه الآخر، فكلما تراكمت الخلافات كبرت الفجوة بين الزوجين. لذا، المصارحة مهمة جدًا في حل الخلافات، ومن المهم أيضًا معرفة سبب التصرف الذي أساء للطرف الآخر، لأن معرفة سبب المشكلة هو نصف الحل.

للزوجة دور مهم إذا احتوت زوجها بذكاء، فستختصر بذلك الكثير من الخلافات، بل وستتحول إلى رقم واحد في حياته؛ لأنها الشخص الوحيد الذي يحاول احتواءه وإرضاءه. فإذا غضب الزوج يومًا ما، فلا تسمحي للغضب أن يسيطر عليكِ أنتِ أيضًا، بل حاولي أن تلتزمي الصمت -قدر الاستطاعة- دون أن تخلقي مشكلة جديدة. وبعد أن يهدأ، اجلسي معه وعاتبيه بهدوء.

ومن الأفضل لكما ألا تخرج مشكلاتكما خارج حدود بيتكما، فحينها الحل سيكون سهلًا بكلمة طيبة من أي منكما. أما إذا خرجت للخارج، فستتحول الأمور إلى تكسير رؤوس مع الأسف، وستتفرغ شياطين الإنس والجن لتضخيم المشكلة.

كما ذكرت سابقًا، فإن العلاقة بين الزوجين مبنية على الود والرحمة. والتواصل الودي يخلق جوًا هادئًا بعيدًا عن المشاحنات والصراخ، والأفضل عدم اللجوء إلى صديقات قد يكنّ سببًا في تفاقم المشكلة بتحريضهن لكِ ضد زوجكِ.

فالحمد لله القائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

سبحان الله، هذه الآية تتضمن اللبنة الأساسية التي يجب أن تقوم عليها الحياة الزوجية. لذلك، لا بد من استدراك المشكلات قبل أن تتحول إلى نمط حياة في الأسرة، وإلا لن تكون الزوجة سكنًا بل جهنمًا، ولن يكون الزوج سكنًا بل عدوًا!

الأصل في الحياة الزوجية هو الاستقرار، والرحمة، والمودة، والسكن، ولا يعني ذلك أن تخلو البيوت من المشكلات، فهذا يعاكس طبيعة الحياة، فهناك فرق بين أن تكون المشكلة عارضة، وبين أن تتحول إلى أصل الحياة. فإذا تعامل كل زوج وزوجة مع الآخر بناءً على هذه الآية، لكانت الخلافات محدودة جدًا. فعند وقوع خلاف، يدرك كلاهما أنهما قد خرجا عن الأصل، فيعود كل منهما إلى الأساس وهو: المودة والرحمة.

من منا لا يحب الاحترام والاهتمام؟ نحن بشر نكره الإهمال أو الاستخفاف، فكيف بالزوج -وهو أقرب شخص للمرأة- فعنايتك به، وببيته ونظافته، وطعامه يخلق جوًا من الحب بينكما.

ينبغي عليكِ ألا تستمعي لمن يقول لك: «أنتِ لستِ مجبرة على شيء تجاه الرجل.» فكما أن الرجل مُلزم بتقديم الطعام، والكسوة، والنفقة لكِ، فأنتِ أيضًا مُلزمة بالعناية بما وُكّلتِ به من زوج، وبيت، وأولاد. كانت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- تطيب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتطيب ثيابه، رغم أن النبي كان بإمكانه فعل ذلك بنفسه، لكنها كانت تريد أن تصنع له كل هذا بذاتها. فلا يعقل أن يأتي زوجك للبيت فيرى ما لا يسره من وساخة أو عدم وجود الطعام، فهذا سبب لتغير حاله منذ دخوله.

ليس عيبًا ولا حرامًا أن تكوني عونًا لإشباع عاطفة زوجك واحتياجاته دائمًا، فتسمعينه الكلام الطيب وتغارين عليه، وتعاشرينه بالمعروف، وتعرفين ما هي حقوقك، وما هي واجباتك تجاه زوجك وبيتك. فالزوج هو أولى الناس بالملاطفة، والتلطف فيه، وحسن معاشرته، فتكوني بذلك مصدر سعادة واشتياق له، لا مصدر تعاسة وفراق.

حياتنا تكون جميلة إن كانت قائمة على إرضاء الله تعالى. لذا، يجب على المرأة أن تنصح زوجها إذا رأته مقصرًا بحق الله، وأن تحثه على الطاعات، ولو رأت منه ذنبًا تنكره، فعليها أن تعظه بأسلوب طيب. فلعل كلمة منكِ تقلب حياته كلها نحو الخير. قال الله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾ [المائدة: ٢].

لتصلوا معًا إلى جنة عرضها السموات والأرض، فهناك حياة لا تشبه الحياة التي نعيشها الآن؛ لا فقر فيها، ولا جوع، ولا ألم، ولا حرمان، ولا حزن، ولا فراق أو طلاق.

أصداء الفقد حين يختفي السند

كان عندي صديقة طبيبة زرتها في عيادتها مرة، فوجدتها ترتدي الأسود، ووجهها شاحب، والحزن يخيم عليها. سألتها: هل تعاني من مشكلة ما؟ لماذا هذا التغير الذي أراه؟ قالت: «فقدت السند، توفي زوجي، لقد انكسرت بفقدانه.»

حزنتُ لسماع الخبر، وعزيتها، وذهبت. ومر عامان على وفاة زوجها، لكنها ما زالت حزينة وتلبس الأسود (مع تحفظي الشديد على ذلك).

قلت لها: «احمدي الله، معك شهادة وليست أي شهادة، أنتِ طبيبة.» ولم أكمل حديثي حتى قاطعتني، وقالت: «صدقيني، لو كانت المرأة معها مئات الشهادات، تبقى بحاجة لرجل يشاركها أفراحها، وأحزانها، وآلامها، ونجاحاتها، وحتى فشلها. تحتاج لرجل تسأله وتستشيره، يسايرها وتسايره. وخذيها مني، من تقول غير ذلك، فلا تصدقيها مهما اجتهدت في إقناعك، فنحن النساء لا نستطيع العيش دون رجال، وكذلك الرجال لا يستطيعون العيش دون نساء. هذه فطرة الكون الذي خلقنا فيه.» خرجت، وأنا أردد أصابت الحكيمة.

هل تزوجت لأتحول لخادمة في البيت؟

قصص متكررة تسببت في حوادث طلاق أو خلافات كبيرة بين الزوجين لأسباب قد تبدو بديهية وبسيطة، لكنها تحولت في هذه الأيام إلى معضلة بين الزوجين، مثل: (الزوجة لم تطبخ ولا تريد الطبخ من الأصل) أو (المرأة -بعد أن سمعت عدة فتاوى بأن تنظيف البيت والملابس، وغسل الصحون، والطبخ ليس واجبًا عليها- تركت جميع مسؤولياتها وانتظرت قدوم زوجها من العمل لتخبره بأنها ليست مجبرة على تنظيف البيت والعناية به اعتبارًا من هذه اللحظة، وأنها اكتشفت متأخرًا أنه ليس من واجباتها، وشعرت بأنها «كانت مضحوكًا عليها»). ليتحول البيت إلى ساحة حرب بعدها. فهل حقًا ليس من واجبات المرأة العمل والعناية في بيت زوجها؟

من العرف أن خدمة المرأة وقيامها بمصالح البيت الداخلية أمرٌ متعارف عليه بين المسلمين، حيث إن الزوجة تخدم زوجها في البيت من طبخ، وغسيل الملابس، وتنظيف المنزل، وذلك ضمن طاقتها. وهذا العرف ليس حديث العهد، بل يعود إلى أزمان سحيقة، وقد كان كذلك في عهد نبينا الكريم محمد -صلى الله عليه وسلم-، حيث لا تُكَلَّف الزوجة فوق طاقتها، أو يُجعل عليها من الأعمال ما فيه مشقة وصعوبة.

فكـما أن الرجـل مطالـب بالعمـل خـارج بيتـه وكسـب الحـلال لتأمـين حيـاة هانئـة لأسرتـه، فمطلـوب مـن المـرأة أيضًـا أن تكـون السـند والمعينـة داخـل البيـت. فهـي ليسـت خادمـة كـما يصـور بعـض مُختلقـي المشـكلات، بـل هـي المحسـنة التـي تقابل المعـروف بمعـروف.

إذا لم تقـم المـرأة بأعـمال البيـت، فمـن سـيقوم بهـا؟ الـزوج مشـغول ومتعـب خـارج البيـت ليكسـب المـال، وكل هدفـه تأمـين حاجـات أهلـه. قـد تقـول مسـتمعة لحديثي الآن: «فليـأتِ لي بخادمـة». إن قـولَ هـذه الكلمـة سـهل، لكـن الكثـيرات يعرفـن ظـروف أزواجهـن، والأغلبيـة لا تسـتطيع دفـع أجـرة لخادمـة. وإن كانـت هنـاك قـدرة ماليـة، فـما الضـير في ذلـك؟ لكننـا نتحـدث عـن الحالـة العامـة والفطريـة للمـرأة.

تخيـلي أن عمـل المـرأة في خدمـة بيتهـا، وزوجهـا، وأولادهـا إذا احتسـبته للـه، تُؤجـر عليـه. فلـو كنسـت البيـت ازداد رصيـد حسـناتها، ولـو طبخـت كذلـك، وأطعمـت أطفالهـا، فواللـه إن متعتهـم بكـون الطعـام مـن يـدي أمهـم لا تضاهيهـا متعـة. فيكـون الطفـل مـسرورًا؛ لأن أمـه الحنونـة قـد أطعمتـه، وإذا لاعبـت أطفالهـا، فلهـا ثـواب عظيـم.

وسأذكر هنا قصة صغيرة حدثت مع ابني الصغير. عندما كان يلعب كرة قدم، وحاول أن يدخل الكرة في المرمى، لكنه تعثر وسقط، فنهض بسرعة، لكن الأمر كان صعبًا عليه، فصرخ بصوت فيه مناشدة واستغاثة، وهو يقول: «ماما.. ماما» ظنًا أن أمه تحل كل مشكلة يقع فيها. ألن تعتني هذه الأم به، وبطعامه، وبشرابه، وبنظافته، وتعليمه حبًا وكرامة له، ومن قبله كرامة لزوجها الذي يجمعها به ميثاقًا غليظًا؟

إذا تخلت المرأة عن دورها، وتخلى الرجل عن دوره أيضًا، وتحول الأمر إلى شعار «اللهم نفسي» والاهتمام فقط بما ينجز كل واحد منهما خارج بيتهما، هنا سيختفي الدفء والأمان من البيت، بل وسيخرج جيل مُفكَّك لا يهمه إلا نفسه. ستقولون لي: «فقط لأن المرأة لم تكنس وتطبخ كانت سببًا في تفكك الأسرة!»

سأجيب من نظرتي كامرأة: «نعم، وألف نعم، إن لم يكن هناك حاجة للمرأة بعدم القدرة على العناية بالبيت بالحد الأدنى؛ فهذا سيؤثر قولًا واحدًا على حياة العائلة الاجتماعية، حتى المشاعر ستختلف، فالزوج يحب أن يأكل من يدي زوجته، لا انتقاصًا منها، بل حبًا فيها، ويحب أن يعود من عمله ليجد البيت نظيفًا مرتبًا ومعطرًا. وأكاد أجزم أن مجرد سماع هذه العبارات يبث في النفس راحة وطمأنينة».

نحـن لا ننكـر تعـب المـرأة ولا جهدهـا، ومـن ينكـره جاحـد. ولـو فعلـت المـرأة مـا بوسـعها ولم تجـد مقابـلًا لهـذا التعـب، فليـس العيـب إلا بالشـخص الـذي لم يُحسـن العـشرة لزوجتـه. المشـكلة ليسـت بالمـرأة ولا بديننـا، وإنمـا بالشـخص اللامبـالي. ولهـذا سـتبذلين أيتهـا السـيدة جهـودًا كبـيرة لتغيـير مفاهيمـه حـول تقديـر المـرأة، والنظـر بعـين الإحسـان لمـا تقدمـه في البيـت. وحتـى ولـو لم يُقـدر هـذه الجهـود، فاعلمـي أن العمـل لوجـه اللـه تعـالى لا يضيـع أبـدًا، والتجـارة مـع اللـه لا تبـور.

قـد تمـرض المـرأة، فهـل تبقـى بنفـس العطـاء مـن الترتيـب، والتنظيـف، والطبـخ؟ بالطبـع لا، بـل في هـذه الفـترة، عـلى الـزوج أن يقـدر آلام وأوجـاع زوجتـه، ويعينهـا، ويمنحهـا قسـطًا مـن الراحـة حتـى تسـتعيد قوتهـا، وتعـود كـما كانـت عليـه سـابقًا.

ولا مشـكلة إن قـام الـزوج بمسـاعدة دوريـة في البيـت؛ فالزوجـة تتأثـر جـدًا حينـما تـرى زوجهـا قـد أنجـز أمـرًا عنهـا، حتـى وإن كان بسـيطًا. لا عيـب في ذلـك ولا انتقاص مـن الرجولـة بـشيء. ولنـا في رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- قـدوة حسـنة؛ فقـد كان يخيـط ثوبـه، ويخصـف نعلـه، ويعمـل كـما يعمـل الرجـال في بيوتهـم.

كذلـك، يمكـن أن يكـون الأولاد عونًـا لـلأم في البيـت، مـن خـلال تعليمهـم منـذ الصغـر أمـر الاعتنـاء بنظافـة البيـت، وبأمورهـم الخاصـة، كترتيـب غرفهـم، ونظافتهـم الشـخصية، مـما يخفـف مـن العـبء عـن الأم.

ماذا لو كانت المرأة مضطرة للعمل؟ كيف ستوفق بين بيتها وعملها؟ هذا سيجعل الأمر مرهقًا بالنسبة لها. في هذه الحالة، فإنها محسنة مرتين: مرة في عملها خارج البيت، وإعانة زوجها بالمصروف رغم أن ذلك لا يتوجب عليها، ومرة في عملها داخل البيت. فيجب عليك -أيها الزوج- في هذه الحالة أن تعين زوجتك أكثر بما يمكّنها من التوازن في أساسيات البيت، حتى لا يحدث خلاف فيما بعد، وأن يكون كلٌ منكما عونًا لآخر حتى تمر الضائقة المالية التي تعانيان منها، وأن يقابل كل طرف الإحسان بالإحسان.

إذن، هل المرأة هي خادمة في بيت زوجها؟ قبل الإجابة الصريحة عن هذا السؤال، نحتاج إلى إجابة صريحة أيضًا عن سؤال: هل الرجل خادم في بيته؟ الجواب هو ما جاء به هدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- إنه (كانَ في مِهْنَةِ أهْلِهِ) [روته عائشة أم المؤمنين، صحيح البخاري]. وكلمة «مهنة أهله» تعني أنه في خدمة أهله.

فإذا كان الرجل في خدمة أهله سنةً، فهل هذا يعيبه؟ أم هو من كمال حاله؟ كذلك، لا يعيب المرأة أن تكون في خدمة أهلها. فإنما نتقرب إلى الله تعالى بخدمة بعضنا ونكمل بعضنا. فالرجل يعمل خارج البيت، والمرأة تعمل داخل البيت. لكل منهما دوره العظيم والمهم. فلو امتنعت النساء عن خدمة بيوتهن، وأزواجهن، وأولادهن، لأعرض الرجال عن الزواج منهن، أو اشترطوا عليهن الخدمة في عقد النكاح، ليزول الإشكال.

هل العدة قيد أم حماية؟

نساء مطلقات أو أرامل يرفضن أداء فريضة العدة، ومنهن من تحكم بأن العدة هي لتبرئة الرحم، معتبرةً أن التكنولوجيا المتطورة كافية لمعرفة هذا. وبعض المطلقات تقول إن طليقها لا يستحق أن تعتد من أجله، بينما أخرى تستنكر فكرة العدة في هذا العصر!

لكن العدة ليست من أجل الرجل، لا حبًا به ولا كراهيةً فيه؛ بل هي فرض من الله على أي امرأة تطلقت من زوجها أو توفي زوجها، سواء علمنا الحكمة منها أم لم نعلم.

ذكر العلماء العديد من الحكم التي توجب العدة على الأرملة والمطلقة، منها:

١. التعبد بامتثال أمر الله عز وجل حيث أمر بها النساء المؤمنات.

٢. معرفة براءة الرحم حتى لا تختلط الأنساب.

٣. التذكير بفخامة أمر النكاح، حيث لا يتم الطلاق إلا بانتظار وقت طويل، ولولا ذلك لأصبح النكاح بمثابة لعب الأطفال، يتم ثم ينفك بسهولة.

٤. إظهار الحزن والتفجع على الزوج بعد الوفاة اعترافًا بالفضل والجميل.

الانفصال العاطفي مقبرة الزواج

زوجان يعيشان في بيت واحد وتحت سقف واحد، ليس لأنهما زوجان وحسب، وإنما لوجود رابط ثالث بينهما، ألا وهو الأطفال، أو ربما بهدف الحفاظ على صورتهما أمام الأهل والأقرباء. إلا أنه لا يوجد بينهما حب ولا مشاعر، بل بينهما مسافة كبيرة أو فجوة تمنعهما من الاندماج النفسي، والعاطفي، والاجتماعي. أي أن البيوت خاوية من المشاعر، ويخيم عليها الصمت القاتل، رغم وجود سكان فيها، حيث قد تنعدم الرحمة والمودة القائمة على الحياة الزوجية الصحيحة.

إن من أهم الأسباب التي تفتح الطريق أمام الانفصال العاطفي هو انعدام الاحترام بين الزوجين. فقد نجد الزوجة تقلل من شأن زوجها، وقد تُهينه ببعض العبارات. وكذلك قد يتصرف الزوج، فيجرح زوجته أمام الجميع دون أن يكترث لمشاعرها وأحاسيسها، مما يؤدي إلى انعدام الاحترام بينهما، ويكون ذلك سببًا في وقوع الفجوة بينهما.

كما قد يكون الانفصال العاطفي بسبب عدم تحمل أحد الطرفين مسؤولياته تجاه الآخر. وليس القصد من المسؤولية الإنفاق المادي فقط، بل هناك مسؤوليات أخرى كثيرة تقع على عاتق كل طرف، كالمشاركة في تربية الأبناء، واتخاذ القرارات التي تناسب العائلة، وإيجاد الحلول للمشكلات التي قد تواجهها، ومراعاة ظروف بعضهما، وفتح جسور الحوار، والحب، والتواصل فيما بينهما.

كذلك فإن انغماس الزوجين في الضغوطات المادية التي تؤرقهما من أجل تأمين الاحتياجات الحياتية للبيت والأبناء قد يجعلهما يبتعدان رويدًا رويدًا عن كل ما يحرك عواطفها دون قصد أو انتباه منهما.

أما في حال فقدان الاحترام، والمسؤولية، والمشاركة الثنائية، فإن ذلك سيُميت الحب، ويخفي الرحمة، ويضعف المودة، ويحل محل ذلك كل القسوة والجفاء في المشاعر.

سبحان الله الذي جعل الحياة الزوجية بيتًا وسكنًا يدفأ بالحب، والعاطفة، والرحمة، وينشأ على الاحترام المتبادل بين الزوجين، ليُفضي كل منهما إلى الآخر بمشاعره وأحاسيسه في ظل حياة زوجية صحية طيبة. وهذا الحب يُثاب عليه الزوجان. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

تصحُّر عاطفي

تحدثت معي امرأة تشتكي حالها مع زوجها، قالت: «أعيش في حالة من التصحر العاطفي مع زوجي. نعيش مع بعضنا منذ خمسة عشر عامًا، إلا أننا منفصلان منذ خمسة أعوام انفصالًا عاطفيًا. أعيش معه من أجل أولادي فقط. ما زلتُ في الثلاثين من عمري، ولدي الكثير من المشاعر، وأحب أن يهتم بي زوجي ويشعرني بأنوثتي، إلا أنه لا يقول أي كلمة تدل على ذلك.

فهو منشغلٌ ليل نهار على هاتفه، فلا يلتفت لي ولأولادي. وإن جلس معنا، فيجلس لمتابعة كرة القدم، وإن بَدَرَ من أحدنا صوت ما، يحوّل الجلسة إلى حرب شرسة، ولا يهدأ أو تظهر ابتسامته إلا عندما يعود للإمساك بهاتفه. وكلما حاولت محاورته، قال لي: «هذا الموجود، والباب بيفوت جمل، إن لم يعجبك، فمع السلامة.»

هذه قصة من عشرات أو ربما مئات القصص اليومية التي تحاول النساء إيصالها لإيجاد حلول لما يعانين منه. ولا أُبرّئ ساحة النساء، فهناك أيضًا شكاوى مشابهة من الرجال عن النساء اللواتي يهملن بيوتهن، وأولادهن، وأزواجهن، وليس لديهن أقل استعداد لتصحيح الحياة الزوجية القائمة بينهما. فنجد بيوتًا باردة لا روح فيها، خالية من مظاهر الحب والإحسان والرحمة، يخرج منها أولاد قساة مهزوزون نفسيًا، وليس لديهم ثقة بمحيطهم.

للعاطفـة شـأنٌ كبـيرٌ في الحيـاة الزوجيـة، والتأقلـم مـع الانفصـال العاطفـي أشـبه بالمـوت أو الفـراق؛ فالإنسـان مكـون مـن روح وجسـد، فـإن خرجـت الـروح مـات الجسـد.

فهل الحياة مستحيلة بين الزوجين بعد أن عانى كل منهما من الانفصال العاطفي؟

بالطبـع لا، ليسـت مسـتحيلة، بـل مـن المؤكـد أن يجلـس كل منهـما مـع الآخـر، ويحـاوره لإنقـاذ حياتهـما مـن الطـلاق الكامـل. ولا بـد مـن النظـر إلى وسـائل العـلاج التـي يمكـن أن تعيـد الحـب بينهـما وتقويـه؛ ليعـود الـدفء للحيـاة الزوجيـة ويتـم حـل كل المشـكلات التـي تُسـبب الفتـور العاطفـي بينهـما.

يمكـن أن يكـون ذلـك مـن خـلال زيـادة الصراحـة والوضـوح بـين الزوجـين، ومحاولـة فهـم كل طـرف الآخـر، ومعرفـة حقوقهـما، وواجباتهـما، والمخـاوف التـي قـد تسـبب الانفصـال بينهـما، وكـسر الروتـين اليومـي بتجـارب جديـدة وبسـيطة، والاسـتزادة مـن العلـم حـول الطـرق والأسـاليب التـي تحـل مشـكلات الزوجـين. والأهـم أن يتقـي الطرفـان اللـه تعـالى في بعضهـما. أمـا الـصراخ والمشـاجرات، فهـي ليسـت حـلًا، وإنمـا هـي سـبب للانفصـال العاطفـي.

تذكروا دائمًا -أيها الأزواج الأعزاء- أن الحسنات تمحو السيئات، وأن التقدير والامتنان لحسنات الشريك يعزز المودة ويقوي العلاقة. امنحوا أنفسكم فرصة للعطف المتبادل، فالحياة قصيرة وتستحق أن نعيشها بمشاعر طيبة وذكريات جميلة.

اجعلوا بيتكم الذي بنيتموه معًا عبر السنوات مكانًا يعكس الحب والاحترام، فذلك استثمار لا يُقدّر بثمن، وقد تندمون لاحقًا إذا فرّطتم فيه. لنغتنم الحاضر لصنع مستقبل مشرق ومليء بالود.

فبين الزوجين تغيب كل الفوارق؛ الغني أمام زوجته المحبة له، والمحب لها يصبح فقيرًا، وذات الحسب والنسب والجمال، أمام عناية زوجها ومحبته، تحب بيتها، ونفسها، وأنوثتها، فتكون الزوجة الراضية، والأم الحنونة المتواضعة، وصاحبة البيت الدافئ.

لا بد من التذكير بأن الله تعالى جعل من الزواج مودة، وسكينة، وطمأنينة، فلنحرص على ملئه بعوامل المودة، والرحمة، والسكينة، وألا نفرغه من مضمونه بالجفاء، والقسوة، والبغض، والاضطراب، والقلق.

ثلاثة أسئلة معاصرة لكل مقبلة على الزواج

طبعًا، كلنا يحفظ قول نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-: (إذا خطبَ إليكم مَن ترضَونَ دينَه وخلقَه، فزوِّجوهُ إلَّا تفعلوا تَكن فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ عريضٌ)

[رواه أبو هريرة، أخرجه الترمذي].

في هذا الزمن، نسمع الأعاجيب عن منافقين يبدون لكِ ولعائلتكِ أن دينهم وخلقهم في أعلى درجة، ثم تتفاجئين بأنهم لا دين لهم ولا خلق. لذا، أشارككم ثلاث أسئلة معاصرة ضرورية برأيي لمعرفة حقيقة الخاطب:

أولًا: الاطلاع على حسابات وسائل التواصل الاجتماعي، فهي مؤشر مهم على نوعية المشاركات، والمنشورات، والأصدقاء، والمستوى الديني، والأخلاقي.

ثانيًا: عليكِ اكتشاف ما إذا كان يُصلي، فهذا مهم لجميع الشعائر، وكيف تكون علاقته بالله تعالى، وهل لديه معاصٍ يجاهر بها، وهل يختلط بالنساء ويتحدث معهن أم هناك حدود، وللضرورة يتحدث معهن؟

ثالثًا: كيف هي علاقته بوالديه؟ وماهية عمله هل من حلال أم حرام؟ وفي حال وقوع خلافات في حياته أو عمله، هل مرجعيته هي دينه؟ فذلك يُعتبر صمام الأمان.

تعدد الزوجات: ظلم أم عدل؟

يعتبر الزواج الأول عند الرجل من أساسيات الحياة وسنة نبوية ليُتم نصف دينه، ولكن ينظر في زمننا هذا إلى الزواج الثاني بنظرات متطرفة سواء للرجل أو للزوجتين الأولى والثانية. فإما أن تُعتبر الزوجة الأولى مقصرة وملامة، فهي السبب الرئيسي الذي أوصل زوجها لفكرة الزواج بامرأة ثانية، أو تُعتبر الزوجة الثانية سارقة الرجال التي تكيد المكائد للزوجة الأولى لتحظى بزوجها لها وحدها. وينظر للرجل على أنه نسونجي يحب النساء كثيرًا، وفاقد للهيبة، ويُعير بكونه زوج اثنتين.

نعود لمربط الفرس، ألا وهو أن زواج الرجل بامرأة ثانية، بل وثالثة ورابعة، ليس من الظلم في شيء، بل هو في الأصل من جملة المباحات، بشرط أن يلتزم الرجل العدل، ويوفي كل واحدة من زوجاته حقوقها، وإلا فلا يُشرع له التعدد.

لكن الفكرة التي أريد الحديث عنها هي ظلم الزوجة الأولى من زوجها، وأهلها، ومجتمعها، وحتى في بعض الأحيان من أبنائها، فقط؛ لأن الرجل تزوج بغيرها. من الطبيعي أن نجد المرأة الثانية في بداية زواجها مهتمة جدًّا بكل تفاصيل حياتها مع زوجها، فلا يشغلها طفل، ولا مسؤوليات كبيرة عن أبنائها الذين في المدارس أو الجامعات، أو متاعب الحياة مع زوجها الذي تحاول أن تفهمه وتفهم كل همومه، بل ويتشاركون بكل صغيرة وكبيرة. فالرجل في هذه المرحلة التي يُقال عنه فيها (عريس جديد)، يبدأ بالمقارنة مباشرة بين الزوجة الأولى والثانية.

فيظـن أنـه كان مظلومًـا مـع زوجتـه الأولى وأنهـا مقـصرة معـه، ثـم يـأتي دور الأهـل هنـا فيسـمع مـن أهلـه بأنهـا تسـتحق ذلـك؛ لأنهـا لـو حافظـت عليـه لمـا فعـل ذلـك، ثـم يلومهـا أهلهـا وكأنهـا مجرمـة بقولهـم: «أنـت مـن فتحتـي الطريـق لزوجـك كي يتـزوج، لـو لم تكـوني مهملـة لـه لمـا تـزوج غـيرك، أو لـو لم تكـوني امـرأة مقـصرة لمـا تـزوج.» وكثـيرًا مـا سـمعنا أن بعـض الصديقـات يتخلـين عـن هـذه الزوجـة المسـكينة فقـط؛ لأن زوجهـا تـزوج عليهـا، فيخشـين عـلى أنفسـهن مـن سـمعتها التـي باتـت تطـال كل لسـان.

ثـم ينتقـل الـدور إلى الأبنـاء، فيقولـون: «أنـتِ السـبب يـا أمـي، فأنـت مـن قـصرتِ مـع أبي وحرمتنـا مـن رؤيتـه كل يـوم.» ويلومونهـا قيامًـا وقعـودًا. فيصـدق الـزوج أن زوجتـه مذنبـة؛ لأن كل مـن حولهـا يتهمهـا بذلـك، مـع العلـم أنهـا قـد تكـون هـي مـن سـعت لتزويجـه لمعرفتهـا بحاجـة زوجهـا لهـذا الأمـر، ولم يكـن بينهـم أي خـلاف قبـل زواجـه.

فيتحـول الرجـل إلى شـخص آخـر تمامًـا، فيصبـح ظالمًـا، ولا يعـدل بينهـا وبـين زوجتـه الثانيـة، ويبـدأ بـأن يغيـب عنهـا لأيـام، بـل ويحرمهـا مـن المـصروف. وفي حـال قدومـه للبيـت، يتحـول المنـزل إلى بـركان مـن المشـكلات، فـما عـاد يجـد راحتـه عندهـا، وكأنـه ليـس بذلـك الرجـل الـذي كان يتوعـد لهـا بأنهـا سـتبقى ملكـة قلبـه، وأنهـا وقفـت موقفًـا لـن ينسـاه لهـا.

فتعيش الزوجة الأولى بصراع لإثبات وجودها، فتهلوس بتزيين نفسها وتنشغل عن أساسيات الحياة وجوهرها إلى تفاهات الغيبة والنميمة عن ماذا فعلت ضرتها؟ وماذا قالت؟ وماذا اشترت؟ وكيف ستكيدها؟

لترفع هذه المظلومية التي تشعر بها، فتتحول حياة الزوجة الأولى والزوجة الثانية إلى صراعات فيما بينهما، وكلتا الزوجتين تسعيان لطلاق بعضهما. مع العلم بأن الزوجة الأولى قد تكون راضية عن زواج زوجها، والثانية تعلم أن من تقدم لها رجل متزوج وتقبل بذلك.

طبعًا، لا يخفى على أحد أن للإعلام دورًا كبيرًا في تشويه صورة الزوجة الأولى بأذهاننا، بتصويرها بأنها تلك المحجبة غير المرتبة، والمهملة لزوجها وبيتها، بينما يظهر الزوج كالجنتل مان الذي تتركز كل عيون النساء عليه. والزوجة الثانية توصف بالمرأة المرتبة الجميلة التي قد تكون بلا حجاب ومتبرجة، وتُعتبر «سارقة الرجال». ولولا أنني أترفع عن ذلك، لذكرت بالأسماء عشرات المسلسلات التي تعمل على تشويه صورة المرأة المحجبة حتى يومنا هذا.

تحدثنا عن المشكلة، والتي تتعلق بـ:

- الزوج.
- الأهل.
- المجتمع.
- الأبناء.
- الزوجة الثانية.
- الزوجة الأولى.

فلو عمل كل طرف من هذه الأطراف بما يحق له، وبما يحكمه الشرع، فلن نجد أي مشكلة على الإطلاق.

على سبيل المثال، فإن الزوجة الثانية عندما تقبل الزواج برجل متزوج، فهي ليست مقبلة على حرب أو ساحة ملاكمة. عليها ألا تبني توقعات غير منطقية ولا واقعية، ولا تتخيل نفسها أنها متزوجة برجل أعزب. وبالتالي، لا تفتح بابًا لجبهة من المشكلات التي ستصب فوق رأس الزوج. على العكس، فإن الأصل هو الانشغال بالحياة الجديدة بعيدًا عن الضرة، وما قالت، وما فعلت، وألا تبحث في هاتف الزوج، فطبيعة الحال أنه يكلم ويحب كلتا الزوجتين. أما من تتجسس وتسترق السمع، فلن تحظى بالنوم قريرة العين، بل ستنشغل بحياة ضرتها بدل الالتفات والعناية بحياتها مع زوجها.

هنا لا بد من القول إن الصراعات الزوجية من المسلمات التي لا بد من حدوثها في أي علاقة. لكن مع ذلك، يجب تخطيها سريعًا، والتغلب على أسبابها لضمان استمرار العلاقة بطريقة هادئة وطيبة.

الحياة الهادئة تحتاج أيضًا إلى الصحبة الصالحة، لا إلى صديقات السوء اللاتي يعملن جاهدات على إفساد كل علاقة طيبة، وكل بيت عامر، فيصبح عرضةً للانهيار حسدًا من عند أنفسهن. فكيف تعيشين هانئة سعيدة وزوجك لديه زوجة أخرى؟

من الناس من يحبون أن يعينوا الشيطان عليكما -فلا مساء لهم ولا صباح- حتى يتأكدوا من أنهم قد فرقوا بينكما تمامًا وأثاروا الخلاف، والضغينة، والغيرة، والفتنة. والخاسر الأول والأخير هو من يلحق القيل والقال، وينشغل بغيره عن نفسه.

كذلك، الزوجة الأولى مطلوب منها ما هو مطلوب من الزوجة الثانية تمامًا، وأنا امرأة وأعلم أن الأمر ليس سهلًا أبدًا في حال وقوعه. فمن منا قد نزعت الغيرة من قلبها؟ لكن الغيرة، وحب التملك، والرغبة في أن يكون زوجي لي وحدي شيء، وأن أرفض شرع الله تعالى، وأهاجم شريعته، وأنبذ التعدد وأحكامه لمصلحتي الشخصية شيء آخر تمامًا، ومرفوض في عقيدة المسلمة. فالله تعالى أعلم وأحكم بعباده وألطف بهم فيما شرعه. وإن لم نرَ كعباد الحكمة ضمن حدود نظرتنا

القاصرة وحسب ظروفنا، وإن لم نرَ خيرية الأمر في ظروف ما، قد نراها أو يراها غيرنا في ظروف أخرى.

أقول لمن ابتليت بضرة أو أكثر: تذكري أن تحتسبي وتستعيني بالله على ما وقع، واسأليه أن يلهمك الصبر، فلا تقلبي حياتك وحياة زوجك إلى نار كلما دخل أو خرج. ولا تسأليه عن تفاصيل إن بدت لك تسوءك، ولا تلتفتي للدعوات التي تقول بأن الرجل الذي يتزوج هو رجل خائن، فهذا غير صحيح. والله تعالى هو الذي يعلم حالنا، وهو أدرى بنا، وهو من أحل للرجل التعدد، وهذه ليست خيانة كما تصف بعض النساء، والعياذ بالله.

فيقلن أحيانًا: «ليخنِ زوجي مع عشرات النساء، ولا يتزوج علي، فإن خانني فهذه نزوة ومرجوع إليّ، ولكن إن تزوج فستبقى علة على قلبي طوال العمر». تلك النساء أنانيات ولا يخافن الله، فمن تحب زوجها بالفعل لا تقبل لزوجها الزنا أو الحرام.

نأتي إلى الزوج الذي هو قبطان السفينة. فإن قادها وفق الاتجاهات والمعايير المكتوبة له، فطريقه سليم. أما إذا انحرفت السفينة عن الخط المسموح لها، فقد ترتطم إما بسفينة ما أو بصخرة في طريقها.

لذلك، قبل الإقبال على الزواج بزوجة ثانية، عليك أن تعلم حقوق كل منهما

وحقوقك، وأن تعلم أن الأمر ليس بالسهل. فالعدل ثم العدل ثم العدل هو ميزانك في كل تفاصيل حياتك، سواء مع الزوجة الأولى أو الثانية. فإن لم تحب الزوجة الأولى أو الثانية بعد الزواج، فلا تظلمها.

كذلك، ترفق بزوجتك الأولى، وكن رحيمًا معها، فقد كُسرت بزواجك. والنساء جبلت على الغيرة. اربت على كتفها، ولا تشعرها بأن الزواج الثاني أتى نقمة على حياتها، وأنها تعيش في صراع نهايته غير معروفة لها. بل على العكس، ابذل مجهودًا مضاعفًا لتعينها على تجاوزها لهذه المرحلة الصعبة، وخاصة في بداية زواجك الثاني. وكن محتويًا لها ورفيقًا بها كما أوصاك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حين قال: (رفقًا بالقوارير) [أخرجه البخاري].

كذلك، لا تسعَ لنقل ما يحدث عند الأولى للثانية، أو تقارن بينهما، أو تخبر الأولى بأن زوجتك الثانية تتصرف كذا، وتقول لها: «لماذا أنت لا تتصرفين مثلها؟» أو تخبر الثانية بخبرة الأولى بتربية أبنائها: «لماذا لا تتعلمين مثلها في التربية، أو الطعام، أو الكلام»، وغيرها من المقارنات التي لا تأتي بخير أبدًا، بل على العكس، فهي تسبب الضغينة، والحقد في النفوس، وتكون سببًا في فتح باب الحرب على نفسك.

الرجل الذي يعلم أنه ليس أهلًا للتعدد ولن يعدل، فلا يُقبل على هذه الخطوة أبدًا حتى لا يغرق بالذنوب والمشكلات. ولا تظن بالضرورة أن التعدد

نزهـة، وتغيـير جـو، وزيـادة في الـدلال. فكـر أيضًـا بأنـه مسـؤولية، وبيـت جديـد، وامـرأة أخـرى تحتـاج للعنايـة والمـداراة، وأطفـال لهـم حـق المجالسـة والتربيـة، إضافةً لبيتـك الأسـاسي، ومـا أنـت فيـه اليـوم. وليـس مـن الحكمـة أن تبنـي شـيئًا جديـدًا إذا كنـت سـتهدم مـا بنيتـه؛ لأن الجديـد سـيُهدم في هـذه الحالـة بحسرة القديـم. فهنـاك الكثـير مـن القواعـد الشرعيـة المهمـة عندمـا تفكـر بخطـوة كهـذه، مثـل قاعـدة «درء المفاسـد مقـدم عـلى جلـب المصالـح» وغيرهـا.

أنـا لا أحـرض عـلى التعـدد أو عدمـه، فليـس موضوعـي الدعـوة لهـذا أو ذاك، بـل أدعـو لمزيـد مـن العـدل في معاملاتنـا لنرقـى لمجتمـع سـليم يـرضى اللـه عنـه، فـلا يعطـل أحكامًـا شرعيـة، أو ينبذهـا، أو يطبـق بعضهـا ويـترك البعـض الآخـر.

فحتـى مـن يكتفـي بواحـدة، فـإن ذلـك لا يعنـي أنـه قـد تفضـل عليهـا بقـراره، فيهددهـا بذلـك كل العمـر مـن الصبـاح إلى المسـاء بقولـه: «واللـه لا تجـوز عليـك». فأيـن الفضيلـة والإحسـان مـن ذلـك؟

هل ضاعت الرجولة والنخوة في عصر الفتن؟

الرجولة الحقيقية ليست مجرد مظهر خارجي أو قدرة على التحكم، بل هي قيم تتعلق بالنخوة والحرص على العرض والكرامة. نجد نسبة من الرجال قد ابتعدوا عن معاني الرجولة الحقيقية.

إذ يمكن أن نرى الكثير من الأزواج يتهاونون في متابعة زوجاتهم، أو يتركون الأمور تسير دون رقابة أو توجيه، في حين أنهم مسؤولون عنها أمام الله، فهم الرعاة الذين تحدث عنهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في حديثه الشريف حيث قال: (أَلا كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ...) [رواه عبد الله بن عمر، أخرجه البخاري]. فالإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهل بيته ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والعبد راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته.

نحن نعيش في زمن تشتت فيه الأخلاق، وأصبح من السهل على بعضنا الانجراف وراء عادات وتقاليد لا تعكس ديننا ولاعقيدتنا. تجد من يتفاخر بحياة الانفتاح والتقليد الأعمى، بينما يترك خلفه أصول التربية والقيم الإسلامية التي تحث على الاحترام والحفاظ على الأعراض.

أين ذهبت الشهامة التي كان يتمتع بها أجدادنا؟ أين النخوة التي تدفع

الرجـل للدفـاع عـن عائلتـه وصونهـا؟ فالرجولـة الحقيقيـة تبـدأ مـن البيـت، مـن الأفعـال اليوميـة التـي تعكـس مـا أمرنـا بـه اللـه تعـالى ونبيـه الكريـم -صـلى اللـه عليـه وسـلم-.

كيـف لرجـل يمـشي مـع زوجتـه المتبرجـة والمتعطـرة، وبعـض الرجـال الذيـن يخافـون اللـه يغضـون أبصارهـم عنهـا، ويكتمـون أنفاسـهم كي لا يشـمون رائحـة عطرهـا! وفعليًـا، هـم يهتمـون لحرمـة زوجتـه وخصوصيتهـا أكـثر مـن زوجهـا. عجبًـا لهـم، ألم يتبـقَ في نفوسـهم ذرة مـن الرجولـة؟!

ولا ننسى أن هنـاك قسـمًا آخـرًا مـن الرجـال الذيـن يتأملـون، وقـد يتمنـون لـو أنهـم مـكان زوجهـا عـلى مسـمع ومـرأى ذلـك الـزوج. فهـل هـذا أصبـح عـادي عنـد الرجل، ولا يحـرك بداخلـه الغـيرة والنخـوة؟ فهنـاك فـرقٌ بـين رجـلٍ يغـارُ عـلى زوجتـهِ مِـن أعـين النـاس، وبـين مـن يُريدُهـا فاقِـعٌ لونُهـا تَـسُرُّ النّاظِريـن !!

عدل أم مساواة؟

لماذا يجب على المرأة أن تتحجب؟ ولماذا يُسمح للرجل العمل في أي مهنة بينما تُقيّد المرأة في اختيار مهنتها؟ ولماذا يمكن للرجل الزواج بأكثر من امرأة بينما لا يمكن للنساء فعل ذلك؟ ولماذا تكون القوامة للرجل وليس للمرأة؟ وما الداعي لوجوب العدة للمطلقة أو الأرملة دون أن تُفرض على الرجل؟ هل النساء ناقصات عقل ودين؟ ولماذا ترث المرأة أقل من الرجل دائمًا كما يُشاع؟ أليست النساء شقائق الرجال، لهن ما لهم وعليهن ما عليهم؟

سأبدأ من حيث انتهيت، أي من قضية «المساواة» التي تطالب بها فئة من النساء على الدوام في كل محفل.

بداية، يجب الإشارة إلى أنه بمجرد مطالبة المرأة بمساواتها مع الرجل، فإن ذلك يعتبر اعترافًا ضمنيًا بأنها أقل مرتبة منه، وأن هدفها وهمها الأكبر في هذه الحياة هو الوصول إلى مستوى الرجل وفعل ما يفعله. بينما كفل لها الله تعالى مكانتها التي لا تقل أبدًا عن مكانة الرجل. لكن ما يجب أن ندركه جيدًا هو الفرق الكبير بين تكوين الرجل وطبيعته، وتكوين المرأة وطبيعتها، وخصائص كل منهما. وعندما نعي هذا الاختلاف، يصبح من الظلم للمرأة أن نضعها في نفس خانة الرجل، كما أنه من الظلم أيضًا أن نضع الرجل في خانة المرأة، فهذا يخالف طبيعة الفطرة الإنسانية لكل طرف.

وأقدم أمثلة على ذلك: الرجل والمرأة متساويان في التكليف، والثواب، والعقاب، والكرامة الإنسانية. وهي كالرجل تماثله في حرية اختيار الزوج، والمعاملات المالية، ولها ذمة مالية مستقلة تمامًا، وهناك أمور عديدة أخرى أيضًا غير ما ذكرت.

لكن متى يحق لنا أن نطالب بالمساواة في كل شيء؟ عندما نستطيع إثبات أن صفات، وشكل، ومؤهلات الرجل والمرأة تتطابق تمامًا دون أي اختلاف بينهما. عندها يمكننا أن نطالب بمساواتهما بشكل كامل. وللأسف، فإن هناك من عمل على توسيع دائرة التفريق والتمييز بين الذكر والأنثى على أسس لا تستند للدين أو الفطرة، وهذا ليس من الإنصاف في شيء.

إن فكرة التسوية بين الطرفين في كل شيء منطق غير عادل بتاتًا، بل إن مراعاة خصائص كل طرف منهما هو أساس العدل بينهما. إذ لا يمكن للرجل أن يحيض، ويحمل، ويلد مثل المرأة، كما لا يمكن للمرأة أن تتسم بالرجولة، والخشونة، والقوة العضلية كالرجل، وهذا ما جبل عليه كل من الطرفين مهما حاولوا طمس هذه الحقيقة.

أما بالنسبة لعشرات الاستفهامات التي تُطرح بشكل متكرر حول الحجاب، فلو أننا تفكرنا قليلًا في الحجاب المفروض علينا لرأينا عددًا من الحكم العظيمة.

وبالنسبة لمن يقول: إن الحجاب سلطة للرجل على المرأة، فكيف يكون ذلك، والحجاب فريضة علينا كنساء سواء وُجد في حياتنا رجل كأب، أو أخ، أو زوج أم.. هذا يعني أن الحجاب فريضة على المرأة دون أن يكون للرجل أي علاقة بها.

ويبقى الحجاب رمزًا للطهر والعفة، وليس سلطة من أحد. إضافة إلى ذلك، فإن الحجاب ليس إلغاءً للمرأة أو لفاعليتها في أسرتها ومجتمعها، كما أنه يشكل حماية لها من الغرباء عنها. وطبيعة الرجل تجعله يفتن بالمرأة، ويتأثر بشكلها كلما تزينت وأظهرت مفاتنها. فالزوج تزداد رغبته بزوجته أكثر عندما تتزين له، بينما تقل هذه الرغبة عندما لا تتزين، وهذا ما هو مجبول عليه أصلًا.

فلو كان الحجاب مثل التبرج فعلًا ولا يوجد له داع، لما وجدنا في أمريكا وأوروبا حالات اغتصاب بعشرات الآلاف كل سنة، بينما تقل هذه الأعداد بنسبة كبيرة في الدول الأكثر حفاظًا على الحجاب. وغير هذا والأهم، أن الله تعالى قد أمر النساء بالحجاب، ونحن كمسلمات علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا، سواء وعينا الحكمة من الأمر أم لم تظهر لنا.

ولنا في إبليس مثل عندما استكبر على أمر الله، ورفض أن يستجيب له بأن يسجد لآدم، فقال رافضًا: ﴿...أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. فماذا كانت النتيجة؟ لقد أوصله استكباره إلى أن يُطرد من رحمة الله، ويصبح من الملعونين إلى يوم الدين.

أنتقل الآن إلى السؤال الذي تردده الكثيرات من النساء، وهو: لماذا يحق للرجل العمل في أي مهنة بينما المرأة مقيدة في اختيار مهنتها؟ الجواب بكل بساطة: لأن الله تعالى كرم المرأة وهو يعلم ما هي طاقتها البدنية والنفسية، فلم يحملها ما لا تطيق كما صانها، ووكلها مهمات تليق بها وبقدراتها التي تميزها. فوظائف المرأة الفسيولوجية تعيقها عن العمل خارج المنزل بشكل مستمر، إذ إن لها خصوصية تختلف عن الرجل، مثل الحيض والنفاس، والحمل، والولادة، والتربية، وغيرها. فمن الممكن أن تعمل المرأة كطبيبة نسائية، لكنها بالمقابل لا يمكن أن تعمل في النجارة.

وكذلك يمكنها أن تكون معلمة، بينما لا تستطيع العمل في مناجم الحديد، أو تكسير الحجارة، أو في تنظيف الشوارع، أو الطلاء، فهذه الأعمال لا تتناسب مع قوتها الجسدية، ولا تليق بأنوثتها ورقتها كامرأة.

أيضًا، فإن المرأة في خروجها المستمر من بيتها والاختلاط المتزايد في المواصلات، أو في أماكن العمل المختلفة تعرض نفسها للاحتكاك الدائم مع الرجال، وبذلك تكون معرضة للتحرش من ضعيفي النفوس بصورة متزايدة أكثر من المرأة التي تجلس مصونة في مملكتها كأميرة، تصل إليها كل ما تحتاجه دون مشقة واستغلال من المديرين وغيرهم. فعمل المرأة مقترن بحاجتها واضطرارها إليه.

ولنتذكر أن أهم عمل يمكن أن تقوم به المرأة هو إشرافها على بيتها، وإعطاء

زوجها حقوقه، ورعاية أطفالها وتربيتهم تربية سليمة، فهي بذلك تؤدي أسمى وظيفة في هذه الحياة، كما أن تقصيرها في وظيفتها لا يعوضه أي نجاح خارجي. فالنجاح الحقيقي للمرأة يتحقق بتنشئتها لأبناء صالحين فاعلين، وهي مهمة لا يستطيعها أحد سواها. وكما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أَلا كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ...) [رواه عبد الله بن عمر، أخرجه البخاري].

ونأتي الآن لموضوع مهم، وهو موضوع الميراث الذي يثار دائمًا على شكل شبهة؛ فحواها أن الإسلام ظلم المرأة في الميراث، وأعطاها نصف ما يعطي الرجل بشكل عام.

للأسف، فإن بعضنا يصدق هذا الاتهام أحيانًا دون أن يتحرى أو يطلع على علم المواريث وحالاته المتنوعة، فيظن أن الإسلام قد اضطهد حق المرأة بالميراث دائمًا وفضل الرجل عليها. ولكن ما يجهله الكثير منا أن المرأة ترث نصف الرجل في أربع حالات فقط من بين عشرات الحالات، بينما ترث مثله في عشر حالات، وترث أكثر منه في كثير من الحالات أيضًا، وأحيانًا قد ترث المرأة ولا يرث الرجل.

لكن أعداء الإسلام يركزون فقط على الحالات القليلة التي ترث بها المرأة أقل من الرجل لكي يخدعوا الناس ويقنعوهم أن الإسلام دين ظالم للمرأة.

ولـو اطلعنـا عـلى هـذا العلـم الواسـع لرأينـا أن الإسـلام هـو ديـن العـدل الـذي يعطـي كل طـرف حقـه بـكل حكمـة ومراعـاة لجميـع الأحـوال. وهنـا علينـا أن ننـوه أن اللـه قـد كلـف الرجـال بالإنفـاق، والمهـر، ومـا إلى ذلـك، بينـما لم تطالـب المـرأة بالنفقـة عـلى أي أحـد، ولا حتـى عـلى نفسـها. وبالتـالي، فـإن المـال الـذي سـتأخذه مـن المـيراث حتـى لـو كان نصـف مـا يأخـذه الرجـل، فإنـه سـيبقى لهـا وحدهـا، بينـما ينفـق الرجـل مـن مالـه عـلى أهـل بيتـه كـما أمـره اللـه تعـالى. فهـل يسـمى هـذا اضطهـادًا للمـرأة أم تكريمًـا لهـا وحفظًـا لحقوقهـا؟

أمـا بالنسبة لموضـوع العـدة، فكثـيرات يتسـاءلن: لمـاذا يجـب عـلى المطلقـة والأرملـة الالتـزام بالعـدة؟ هنـا علينـا أن نعلـم أن مـن أهـم أسـباب فـرض العـدة عـلى المـرأة هـو تبرئـة الرحـم كي تتيقـن مـن عـدم حملهـا مـن طليقهـا أو زوجهـا المتـوفى عنهـا، حتـى لا تضيـع الأنسـاب في حـال تزوجـت فـورًا بعـد وفـاة الـزوج أو الطـلاق. وحتـى لـو اسـتطاعت المـرأة أن تجـري بعـض الفحوصـات لتثبـت عـدم حملها، فهنـاك حكمة لا نعلمهـا مـن عـدة المـرأة، ولا يمكـن للعقـل البـشري الإلمـام بالحكمـة الإلهيـة، إذ إنـه مخلـوق وشـتان بـين حكمـة الخالـق التـي لا نهايـة لهـا، وحـدود عقـل المخلـوق.

فلـو أردنـا فهـم الحكمـة مـن كل مـا أوجـده اللـه تعـالى أو أمـر بـه، فلـن نتوقـف عـن الأسـئلة. فنسـأل مثـلًا: لمـاذا لـون الدمـاء في أجسـادنا أحمـر؟ ولمـاذا البيـاض في عيوننـا لا يكـون سـوادًا؟ ولمـاذا لدينـا قدمـان بـدل الأربعـة؟ أو لمـاذا لدينـا رأس وليـس رأسـان؟ وقـس عـلى ذلـك. في النهايـة، علينـا أن نعلـم أن اللـه تعـالى أعلـم وأحكـم بنـا مـن أنفسـنا، ومـن صفاتـه سـبحانه أنـه هـو العليـم الخبـير.

أما بالنسبة لمعارضة البعض للحديث المتضمن عبارة «ناقصات عقل ودين»، فإن هذا ليس ذمًا للمرأة، أو إهانة لها، وتقليلًا من شأنها، لكن هذا النقص عائد لخصائص فسيولوجية في تكوين المرأة. فهي ناقصة عقل؛ لأنها تحكم بعاطفتها وتقدمها على عقلها، أما نقص دينها؛ فلأنها تحيض فلا تصلي ولا تصوم باستمرار كالرجل.

أما بالنسبة للنقطة التالية حول من يسأل: لماذا يمكن للرجل أن يتزوج بأكثر من امرأة بينما لا يمكن للنساء ذلك؟ مع أنه سؤال غير منطقي وغريب على مسامعنا، ويكاد يكون سؤالًا مضحكًا، لكننا نجد في الحقيقة من النساء من يطرحن هذا السؤال، فمنهن من لا تعرف الحكمة من ذلك بالفعل، ومنهن من تتبجح على حكم الله، وتقول إنها أعلم بنفسها من خالقها، والعياذ بالله. نحن هنا سنحاول الإجابة عن تساؤل الطرفين بعبارات بسيطة، ومنطقية، واجتماعية.

فنحن متفقون على أن المرأة تختلف عن الرجل، وأن أحد أبرز الاختلافات هو حملها وولادتها. فلو فرضنا -بعيدًا عن أحكام الدين- أن المرأة تزوجت بالفعل بأكثر من رجل ثم رزقت بطفل، فكيف سيعرف هذا الطفل أباه؟ وحتى مع تطور العلم ووجود الفحوصات والتحاليل التي تثبت النسب، فإن نسبة الخطأ واردة؛ لأن نسبة الصحة من تحليل النسب (DNA) تقارب ٩٩,٩٩٪، ومعنى ذلك أن واحدًا من كل ألف طفل على الأقل لن يعرف أباه، وهذا ظلم كبير للطفل.

أليس من أدنى حقوق الطفل أن يعرف نسبه دون أي شك؟ ومن تأمل حال أوروبا، فسيجد أن بها آلاف الأطفال من مجهولي الآباء. إضافة إلى أنه لو كان هناك تعدد عند النساء بالفعل وتزوجت المرأة بأكثر من رجل، فإننا سنعيش في مجتمع منحل ومتفكك تغلبه نسب الطلاق، لأن المرأة تحكم بعاطفتها قبل عقلها مهما حاولت إثبات العكس. بغض النظر عن أن المرأة يستحيل أن تعدل بين الأزواج أصلًا، فمشاعرها تتحكم بتعاملاتها. نعود لمربط الفرس والذي هو أن الله تعالى أعلم بنا وبما يناسبنا، لذلك وضع لنا أعدل نظام يتناسب مع الذكر والأنثى في جميع نواحي الحياة.

كذلك القوامة قد أعطاها الله تعالى للرجل وخصه بها دونًا عن المرأة تكليفًا لا تشريفًا. فالعلاقة بين الزوجين قائمة على الفضل، والمشاركة، والاندماج، والتكامل دون تسلط أي منهما على الآخر، كما قال تعالى: ﴿...هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

فالقوامة مسؤولية من المسؤوليات التي أعطيت للرجل تجاه زوجته كمهمة إضافية تهدف لخدمة ورعاية أهل بيته. فهي لا تعني التحكم والتعسف، أو قهر الزوجة كما يرسمها لنا دعاة النسوية. فإن كان في مجتمعاتنا حالات ظلم للنساء من قبل أزواجهن، فهذا لا يمت لديننا القويم بصلة، وإما أنهم قد فهموا الدين خطأ، أو أنهم لا يفقهون بالدين من الأساس، ويتبعون أهوائهم الشخصية، أو بعض العادات المجتمعية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وفي النهاية، يجب علينا ألا نصغي لمن يلقون بتلك الشبهات ليسمموا بها عقولنا، ويشككوننا في ديننا القائم على العدل، والرحمة، وإعطاء كل ذي حق حقه.

وإن دار في ذهننا أي تساؤل، فلنبحث ولنستفيض في أمر ديننا، ولنسأل أهل العلم والاختصاص بدلًا من أن نتأثر بأفكار مشوهة يبرأ منها الدين الإسلامي الحنيف الذي يوصي بالمرأة خيرًا في كل أحوالها، ويقدم برها على بر الأب عندما تصبح أمًا، ولنعلم دائمًا وأبدًا أن الله تعالى أرحم بنا من أنفسنا، وما أمرنا بشيء إلا وكان أمره خيرًا، سواء كان هذا الخير ظاهرًا لنا أو خفيًا عنا.

المطلقة حقائق مؤلمة!

«متمردة.. غير حكيمة.. أنانية.. عنيدة.. مخطئة.. لو فيها خير ما رماها الطير»، والكثير من الأحكام والعبارات المؤلمة والمهينة تُطلق على المطلقة دون أن يستمعوا حتى لسبب طلاقها، وأقسى الأشخاص على المطلقة هي المرأة نفسها، وهذا ما لاحظته، وشاهدته، ولمسته بسبب النظرة السلبية التي ينظر بها المجتمع للمطلقة.

الزواج مرحلة مهمة وأساسية في حياة كل شخص، لما فيه من خير للرجل والمرأة على كل الأصعدة. فكما أن الزواج مهم في حياة كل إنسان بالغ عاقل، كذلك الطلاق مهم كأهمية الزواج في بعض المراحل، وفيه سلامة للطرفين وللأطفال أيضًا، وخاصة بعد وصول الزوجين إلى طرق مسدودة في حياتهم.

وهـذا قـرار يعـود لهـما، فهـما وحدهـما مـن يعانيـان ويتألمـان وينتظـران الفرصـة المناسـبة لإنهـاء العلاقـة بينهـما. فقـد يكـون الزوجـان مطلقـين عمليًـا منـذ سـنوات قبـل أن يقـع الطـلاق الرسـمي.

إلى الآن، قـد يتفـق معظمنـا عـلى مـا ذكـرت، لكـن المشـكلة ليسـت هنـا. المشـكلة الكـبرى تكمـن في رفـض المجتمعـات العربيـة للمـرأة المطلقـة فقـط؛ لأنهـا لا تتفـق مـع تصوراتهـم الخاصـة عـن العلاقـة المثاليـة.

طبعًـا، موقـف المطلقـة دائمًـا ضعيـف، فـإذا دافعـت عـن نفسـها لاموهـا ونعتوهـا بالوقاحـة، وإذا اختـارت الصمـت فلـن تسـلم أيضًـا، وسـينعتوها بأنهـا تعـرف أنهـا مخطئـة لهـذا السـبب لا تسـتطيع الدفـاع عـن نفسـها. في الحالتـين لـن تسـلم مـن كلام مـن حولهـا.

مـن المؤسـف أنـه في مجتمعاتنـا يُلقـى كل عـبء الطـلاق على عاتـق المطلقـة وحدها، والـزوج في الغالـب معفـي، وبـريء، ومعصـوم مـن أن يكـون سـببًا في الطـلاق. ففـي نظـر المجتمـع، كان عـلى المـرأة أن تصـبر، وتتحمـل، وتتجـاوز حتـى أكـثر مـن طاقتهـا. كأن تصـبر عـلى عـدم التزامـه بصلاتـه، وصراخـه، وشـتائمه ليـلًا ونهـارًا، أو حتـى مصاحبتـه لعـشرات النسـاء أمـام عينهـا. وعليهـا -بحسـب الأعـراف- أن تصـبر في حـال تعرضـت للـضرب، أو إذا تسـبب لهـا في عاهـة دائمـة؛ كي لا يُقـال عنهـا مُطلقـة، ولـكي لا ينظـر المجتمـع إليهـا عـلى أنهـا مذنبـة، وهـذا كلـه مرفـوض شرعًـا، وعقـلًا، وقانونًـا.

لـو نظرنـا إلى مـا شرع اللـه للطرفـين في الطـلاق، ومـا ضمـن لـكل منهـما حقـه، لما أُطلقـت الأحـكام المسـبقة عـلى المطلقـة، وكان لهـا حـق الحيـاة في المجتمـع كأي امـرأة، وأن يتقـدم لهـا زوج مناسـب دون أن تسـمع عبـارات مثـل «سـتتزوج مـن مُطلقـة» مـع آلاف إشـارات التعجـب، والاسـتهجان، والاشـمئزاز، والغمـز واللمـز، كـما يُقـال: «لا، لا، مـا بتناسـبنا مطلقـة».

الطـلاق لم يكـن في زمـن نبينـا الكريـم -صـلى اللـه عليـه وسـلم- عذابًـا أو عقوبـة للمـرأة. عـلى العكـس، كانـت المـرأة عندمـا تنتهـي عدتهـا تتـم خطبتهـا فـورًا في أكـثر الأحيـان دون أن تُعـير أو تُـلام. لكـن مـا يسـتحق الاسـتهجان هـو كيـف وصلـت بنـا الأمـور إلى هـذا الحـد، ليكـون الـزوج والمجتمـع عـلى المطلقـة.

ليـس مـن الـضروري أن تكـون المـرأة هـي سـبب الطـلاق، فقـد يكـون الطرفـان سـببًا بذلـك بغـض النظـر عـن السـبب الـذي اسـتدعى الطـلاق. فالطـلاق أحـد الحلـول التـي سـمح اللـه تعـالى بهـا لعبـاده عندمـا تُغلـق جميـع الأبـواب بـين الزوجـين، إذ قـال تعـالى: ﴿...إِمْسَـاكٌ بِمَعْـرُوفٍ أَوْ تَسْرِيـحٌ بِإِحْسَـانٍ...﴾ [البقـرة: ٢٢٩].

فلـماذا ينـادون الأولاد بـأولاد المطلقـة، أو «جـاءت المطلقـة»، أو «أنـتِ مطلقـة، لا تسـتطيعين الخـروج»، أو «لـن تكمـلي دراسـتك فأنـتِ مطلقـة»؟ فيتغـير اسـمها الـذي كان الجميـع يناديهـا بـه إلى اسـم اختـاره المجتمـع لهـا، وهـو «المطلقـة».

هناك الكثير من النساء مظلومات، ومنهنّ من أخذن قرار الصبر على حياة القهر مع أزواج فاسدين بكل معنى الكلمة. وبعد هذا الصبر، ربما لأشهر أو سنوات، يقع الطلاق. هذه الحالات كثيرة، والمطلقة هنا ليست مجرمة، على العكس، هي شجاعة وواضحة، وقررت أن تنهي علاقتها برجل لم يتعلم كيف تُعامل الزوجة، ولا استوصى بها خيرًا، ولم يكن لها رفيقًا ولا لينًا، ولا كريمًا، بل كان عكس كل ذلك. وفوق كل هذا، يعاملها الناس بعد ذلك كامرأة من الدرجة الثانية أو الثالثة، وأتحدث عن مشاهدات وقصص متنوعة أعرفها كامرأة في هذا المجتمع.

المطلقة لها مشاعر، وحقوق، ومتطلبات، وقد علمنا إياها ديننا، فلماذا نختلق قوانين لم يشرعها ديننا، ولا يرضاها، ونضيق على أنفسنا وعلى من حولنا، ونخنق المطلقة بأحكامنا المسبقة؟

أكرر، إن كثيرًا من النساء يستمررن في العيش مع أزواجهن الظالمين الذين يتمتعون بأخلاق سيئة -فقط- من أجل كلام الناس. وبناءً على ذلك، تأتي القيم الأوروبية والدولية لتدعم المرأة المظلومة في مجتمعنا، وفي غيره من المجتمعات. عيد المرأة، عيد الأم، وغيرها من المناسبات، وقد كرم الله تعالى المرأة المسلمة قبل أن يكرمها من لا يعرف عن المرأة إلا جسدها.

هذه الكلمة أقولها لمجتمعنا المسلم: نحن أولى بقيم ديننا من الغرب.. نحن أولى بنسائنا الصالحات المصلحات الحضاريات من أن تفتنهم القيم الأوروبية التي تحمل لواء حقوق المرأة وحريتها، حيث إنهم في الحقيقة ينادون بحرية الوصول إلى المرأة.

المطلقة ليست عارًا، ولا وباءً، ولا مجرمة. الله تعالى أحل لنا الزواج وكذلك الطلاق، فخيارها أو واقعها ليس فرصة لأن ننهش لحمها، مهما كانت أسباب ذلك الطلاق.

الفطرة والحرية نحو حياة متوازنة

أنا كامرأة يجب أن أكون وقافة عند حدود الله، وليس عند ما تطلبه مني رغباتي الدنيوية.. أمشي بما هو مباح لي في الكتاب والسنة، لا بما تهواه نفسي. لست حرة بشكل كامل في ما ألبس، ولا في أين أكون، ولا في ماذا أتكلم وأين أتكلم، إلا بضوابط. ولست حرة بالمطلق في أي مكان أعمل، فليست كل الأعمال ملائمة لكوني امرأة.

وفي الحقيقة، لست حرة في كيف أربي أبنائي بالطريقة التي أراها مناسبة. نعم، لست حرة بالشكل الكامل؛ لأن الحرية المطلقة تعني البهائمية. فكلما ارتقى

المجتمع البشري، انضبط بقوانين ونظم تجعل حياته أفضل، وأسهل، وأكثر توافقية وانسجامًا. فمن يقبل الوجود في شارع السير فيه غير منظم؟ حيث لا تخضع السيارات، ولا المارة لإشارات وقواعد المرور؟ لا يقبل بذلك إنسان سوي!

نحن مع الحرية التي لها حدود وضوابط. لا أتحدث عن الناحية القانونية التنظيمية التي لا يختلف عليها أهل الدنيا لتنظيم مصالحهم، بل الحديث عن قواعد اجتماعية، وأخلاقية، وعملية نصت عليها شريعة الإسلام، وفيها الخير المطلق للإنسان والمجتمع البشري في دنياه وآخرته. يارب: ﴿...سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

تغريب المرأة!

التغريب هو صبغ حياة الأمم بأسلوب الغرب، بهدف تحقيق التبعية للحضارة الغربية. إذا تأملنا هذا المفهوم، يراودنا سؤال: ما الذي ينقص الحضارة الإسلامية من خير وإحسان حتى نضطر للأخذ من حياة الغرب، ومفاهيمهم، وتعاملاتهم، وحتى معتقداتهم؟

أما المبرر لمن يتجه غربًا، فهل هو ذاتي أم موضوعي؟ هل هو لأسباب شخصية للمستغربين الذين يبتعدون عن الثقافة العربية والإسلامية، أم لأسباب عامة تتعلق بضعف ثقافتنا، وعدم قدرتها على مواكبة الحداثة مثلًا؟

سبب حديثي عن تغريب المرأة هو مشاهدتنا لتغير بعض النساء من حولنا تدريجيًا أو كليًا، من نواحٍ مختلفة. سأبدأ الحديث عن واقع المرأة الطبيعي في العالم الإسلامي والعربي قبل تغريبها.

عندما جاء الإسلام، كانت النساء أكثر المستفيدات على الإطلاق، حيث عانَين من الظلم والاضطهاد منذ اللحظة الأولى لوجودهن. وئدت بعضهن لمجرد كونهن إناثًا، ولم تكن لهن أي حقوق تُذكر. وبعد بعثة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- تغيرت حياة المرأة رأسًا على عقب بحكم الإسلام. فقد أعطاها حق التعليم والحق في الطلاق، بالإضافة إلى ضمانات رئيسية تمنحها حقوقًا وامتيازات في مجال الحياة الأسرية، وحقها في اختيار الزوج، وحقوق الملكية، وحقها في الميراث بأمر من الله تعالى، كما أن الإسلام ساهم في تحسين وضع المرأة في المجتمع بعد أن كانت مُهمشة.

أما في أوروبا، ففي عام ١٥٦٧ م صدر قرار من البرلمان الاسكتلندي بأن المرأة لا يجوز أن تمنح أي سلطة على أي شيء. بل ويقول الفيلسوف الألماني شوبنهاور: «المرأة حيوان يجب أن يضربه الرجل ويطعمه ويسجنه.» وغير ذلك مما يستحي المرء من ذكره.

في المقابل، يقول البريطاني ويليام مونتغمري، أستاذ اللغة العربية: «إذا نظرنا للتاريخ وقت بداية الإسلام، فسنجد أن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- كان الشخصية التي شهدت لصالح حقوق المرأة وساعدها على تحسين أوضاعها بشكل كبير.»

عندما مُنحت المرأة هذه الميزات في ذلك الزمن، كان لها دور كبير في جميع الميادين. فقد حملت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (زوجة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) اللواء معه منذ اللحظة الأولى. فقد فقدت ثروتها ووقفت وراء زوجها حتى الرمق الأخير. كذلك، كانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر (زوجة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) أفقه نساء الأمة، وكانت تروي الحديث وتفتي في أمور الدين. وكانا الصحابيان عمر ثم عثمان يرسلان إليها ويسألانها.

كما كانت لخولة بنت ثعلبة قصة مشهورة، حيث استمع الله إلى قولها من فوق سبع سماوات، وهي تستفتي وتجادل في قضيتها مع زوجها. فأي إكرام بعد هذا؟

وكانت للمرأة أيضًا دور كبير في التربية. مما يُذكر عن لبابة بنت الحارث (أم عبد الله بن العباس) أنها كانت تأمل في بداية حياتها أن يصبح ابنها شيئًا مذكورًا، فكانت تلاعبه وهي تقول: «ثكلت نفسي وثكلت بكري... إن لم يسد فهرا وغير فهر.» وقد ساد الجميع بعلمه عندما كبر، وأصبح حبر الأمة وعالمها، من لا يعرف حبر الأمة ابن عباس؟ لكنَّ الكثيرين لا يعرفون فضل أمه في تنشئته.

وهنـاك الكثـير مـن الأمثلـة عـن النسـاء المتعلـمات والمتفقهـات اللـواتي تركـن أثـرًا في حياتنـا حتـى وقتنـا هـذا، ولم يلجـأن يومًـا لتقليـد الغـرب حتـى يُقـال عنهـن حداثيـات، ومتطـورات، ومنفتحـات. بـل عـلى العكـس تمامًـا.

يعنـي المـرأة كانـت تعمـل، وتتعلـم، وتفتـي، وتُعلّـم، وتُـربي، وكانـت زوجـة وأمًـا وأختًـا، وكل ذلـك بضوابـط الإسلام الـذي أنـار لهـا الطريـق لأسـلوب حيـاة يـرضي ربهـا ويليـق بهـا كامـرأة ذات خصوصيـة. وبعـد هـذا، نشـهد اليـوم تـشرذم فئـة لا يسـتهان بهـا أمـام قضايـا المـرأة، كأنهـا قضايـا جديـدة لم نكـن نعرفهـا مـن قبـل.

فمنهـم مـن يطمـح ويسـعى لأن تصـل المـرأة وتميـل نحـو التوجـه الغـربي المنحـل، ويغربهـا عـن أفكارهـا الأصيلـة، وعـن دينهـا، وعقائدهـا السـليمة، ومنهـم من يسـعى ويعمـل جاهـدًا لإقصائهـا وتحييدهـا أيمـا تحييـد، وكأنهـا كائـن مـن الدرجـة الثالثـة. وكلا الطرفـين مرفوضـين لأنهـما متطرفـان في رؤيتهـما للمـرأة التـي أوضـح الإسـلام حالهـا منـذ مجيئـه.

فالتغريـب لم تسـلم منـه لا الصغـيرة ولا الكبـيرة. فمثـلًا نجـد طفلـة عمرهـا عـشر سـنوات وحتـى الخامسـة عـشرة مـن عمرهـا، وأبويها متسـامحين بلباسـها مـن منطلق أنهـا طفلـة ولا تفهـم شـيئًا. نحـن متفقـون عـلى أنهـا طفلـة، لكننـا لسـنا متفقـين عـلى أنهـا لا تفهـم شـيئًا. وحتـى لـو كانـت لا تفهـم شـيئًا، فمـن حولهـا يفهـم كل شيء، وفيهـم الصالـح والطالـح. ونحـن نعيـش في مجتمعـات منفتحـة جـدًا، والإنترنـت

لم يـترك أحـدًا غافـلًا. فـلا تغفـل لوحـدك عـن قريـرة عينـك عـن لباسـها، وتربيتهـا، ومحيطهـا. فمـع الأسـف، يوميًـا تنتـشر الأخبـار عـن منحـرفي البـصر والبصـيرة الذيـن يصطـادون الغافلـين.

في إحـدى المجموعـات النسـائية عـلى فيسـبوك، أُجـري اسـتطلاع رأي: هـل تسـمحين لابنتـك بلبـس القصـير والضيـق في عمـر الخامسـة عـشر؟ وكانـت الإجابـات صادمـة؛ لأن نسـبة لا يسـتهان بهـا كانـت مـع أن ترتـدي البنـت بهـذا العمـر مـا يحلـو لهـا بحجـة أنهـا «لاحقـة عـلى الهـم». المصيبـة أن الأمهـات يتحدثـن أمـام بناتهـن عـن أن الحجـاب «هـم» والسـترة «هـم»، و«ارتـدي مـا يحلـو لـكِ، فعندمـا تكبريـن لـن تسـتطيعي ارتـداء كل هـذا».

والبعـض الآخـر يقـول: «بقـي حـسرة في قلبـي أني لم أرتـدِ القصـير والضيـق» وأنـا في الخامسـة عـشرة مـن عمـري. بعـد كل هـذا الـكلام: هـل بالفعـل البنـت إذا ارتـدت الحجـاب فيـما بعـد سـترتديه عـن قناعـة أم عـن عـادة؟

مـع العلـم أن الفتـاة منـذ صغرهـا تلبـس اللبـاس المسـتور في العـادات العربيـة، وبهـذا لا ينقـص مـن أنوثتهـا أي شيء. وكذلـك اللبـاس الفاضـح للفتـاة لـن يزيـد مـن أنوثتهـا شـيئًا. فهـذه أول مراحـل التغريـب للأنثـى، تغريبهـا عـن حيائهـا، وحشـمتها، وعـن فطرتهـا كأنثـى تميـل لإخفـاء مفاتنهـا منـذ صغرهـا. ثـم تشـتكين عندمـا تكبريـن لتفريطـك بحشـمتك؟ كيـف وقـد أسسـتها عـلى غـير ذلـك؟ فمـن شـب عـلى شيء شـاب عليـه. وصحيـح أن التغيـير ممكـن دائمًـا، لا ننكـر ذلـك، وقـد يهتـدي الإنسـان

وإن عـاش طيلـة عمـره في ضـلال، لكـن الأصـل في القاعـدة تلخصـه مقولـة شـهيرة: «مـا ندرسـه في أحضـان أمهاتنـا لا يُمحـى أبـدًا».

طبعًـا ليـس معنـى الـكلام أنـه يجـب أن تتحجـب الصغـيرة وتلبـس طقـم الصلاة، أو غـير ذلـك، فهـذا يقـرره الفقهـاء. إنمـا أتحـدث بالمجمـل عـن معـاني فقـدان الفتـاة حيائهـا، فـلا بـد مـن الحشـمة عمومًـا في الصغـر لنجدهـا في الكـبر (والحشـمة كلمـة فضفاضـة بالمناسـبة، لكـن لا بـد مـن اتخاذهـا كحـد أدنى مـن المعايـير)، وذلـك بالأسـاليب اللطيفـة والمحببـة لنـا ولبناتنـا لتبقـى بيوتنـا جنـة.

انتهينـا مـن مرحلـة الطفولـة.. دعونـا نتحـدث عـن التغريـب للشـابات. توجـد مقولـة شـهيرة: «كل فتـاة بأبيهـا معجبـة»، لكـن مـا نـراه في وقتنـا الحـاضر، وخاصـة في السـنوات الأخـيرة، تغـير هـذا المفهـوم وصـارت الجملـة المتداولـة هـي «كل فتـاة لا علاقـة لأبيهـا ولا أخيهـا بهـا». فطبيعـة الفتـاة أنهـا معجبـة بـآراء أبيهـا، وبحكمتـه، وبتصرفاتـه، حتـى لو لم تتناسـب مـع أهوائها. فكانـت قناعتهـا أن «أبي أدرى بمصلحتي، ولـن يقـول عـن أمـر إلا لمصلحـة يراهـا ولا أراهـا». أتحـدث عـن حالـة عامـة بغـض النظـر عـن وضـع الأب، وهـل يتحـلى فعـلًا بالحكمـة التـي تتصورهـا الفتـاة أم لا.

أمـا حـال بعـض فتيـات اليـوم، فنراهـا تـرى في أبيهـا الرجـل المضطهِـد لـكل تصرفاتهـا، والمقيـد لـكل حرياتهـا وحركاتهـا، فهـي تسـعى لعـدم استشـارته في شيء، أو حتـى تعمـل جاهـدة عـلى ألا يعـرف عنهـا أي سـلوك أو حركـة، فـلا علاقـة لـه بهاتفهـا ولا

بالأرقام المسجلة عليه ولا بصداقاتها. والموضة مؤخرًا أن الأب والأخ لا يحق لهما التدخل في لباسها ومكياجها، وكأننا في مجتمع منحل لا أمر بالمعروف فيه ولا نهي عن المنكر، فما بالك إن كان هذا الأمر من أهلها المقربين؟

لأجل هذا، ومثله، تؤسس حركات نسوية لمحاربة اضطهاد المرأة في أن تلبس ما تشاء، وتتصرف كما تشاء دون أي مرجع. وبالمناسبة، العديد من هذه الحركات يقف وراءها رجال (يمكن البحث في غوغل لإدراك هذه النقطة.. هؤلاء اسمهم نسويين). طبعًا، يدعمون تفلت المرأة ليس دعمًا لحرّيتها، فالإسلام أعطاها حرية لم يعرفها الغرب حتى اليوم، بل يدعمون حرية الوصول للفتيات وإفسادهن من الداخل لتصبح العائلة بأكملها لقمة سائغة. وهذا كله تغريب لها عن دينها، وأخلاقها، ومعتقداتها السليمة، وتربيتها، وتنشئتها على يد أبويها، وتوجيهها وتقويمها إذا أخطأت.

أيضًا، من مظاهر تغريب المرأة في زماننا هو تغريبها في أسلوب تعاملها مع زوجها. فالأصل في المرأة أنها المعينة والسند لزوجها ذي القوامة عليها.. فالله تعالى قال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ [سورة النساء: ٣٤].

لكن فئة ليست باليسيرة من نساء اليوم لا تعترف بالقوامة. تخيلوا؟ وحتى لا تقبل برأي زوجها في حال رفض لها أمرًا قد يكون فيه مضرة لها أو له أو للعائلة، فتهاجمه، وربما تشتمه، وقد تعصي أمره، ولا تلقي بالًا لما رفض،

وتنشب مشكلات كبيرة بين الطرفين نتيجة إعجاب المرأة بالأفكار الغربية من تحرر مصطنع، وتفلت من القيود الخاصة بها، وتشربها إراديًا أو لا إراديًا لهذه المفاهيم المغلوطة.

في النظر إلى القيود والضوابط ومن ينادي بالتحرر منها، أود أن أسأل: أي مخلوق على وجه الأرض لا تضبطه قيود؟ حسنًا، وما الذي يحصل إن قرر أي واحد منا التفلت من الضوابط الأساسية (البيولوجية، والفيزيولوجية، أو الدينية، أو الاجتماعية)؟ من قال إن كل ضابط علينا كسره؟ إذن، لندع الطعام والشراب أولًا وننهي هذا القيد، ثم لنبدأ بكسر القيود معًا. أم أن كسر القيود يبدأ من الدين ونظرته العادلة نحو المرأة؟ وغير ذلك من شؤون العقيدة والإيمان.

أما تغريب المرأة عن دينها، فقد صار الاختلاط بالنسبة لها أمرًا بسيطًا، وعاديًا، ومن أساسيات الحياة أن تقف أمام المرآة لساعات طويلة كي تخرج من بيتها بأبهى صورة، والأصل في المرأة أنها تتحرى قبل أن تخرج، هل لباسها فيه فتنة أو أي مظاهر إثارة كي تحذر من ذلك.

لا أن تضع آلاف الحجج كي تتخلص من ارتداء الحجاب، أو تضع على رأسها قطعة تسمى الحجاب مثل التوربان الذي انتشر في الآونة الأخيرة، والذي يظهر عنق المرأة وقرطها الذي تضعه وتظن أن هذا حجاب. للأسف، ومرةً نسمع أنواعًا من الحجابات الغربية، فتارة الحجاب الفرنسي، ومرةً الإيطالي، والآن التوربان

الهنـدي المستوحى مـن إحـدى العقائـد الهنديـة، ويطلـق عليهـم السـيخ. مـع العلـم أنـه قديمًـا وإلى الآن، الكثـير مـن النسـاء يسـتخدمن التوربـان بعـد خروجهـن مـن الحـمام لتجفيـف شـعرهن، وكانـت تسـتحي لـو رآهـا جيرانهـا بهـذه القطعـة عـلى رأسـها. الآن تحـول مفهومهـا إلى حجـاب، فنحـن طوعًـا لمـا يأتينـا مـن الخـارج، مـع الأسـف. كذلـك، المصافحـة بـين الرجـال والنسـاء صـارت ثقافـة منتـشرة، إذ نجـد مـن يـرد -لـو قلنـا إن ذلـك حـرام ولا يجـوز- بـأن النيـة طيبـة والقلـب نظيـف.

إن صاحـب أطهـر قلـب وأعـفّ نفـس، وهـو رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- لم يمـسّ امـرأة أجنبيـة قـط. قديمًـا، كانـت النسـاء يجتمعـن ليتدارسـن ويتعلمـن أمـور دينهـن ودنياهـن، اليـوم نجـد عـدد مـن النسـاء يجتمعـن ليتناولـن النرجيلـة معًـا، أو للحديـث والتآمـر عـلى الرجـال، أو لتحريـض بعضهـن عـلى الحجـاب وغـيره مـن الأمـور الدنيويـة والسـطحية.

كـما نجـد اليـوم تغريـب الكثـير مـن النسـاء مـن خـلال بحثهـن عـن عمـل، فـلا ينظـرن لتفاصيلـه. مثـلًا، تجـد وظيفـة مـن شروطهـا أن تكـون حسـنة المظهـر، وغـير محجبـة، وذات أسـلوب مقنـع، وتتحـدث سـاعات طويلـة مـع الرجـال، ومضطـرة أن تبقـى لطيفـة معهـم، مـن مبـدأ: «إذا اشـتكى الزبـون فقـدت عمـلي.» وهـذا تغريـب للمـرأة، ولخصوصيتهـا، وللحـدود التـي يمكنهـا العمـل ضمنهـا. هنـاك ضعـاف نفـوس، وهنـاك شروط عمـل لا ينبغـي لـكِ قبولهـا مهـما كانـت ظروفـك، فالغايـة لا تـبرر الوسـيلة في ديننـا.

فكيـف لنـا أن نقـاوم ونحـارب هـذا التغريـب الـذي بـات يدخـل مـن كل بوابـة مـن بوابـات بيوتنـا بقصـد أو دون قصـد؟ علينـا أن نؤهـل كل فتـاة وكل امـرأة منـذ الطفولـة لتحمـل مسـؤوليتها تدريجيًـا باتبـاع أولوياتهـا في الحيـاة كامـرأة. فكلنـا خلفـاء اللـه في الأرض.

فـإذا كنـتِ معلمـة، فأنـتِ مسـتأمنة فيـما اسـتخلفك اللـه فيـه مـن تعليـم الجيـل الـذي بـين يديـك بإتقـان وإحسـان، وأن تكـوني مـلاذًا آمنًـا في انتقـاء المعلومـات الدقيقـة، لا الممسـوخة، وتقديمهـا بشـكلها السـليم والصحيـح.

أمـا إذا كنـت طبيبـة، فتحـرّي عـن كل مريـض كي تصفـي الـدواء المناسـب. فقـد تكـوني المنقـذة لـه بعـد اللـه مـن ألم أو عاهـة قـد تصيبـه، وكـوني كـما وصـاك رسـول اللـه في أداء الأمانـة في عملـك. وإذا كنـتِ محاميـة، أو صحفيـة، أو مـا شـابه، فـلا تـتركي سـبيلًا لإنقـاذ الأبريـاء، فقـد تكـوني بصيـص الأمـل الوحيـد لهـم بعـد اللـه، ولا تقبـلي الرشـوة، ولا تغـضّي النظـر عـن المذنـب.

أمـا إذا كنـتِ مربيـة، فاحـرصي عـلى حمـل لـواء تأهيـل الجيـل لأجـل أمـة متمسـكة بدينهـا وخصوصيتهـا، لا أمـة منحلـة مسـتغربة ضائعـة في اتبـاع سـنن مخالفيهـا. فـلا تقـولي لأبنائـك أو طلابـك: «مـا زلتـم صغـارًا»، بـل يجـب القـول: «أنـتِ طفلـة اليـوم، وسـتكونين أمًـا بالغـد، ومربيـة، وإنسـانة منتجـة.. أنـتِ الأمـل الـذي نعـول عليـه في إصـلاح جيـل المسـتقبل وإنقـاذه مـن ترهـات الحيـاة، وسـخافتها، وفوضويتهـا».

معركتنا كنساء هي معركة الأمة، فقد قيل: «إن المرأة التي تهز المهد بيمينها، تهز العالم بيسارها». ولأن وجود المرأة على جادة الصواب هو من أخطر الأمور لتحسين أوضاع أمتنا على الإطلاق، أردت تخصيص هذه الفقرة عن رياح التغريب التي تهب علينا يمينًا، ويسارًا، ومن فوقنا، ومن تحتنا.

لا تحزن على من لم يتغير!

قالت لي: «لقد حوربت أنا وأمي وأخواتي بشكل لا يوصف من أجل الحجاب، حتى من أقرب الناس إلينا، وهو أبي. كنا نصلي خفية وراء الباب خشية أن يرانا أحد، ومُنعنا من الخروج إن لم نخلع حجابنا، وفوق ذلك صار اسم أمي في العائلة ‹الخادمة›! فقط لأنها محجبة.

لكن أمي كانت تقول: لعلي أكون خادمة عند رسول الله. بالرغم من كل تلك الضغوطات، والشتائم، والإهانات التي كنا نتلقاها يوميًا من أجل الحجاب، إلا أننا تمسكنا به حتى هذه اللحظة.»

سألتها: «هل يصلي أبوكِ؟»

قالت: «لا»، وانفجرت بعدها باكية، ثم قالت: «أنا أتمنى أن يصلي قبل أن يأخذ الله أمانته، وأخاف عليه. لقد نصحناه كثيرًا، وحاولنا معه لكنه لا يسمع منا أبدًا.»

قلت: «هل هم مسلمون؟»

قالت: «نعم، جميعهم مسلمون، لكنهم كذلك بالهوية فقط.»

كم من مؤمن خرج من صلبه كافر، وكم من مؤمن خرج من صلبه عدو له، وكم من كافر خرج من صلبه مؤمن، وكم من مسلم لا يظهر من إسلامه إلا ما يُكتب على هويته الشخصية.

سبحان من قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

حقيقة حقوق المرأة

لا يمر يوم إلا ويتناهى إلى أسماع كثير منا شيءٌ من الجدل المتصاعد حول حقوق المرأة، حيث تطالب كثير من الأصوات بتحريرها، ومساواتها مع الرجل، وإزالة الفروق بينها وبينه. ومع كثرة هذه الأصوات، تختلط نوايا المطالبين، فمنهم من يريد الإصلاح فعلًا ويناضل كي يرفع الظلم الواقع على كثير من النساء، ومنهم من يريد الإفساد، فيبدو في ظاهر الأمر وكأنه يطالب بحقوق المرأة وصيانة كرامتها، إلا أنّ طلبه في واقع الأمر ليس إلا ككلمة الحقّ التي أُريد بها الباطل! من هنا، فقد أحببت تسليط الضوء على حقوق المرأة، والتركيز عليها في ضوء الإسلام كي تكون جلية لنا دون لبس أو خداع.

إن المتأمل لوضع المرأة على مر القرون في العالم الغربي يعلم أنها عانت ما عانت من احتقار، واضطهاد، وتهميش. فالقانون الإنجليزي بقي حتى عام ١٨٠٥ يبيح للرجل أن يبيع زوجته كأي سلعة، وقد حُدد ثمن الزوجة بست بنسات.

ولقد لاقت المرأة من الانتقاص والمهانة في دول الغرب ما لاقت، لذلك فإن هذه التراكمات أدت إلى الانفجار والانفلات في المطالبة بالحقوق والحريات، وأدى الاحتقان المتزايد أيضًا إلى الانحراف، وتجاوز الحد في معالجة الاضطهاد ضد النساء.

نستطيع أن نتفهم كيف وصل الوضع في الغرب إلى هنا، لكن الغريب في الأمر أن نسمع أصواتًا مسلمة تطالب بالحقوق والعدل على النمط الغربي، بالرغم من أن الله تعالى نص على المرأة بحقوق لم ولن يعطي أحدًا مثلها أو حتى ما يقاربها. ويشهد التاريخ أن الإسلام كرّم المرأة غاية التكريم، وصان لها كرامتها، وحفظ لها حقوقها كما لم يحفظها أحد.

فقد كرّمها في كل أحوالها، سواء كانت أماً، أو بنتًا، أو أختًا، أو زوجة، أو خالة، أو عمّة، فهي تنال التكريم على أي حال كانت. والدلائل في هذا الباب كثيرة جدًّا، والإسلام ينظر للمرأة نظرة تقدير لدورها الأسري والمجتمعي المهم، إضافة إلى أنها شريكة الرجل في تحمل مسؤوليات الحياة، كما أنها مكلفة مثله في

النهوض بمهمة الاستخلاف في الأرض، وهي منشئة الأجيال ومربيتها، إضافة إلى أنها السكن، ومصدر المودة، والحنان، والراحة.

لو نظرنا إلى حق الأم الذي أقره الإسلام، فسنرى أنه قد أوجب طاعتها وجعل رضاها من رضا الله تعالى، وحرم إغضابها، بل جعل حقها أعظم من حق الأب، وحظها من البر أكبر وأعظم. وأكد على ضرورة العناية بها في حال كبرها وضعفها. ولعل أغلبنا يعلم حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما جاءه رجل يسأله فقال: (يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أُمُّكَ، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: ثُمَّ أبُوكَ) [رواه أبو هريرة، أخرجه البخاري].

وفي الوقت الذي نرى فيه كيف تعيش الأم في الغرب غالبًا لوحدها، هي والأب، أو يتركون في دور العجزة ليقضوا بقية أيام عمرهم وحدهم، ثم يموتون وحدهم، أو يضطرون للعمل؛ لأن أبناءهم لا ينفقون عليهم، فإننا وعلى مر القرون نرى أن السائد في دولنا الإسلامية هو رعاية الوالدين وبرهما، خاصة الأم. فمن النادر أن نرى امرأة تضطر للعمل عندما تكبر بهدف الإنفاق على نفسها، خاصة بوجود أبنائها.

أما عن الزوجة، فإن خيريّة الرجل قد قُرِنَت بخيريّته في التعامل معها، كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي) [روته عائشة أم المؤمنين، أخرجه الترمذي].

فتقاس رجولته وأخلاقه بمقياس حسن تعامله مع زوجته، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليها ورعايتها، وأوضح أن لها من الحق مثل ما للزوج عليها إلا أن الزوج يزيد عليه في ناحية واحدة، وتلك الدرجة هي درجة المسؤولية، والإنفاق، والقيام على شؤون الأسرة، فهي ليست درجة حقوق وتشريف بل درجة في زيادة التكليف، والرجل الحقّ -الذي يتقي ربه، ويفهم أمور دينه- يعلم مفهوم هذه الدرجة، ولا يفسرها وفق أهوائه ليظلم زوجته، أو يمتهنها في التعامل والمعيشة، إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

أما الابنة في الإسلام فهي ريحانة البيت والطريق إلى الجنة -إن أحسن الأهل تربيتها-، وقد حث الإسلام على رعايتها، وتعليمها، وتنشئتها تنشئة حسنة، وأعطى على ذلك أجرًا عظيمًا نراه جليًا في بشارة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حينما قال: (مَن كان له ثلاثُ بناتٍ يؤويهِنَّ ويَكفيهِنَّ ويَرحَمهُنَّ فقد وجبَتْ له الجنةُ البتةَ...) [رواه جابر بن عبد الله، أخرجه البخاري].

وقد أوصى الإسلام بالمرأة من الأقارب كالخالة أو العمة، وما إلى ذلك، فأمر بصلة رحمها، وحرَّم قطيعتها بشدة، ويتبين ذلك في الحديث القدسي الذي أخبرنا به نبينا -عليه الصلاة والسلام-، فقال: (قالَ اللَّهُ : أَنا الرَّحمنُ وَهيَ الرَّحمُ، شَقَقتُ لَها اسمًا منَ اسمي، من وصلَها وصلتُهُ، ومن قطعَها بتتُّهُ) أي قطعته. [رواه عبد الرحمن بن عوف، وأخرجه أبو داود].

أما من الناحية المادية، فقد منح الإسلام المرأة ذمة مالية مستقلة، شأنها في ذلك شأن الرجل، تتصرف في مالها كما تشاء ضمن حدود ما أحلَّ الله لها. وقد أعطاها الإسلام ذلك الحق قبل كل الحضارات الأخرى التي كانت تعتبر المرأة ملكاً للرجل يتصرف بمالها دون أن يكون لها الحق في مراجعته، وبقيت كذلك في أوروبا إلى أمد ليس ببعيد، حتى نهاية القرن التاسع عشر.

بينما تمتعت المرأة المسلمة بهذا الحق منذ ظهور الإسلام الذي كفل لها حق البيع، والشراء، وإبرام العقود دون تدخل أي رجل، سواء كان أبًا، أو زوجًا، أو غير ذلك. حيث حرم الإسلام على سائر الرجال عمومًا والزوج خاصةً، أن يتصرفوا بمال زوجاتهم دون إذن ورضا منهن، وإن فعلوا ذلك فهم آثمون. وقد أعطى الإسلام المرأة الحق في الصداق، وهو المهر الذي فرضه الله تعالى على الزوج تكريمًا لها وتصديقًا لرغبته بها.

ولها أيضًا حق النفقة عليها في الطعام، والشراب، والملبس، والمسكن، بينما ما زالت المرأة الغربية، حتى في عصرنا الحديث، تخرج من منزل والديها بعد سن

الثامنـة عـشرة لتبـدأ في العمـل وإعالـة نفسـها، وإن رغبـت في البقـاء، فعليهـا أن تدفـع إيجـار السـكن، وثمـن الطعـام، والغسـيل، ومـا إلى ذلـك. كـما أنهـا في الغالـب تنفـق عـلى نفسـها حـين تتـزوج أيضًـا.

إن الحقـوق التـي يتبجـح الغـرب ويتفاخـر بأنـه يحققهـا للنسـاء هـي جـزء مـن الحقـوق التـي أخبرنـا بهـا النبـي -عليـه الصلاة والسـلام- قبـل ١٤٠٠ سـنة، وهـو في زمـن لا يُعـرف فيـه للمـرأة حـق، وقـد كانـت كل الأمـم حينهـا تسـتعبد النسـاء.

علينـا نحـن النسـاء المسـلمات أن نرفـع رؤوسـنا عاليًـا ونفتخـر لأن اللـه مـنَّ علينـا بديـن يصوننـا، ويحفـظ كرامتنـا، وأعطانـا حقوقًـا لا يمكـن لأحـد أن يعطينـا مثلهـا.

وعندمـا نـرى مـن يهاجمـون الإسـلام وينـادون بتحريـر النسـاء وإعطائهـن الحقـوق الكاملـة، وينصبـون أنفسـهم مدافعـين ومناضلـين مـن أجـل المـرأة، فعلينـا أن نقـف قليـلًا لنتفكـر: لمـاذا لا يناضـل هـؤلاء لإعانـة النسـاء اللـواتي تـشردن أو ضاعـت أحلامهـن بـين خيـام اللجـوء، مثـلًا؟ لمـاذا لا يأخـذون بأيـدي النسـاء اللـواتي يعانـين الفقـر، ويفقـدن مـا يفقـدن في الحـروب أو في دول العـالم التـي تعيـش في متاهـات المجاعـات، والأمـراض، والتـشرد؟

إن أغلـب هـذه الحـركات تتبـع خلفيـة غربيـة، والغـرب حـاول احتلالنـا مـرارًا، وكانـت محاولاتهـم تبـوء بالفشـل في تغيـير مفاهيـم المجتمـع الأساسـية. في النهايـة، ورغـم

القـوة العسـكرية، وسياسـة البطـش والتعذيـب، ودعـم الطواغيـت التـي يتبعونهـا، كان اللجـوء لهـدم الأسرة الخيـار الأمثـل لتفكيـك المجتمـع مـن الداخـل. ولذلـك، اتجه شـياطين الـشرق والغـرب للتغريـر بالمـرأة تحـت شـعارات خداعـة رنانـة لإبعادهـا عـن جوهـر مهمتهـا.

وعندمـا تفسـد المـرأة، فـإن الأسرة التـي تمثـل حصنًـا يعلـم الديـن، والقيـم، والأخـلاق، وحـب الوطـن، والشـهادة، سـتنهار، وسـيكون الجيـل الناشـئ مسـخًا تافهًـا لـه اهتمامـات سـطحية، يسـهل اقتيـاده وتوجيهـه.

الإسـلام أبعـد مـا يكـون عـن الظلـم، وبـريء مـن كل ظـالم، وتعاليـم الإسـلام لا تتغـير مهـما تغـير الزمـان. ووجـود حـالات ظلـم للمـرأة ليـس مـن الإسـلام في شيء، لكنـه نتيجـة لضعـف التديـن، وقلـة التربيـة، والأخـلاق، مـما أدى إلى خلـل في أداء هـذه الحقـوق. لكـن المؤمـن الحـق يبتعـد عـن الظلـم، ويخـشى عواقبـه، ويعامـل المـرأة -التـي شـبهها -عليـه الصـلاة والسـلام- بالقواريـر لرقتهـا- كـما أمـره اللـه تعـالى، ويعطـي كل ذي حـق حقـه، ويتذكـر دائمًـا عواقـب الظلـم الوخيمـة، ووعيـد اللـه الشـديد لـكل ظـالم.

عمل المرأة بين واجباتها وطموحاتها

كثير من النساء يعانين من وجود مسافة بين واجباتهن اليومية وطموحاتهن الاستراتيجية. فقد يعيقني ما يتوجب علي كفتاة أو امرأة مسلمة في تحقيق طموحاتي الشخصية، فكيف أوفق بين أهدافي وواقع حياتي، وأشعر بالأمان النفسي والرضا بعد ذلك؟

سألتني عدة صديقات حول رأيي بهذا الموضوع، وأنا أعلم أنهن دارسات لاختصاصات متعددة مثل الطب، والهندسة، والترجمة، وغير ذلك. وقد تركن أعمالهن، وتفرغن لأبنائهن وأزواجهن، فيسألنني: كيف أعيش بلا طموح وبلا هدف؟ أشعر أني أصبحت كرسيًا في المنزل، أجلس طيلة اليوم بلا فائدة تذكر إلا تنظيف البيت، والعناية بالأولاد، وانتظار الزوج المشغول، فهل هذه حياة؟!

الجواب يبدأ من اعتمادنا مفهوم الطموح. فإن أصطلحنا على أن الطموح هو الأهداف التي تتحقق من غاية سعينا، فغاية المسلم هي الدار الآخرة حسب الأمر الإلهي. فقد قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾ [القصص: ٧٧].

أما ابتغاء الدار الآخرة، فيكون بالقيام بواجباتي على أكمل وجه بإخلاص لله تعالى، ولو تعارض ذلك مع طموحاتي وأهوائي في إثبات نفسي في مجالات الحياة.

فتقصيري في مهمة أساسية تخص المنزل لن يغني عنها إنجازي لمئات المهام الفرعية خارجه.

لنكن واضحين، أي رجل أو امرأة في البشرية قد يفضلون اتباع أهوائهم واتخاذ طريق بعيد عن مسؤوليات الزواج وأعبائه، وربما الاستغناء عن مؤسسة الزواج كاملة هربًا من المسؤوليات والتبعات المترتبة عن ذلك.

ولكن لأن فطرة الإنسان تدفعه إلى تكوين عائلة، وحاجته لشريك من الجنس الآخر، وأطفال يملؤون البيت فرحًا وسعادة، يقرر الطرفان الارتباط. وعند هذا القرار يبدأ الإنسان في دفع ضريبة ذلك في الدنيا الناقصة (دار الابتلاء).

وهنا تطرأ التغيرات وتتغير الخطط، فلم يعد الرجل قادرًا على استكمال كثير من أنشطته الشخصية، وقد يغير في ترتيب أولوياته إن أراد أن يعيش حياة سعيدة ينعم فيها بالاستقرار مع زوجته وأبنائه. وبالتالي، وقد اختار بإرادته الحرة أن يتزوج، فليس منطقيًا أن يعيش حزينًا على فراق أصدقائه أو قلة اجتماعه بهم. ولم يعد الوقت كافيًا للسهر معهم كل يوم، وعليه أن يتخلى عن كثير من الرحلات والتخييم والمقاهي، وقد يضطر لتغيير عمله ليكون قريبًا من المنزل، أو ليحسن دخله، أو ليتناسب وقته بشكل أكبر.

كذلك، بعد سنوات قليلة أو ربما أيام، ستبدأ طموحاته أو أهدافه، أو سمها ما شئت، بالتغير لأهداف أكثر واقعية وأهمية. فقد ينفق كل ما يملك على علاج أفراد عائلته الجديدة، بدلًا من إنفاق الأموال على سيارة فارهة حلم بها منذ الصغر، وقد ينفق مبلغًا ضخمًا على مدرسة ابنه الذي صار استثماره الأمثل، وهذا كله فرضه واقع الحياة الجديد.

أما المرأة، وهنا مربط الفرس من حديثي، فقد درست، وتعلمت، وحصلت على وظيفة ربما، ثم قررت الزواج. وفي لحظة دخول عش الزوجية، بدأ كل شيء يتغير تباعًا. وأنا امرأة خرّيجة ومتزوجة ولدي أطفال، وعلى دراية وتجربة بما أقول.

قد تتمكن المرأة من العمل بوقت شبه كامل في أول الزواج، لكن مع الحمل ووجود الأطفال، فلن تعمل بصراحة إلا إن اضطرت لذلك حسب الظروف التي تفرضها أعباء الحياة.

ثم ستبدأ تتفرغ لأبنائها، وتلاحقها ذكريات عما كانت عليه قبل الزواج وقبل الأطفال، ثم تحاول تغيير الواقع، وتصطدم به. أين ستترك أولادها إن ذهبت للعمل؟ من سيعد الطعام للأسرة؟ من سيعتني بالمنزل إن هي غادرت؟ من سيلاحق وظائف الأولاد وتعليمهم؟ من سيخيط الثوب، ومن سيتسوق الملابس؟ ومن ومن؟ والإجابة بالتأكيد: شخص متفرغ وحنون هو أنتِ.

أنا التي درست وتعلمت لأكون كذا وكذا وأحقق كذا؟ نعم، أنتِ التي قبلتِ الزواج بأعبائه ومسؤولياته لتمارسي أعظم دور، وهو العناية بأسرة كاملة. وفوقه، إن استطعتِ متابعة ما بدأته من عمل، بمعايير شرعية لا تخالف أوامر الله تعالى، ويليق بأنوثتك، ويرضى به زوجك، ودوامه يراعي التزاماتك، حيث إن وقتك وقوتك محدودتان، فلستِ المرأة الخارقة. ولكن لأن تحصيل عمل بهذه الشروط هو أمر صعب في زماننا، قد تبدأ المرأة في اختيار شيء على حساب شيء آخر تريده. وهذا أيضًا لا يستوي مع الحياة السعيدة. فما الحل؟

حقيقةً، قد تبتلى المرأة كما الرجل بتغيير مسار الطموحات، والأهداف، والأولويات عند الزواج. وكما يقال، فإن الذكاء هو القدرة على التأقلم مع التغير.

هنا، لا يكون من الحكمة عندما تتخذي طريق الزواج والأمومة أن تنظري إلى ما ليس متاحًا لكِ. تأقلمي فيما أنتِ فيه، وكوني سعيدة، واصبري في أداء واجباتك حيث أقامك الله تعالى-.

وإن استطعتِ التنفيس عن نفسك ببعض الإنجازات خارج البيت، فبها ونعمت، ما لم تتعارض مع ما أنتِ فيه. ومن ثم، من رضي له الرضى، ومن سخط له السخط. بل ستبدئين الشعور بالسعادة فيما تقومين به عندما تبذلينه لوجه الله تعالى في خدمة زوجك وأبنائك، وحاشا لله إلا أن تجدين ثمرة لذلك وإخلاصك في الدنيا والآخرة.

كل ما سبق هو عن التي تود العمل لإثبات ذاتها أو لتتحاشى الكسل، والخمول، وقلة الفاعلية بين مجتمعها المحيط، أو التي تود أن تكون في دائرة التأثير. أقول لنفسي ولكم: اصبري مقابل العناية بأسرتك، فما كل ما يتمناه المرء يدركه. وحاولي بالتأكيد إدراك ما استطعتي من تقديم المفيد والنافع من الأعمال والأفكار.

والله لن يضيعنا. وبالمقابل، تأتي على الفتاة الدارسة وذات الخبرة العملية فترات كثيرة تستفيد فيها من دراستها، وعلمها، وخبراتها في العمل، وذلك في جوانب كثيرة وربما لا تحصى في تفاصيل الحياة داخل المنزل وخارجه. فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. حيث يجب على الفتاة أن تستمر في التحصيل، والدراسة، أو تعلم ما يفيدها من علم أو عمل بحجة أنها ستتفرغ لاحقًا للأبناء والأسرة.

فأي واحدة من سيدات البيوت قد تجد نفسها في لحظة ما -وربما مفاجئةً- بحاجة للعمل لمئات الأسباب الممكن حصولها في أي وقت. وما أكثر من يعيشن هذه الحالة اليوم، اضطررن للعمل وربما أصبح لديهن أولوية على كل المهام الأخرى؛ لأجل حياة كريمة تنفق بها على نفسها أو أسرتها.

ولمن تعيش هذا الوضع، حاولي بأكبر قدر ممكن تلافي سلبيات العمل خارج المنزل. وإن كان يستحيل تعويض أي ساعة لم تقضيها مع أبنائك بصراحة، ولا يتسع المجال هنا لذكر السلبيات، ولكن استعيني بالله ولا تعجزي. فقدر الزوجين

هـو التعـاون في مسـيرة الحيـاة. واصـبري عـلى مـا أنـتِ فيـه، وعليـك بالدعـاء ومحاولة تغيـير الوضـع، خصوصًـا في حالـة وجـود عـدة أبنـاء.

رسـالتي هنـا هـي التأكيـد عـلى الأولويـات، وعـلى رضـا المـرء بمـا قسـمه اللـه لـه وبأقـداره، لنعيـش في أمـان نفـسي، ورضـا، وعلاقـة طيبـة مـع مـن حولنـا، والأهـم لنيـل رضـا اللـه تعـالى في إحسـاننا وإتقاننـا لمـا نقـوم بـه، دون تذمـر أو نكـد مـن الظـروف وإن لم تعجبنـا. فهنـا يكـون الاحتسـاب والصـبر الجميـل.. وهـو صـبرٌ دون تشـكّي.

تبهيم الجسد في تسليع المرأة!

أينـما التفتنـا، تظهـر لنـا امـرأة، صـوت امـرأة، ضحكة امـرأة في الشـوارع، عـلى لوحات الإعلانـات، أو في هواتفنـا مـن خـلال إعـلان ترويجـي لسـلعة أو منتـج مـا، ومـن خلال تصفحنـا لمواقـع التواصـل الاجتماعـي، حتـى وإن كانـت مـدة التصفـح قصـيرة جدًّا.

فـكان مـن مسـتنبطي الإشـهار بالمـرأة أنهـم وجـدوا فيهـا آلـة مناسـبة لترويـج منتجاتهـم وأفكارهـم، فسـخروا جـمال المـرأة وجسـدها لترويـج المنتجـات مـن خـلال أدائهـا لإعلانـات الـشركات. أصبـح للمـرأة مكانـة مهمـة في التأثـير النفـسي عـلى المتلقـي، حيـث يسـعى المعلـن دائمًـا إلى تكويـن صـورة ذهنيـة للمنتـج ملتصقـة بصـور الإغـراء.

هـذه النـماذج -دون أدنى شـك- تقـدم سـلعة مـا بلبـاس يمس صميـم الحياء والحشـمة في حـركات المـرأة، وإظهارهـا عـلى أنهـا مخلـوق مجـرد مـن القـدرات العقليـة. ومـع الانفتـاح عـلى مواقـع التواصـل الاجتماعـي، أصبحنـا نشـهد سـلعنة للجسـد الأنثـوي وتبهيمه.

فعـلى سـبيل المثـال، أصبحـت نجـمات هوليـوود، وعارضـات الأزيـاء، والمغنيـات، ورائـدات الفاشينيسـتا قـدوة ونموذجًـا يُحتـذى بـه عنـد المراهقـات والنسـاء. فممكـن أن نجـد مراهقـات، ومـن بـاب جهلهـن بالحيـاة والوحـوش البشريـة المحيطـة بهـن، وقلـة اطلاعهـن عـلى القضايـا الفكريـة والثقافيـة، وسـطحية مسـتواهن مـن النواحـي العلميـة، وحـب التجريـب والخـروج عـن المألـوف، تجعـل منهـن لقمـة سـائغة لمـآرب المعلنـين.

فـكان أول إعـلان اسـتخدم المـرأة كوسـيلة ترويجيـة في الولايـات المتحـدة في عـام ١٩١١، وقـد قوبـل بالرفـض والاحتجاجـات مـن قبـل الكثـير مـن الصحـف. كان أول إعـلان فيـه صـورة مثـيرة لامـرأة قـد صممتـه امـرأة تُدعـى هيلـين، وكانـت الدعايـة لماركـة صابـون.

والإعـلان عبـارة عـن صـورة لـزوج يهـدي زوجتـه الصابونـة، ومعهـا عبـارة: «جسـد يحـب اللمـس». وفي ذاك الوقـت، رفضـت الصحـف نـشر العبـارة واعتبرتهـا مثـيرة! أمـا اليـوم، فقـد نجـد في الإعلانـات مشـاهد إباحيـة تُعـرض في الشـوارع، وعـلى غـلاف

الصحف، وبعض الكتب، ودون أي اعتراضات تُذكر. وإن وُجدت اعتراضات، فهي خجولة وتكاد لا تُسمع.

في عام ٢٠٠٠، صدرت قرارات مجلس الأمن ١٨٢٠ و ١٨٨٨ و ١٨٨٩ و١٩٦٠ لإرساء قواعد حماية وتعزيز حقوق المرأة. وركزت تلك القرارات على ثلاثة أهداف رئيسية هي:

- تعزيز مشاركة المرأة في صنع القرار.
- إنهاء العنف الجنسي والإفلات من العقاب.
- وضع نظام للمساءلة.

ما يثير الاستهجان أنهم لم يتطرقوا لتسليع النساء واختزالهن في جسد مغرٍ. أليس هذا تحت بند العنف الجنسي، ويستحق إصدار قرارات جدية بحقها؟!

أما في عالمنا العربي، فتوجد مادة في ميثاق الشرف الإعلامي العربي الذي أقرته جامعة الدول العربية، والذي ينص على «الالتزام بأخلاقيات المجتمع العربي، وعدم استغلال الطفل والمرأة في الحملات الإعلانية بشكل يسيء إليهما».

لكن هذه المادة، رغم وجودها، إلا أنها فعليًا قيد التنفيذ، والدليل على ذلك ما نراه في الفضائيات العربية من الإعلانات الممزوجة بأخلاقيات غربية لا تتناسب مع ديننا ولا مع ثقافتنا.

«اليزابيث جاكستادت»، الشابة الألمانية، كانت تظهر في الإعلانات منذ كانت في عمر الخامسة عشر سنة. وتحدثت عن طريقة تعاملها مع صناع الإعلانات، حيث أخبروها ذات يوم أنهم استغنوا عن التعامل معها بسبب زيادة وزنها بعض الشيء. فكان ردها آنذاك: «أنا إنسان ولست سلعة». كما قالت إن إظهار مفاتن المرأة يحقق المبيعات، وكانت تشعر بأعين الرجال تلاحقها.

وفي دراسة بعنوان (كيف يتم تصوير النساء في الإعلانات؟ دراسة تحليل محتوى الإعلانات البرازيلية)، وُجد أن هناك العديد من الصور النمطية المستخدمة للنساء، وتُستخدم هذه الصور غالباً للفت نظر الرجل.

يقول الدكتور مصطفى محمود في كتابه «الروح والجسد»: « لقد أصبحت صورة الجسم العاري ماركة مسجلة نروج بها أي بضاعة».

صورة المرأة العارية هي تعويذة التاجر التي يرسمها على إعلانات السجائر، وإعلانات الخمور، والصابون، والكاميرات، والساعات، والأقمشة، حتى أدوية الزكام، وشفرات الحلاقة، ومعاجين الأسنان.

طبعاً، على الرغم من كل القوانين ومواثيق الشرف الصحفي التي تنادي بأخلاقيات الإعلان المهنية، إلا أنه لا يمكن لأحد أن ينكر أن أهم نقطتين يركز عليهما الإعلان اليوم هما «الإثارة والجمال»، المتمثلان حسب رؤى شركات التسويق في المرأة.

الأمر العجيب أنه في الوقت الذي تحتفل فيه المرأة سنويًا بيوم المرأة العالمي، وتُمنح حقوقها في العمل، والانتخاب، والتساوي مع الرجل، وغيرها من الحقوق المزعومة، تقابلها إساءة أخلاقية وإنسانية من خلال جعلها سلعة تنافس في الأسواق لكسب مبالغ مالية. وكل هذا يكون على الميزان، أي حسب جمالها ومفاتنها يكون الدفع. في يوم المرأة، تُستغل المرأة لترويج كل شيء دون أي استثناء.

تقول عنان فيرست، مؤلفة كتاب «المرأة كسلعة»: «الإعلانات تعكس بالأساس الأيديولوجية الرأسمالية ودور المرأة ضمنها، وتؤكد على أن صورة المرأة في الإعلان لا تخرج عن أنماط وأدوار محددة عادةً ما ترتبط بالمنزل وأعمال التنظيف والجانب الجنسي.» الأمر الذي أعتبره مهينًا لكرامة المرأة وتحجيمًا لدورها، حيث يختزل في الصورة النمطية التي يعززها الإعلان دائمًا.

الخطورة تكمن في أن المرأة شيئًا فشيئًا تتحول من سلعة إلى شيء مادي لا إحساس له، من خلال محاولات سهلة لغرس أفكار، وقيم، ومعايير، وهواجس للوصول إلى أعلى مستويات الجمال، بتحديات واضحة من خلال عمليات التجميل، والعناية المنهكة بالجسد والبشرة. وهذا يدفع كثيرًا من الناس لتبني تلك المعايير كأهداف ينبغي الوصول إليها لتحقيق الكمال والسعادة التي تُبنى على تلك الشكليات.

سؤال يراود الكثيرون: ماذا عن شعور المرأة؟ هل تشعر أو تجد أنها عندما تتحول إلى شيء أو إلى سلعة برضا من داخلها، أم أن هذا بمنظورها حرية وتمكين للمرأة؟ ماذا لو حولت شركات الدعاية المرأة إلى سلعة كاسدة، أو بسبب المنافسات القوية، اضطرت لانتظار عروضها من السوق السوداء؟

في الحقيقة، وجود قدوات سيئة للمراهقات يكاد يتحول إلى هاجس أو هلوسة، فتتقمص شخصية ما، وتحاكي حركاتها، وشكلها، ولباسها، وحديثها، مما يحولها إلى فتاة سطحية، أكبر هدف وطموح لديها هو عمل «فلر» عند نفس دكتور الشخصية التي اتخذتها قدوة، كيف وبعدما سنحت الفرصة لها أيضًا بشهرتها، بعد توفر عشرات البرامج على وسائل التواصل الاجتماعي.

أمر محزن أن نرى فتاة تتفنن في الإغراء لجذب وشد انتباه الآخرين، وتترك بصمة في عالم يهدم المجتمع، وتحويل هموم الأمة إلى كنزة وقلم كحل اشترته من الماركة الفلانية. فتتحول نظرة المرأة هنا -المتابعة لواجباتها- إلى كونها ثانوية ويمكن الاستغناء عنها، المهم إثبات الجمال والوجود الأنثوي، حتى لو كان على حساب دينها، ومجتمعها، وعائلتها، وحتى شخصيتها.

النسوية فكرة غير بريئة!

ماذا تعني النسوية أو «فيمينيزم» التي تتبعها تدريجيًا كثير من النساء، مع الأسف؟ النسوية هي حركة بدأت منذ أكثر من قرن، وكانت انطلاقتها من المجتمع الغربي. أول ما نادت به النسوية هو منح المرأة الحقوق الأساسية من التعليم والعمل، وهي الحقوق التي حُرمت منها في مجتمعها الغربي قبل الثورة الصناعية. ثم تطورت فكرتها إلى المطالبة بالمساواة مع الرجل في جميع الشؤون السياسية، والاقتصادية، والجنسية، والفكرية، ومماثلته في كل شيء.

تسللت هذه الحركة إلى مجتمعاتنا العربية وحققت مكاسبًا خطيرة، حيث أصبحت مطالب النسوية تتضمن التفلت من جميع القواعد والقيود الاجتماعية والدينية.

باتت تهاجم القدوات الحسنة في المجتمع الإسلامي، وتشكك في الثوابت الدينية، وتنزع الحجاب، وتحرض المرأة ضد الرجل، داعيةً إياها لتكون أقوى منه ومستقلة عنه، باستثناء مديرها في العمل الذي يحق له أن يسألها عن تأخرها وفرض العقوبات عليها، دون أن تدافع عن عقيدتها بالحركة النسوية التي تقاتل من أجلها في بيتها، وبالأخص مع زوجها. فعليها أن تتحمل مديرها في العمل من أجل الحفاظ على استقلاليتها المزعومة، وأن يكون لها عمل خاص لا يعيقها عن قيود الرجل.

تحدث عن هذه الحركة العلامة أحمد شاكر في كتابه «كلمة حق»، قائلًا: «نريد أن نحفظ أعراض المسلمين، وأن نحارب ما أحدث (النسوان) وأنصار (النسوان) من منكرات الإباحية والمجون والفجور والدعارة. هؤلاء (النسوان) اللائي ليس لهن رجال، إلا رجال (يشبهن) الرجال! هذه الحركة النسائية الماجنة التي يتزعمها المجددون وأشباه المجددين، والمخنثون من الرجال، والمترجلات من النساء، التي يهدمون بها كل خلق كريم، يتسابق أولئك وهؤلاء إلى الشهوات، وإلى الشهوات فقط.»

بتنا نرى شعاراتهم الآن ترتفع شيئًا فشيئًا، وهذا ما استدعاني للكتابة عن النسوية.

فما هي شعارات الحركة النسوية التي تقاتل من أجلها؟ الفيمينيزم تنادي بأن تكون المرأة مستقلة، وألا تحتاج الرجل لأي سبب كان، كي لا تفقد احترامها لنفسها، وتكون بذلك قد فقدت كرامتها أيضًا. كما تنادي بعدم الوثوق بالرجال، وعلى المرأة أن تكون في نفس مستوى الرجل، وعليها ألا تضحي من أجل أي رجل، كائنًا من كان، وإن كان لدى المرأة نزعة التضحية، فعليها أن تضحي من أجل امرأة مثلها.

تطالب النسوية بأن يكون لها حقوق كحق أي رجل، وترفض الكثير من الأحكام الشرعية التي خصّ الله تعالى بها الرجل والمرأة، كالقوامة، والتعدد، والميراث، والاختلاط، والحجاب. فالحجاب -بنظرهم- هو عبارة عن قطعة قماش تتسبب في جهل المرأة، ودليل على تخلفها. فبالتالي، النقاب سيجعل منها امرأة بلا كرامة وذليلة برأيهم.

كما تمنح النسوية حرية الإلحاد، ونبذ الدين، والانحلال عن أحكام الشرع، وماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة هي تفكك الأسرة، وذهاب الحاضنة الاجتماعية، وفساد المجتمع أخلاقيًا، ودينيًا، وعقائديًا.

تشجع الحركة أيضًا على بناء العلاقات مع مختلف الأجناس، ولا فرق بين رجل وامرأة حتى لو كانت متزوجة. فلا يكون الزواج سببًا لأن تنعزل عن أي من الجنسين، حتى لو رفض زوجها. فالنسوية تقول لها: «لا تحجري على عقلك، فزوجك شيء ثانوي في الحياة، ويمكنك الاستغناء عنه.»

تدعو الحركة للتحرر من أفكار الخجل، والحياء، والعيب، والحرام، والأفكار القيمة التي تربت عليها الفتاة عند أهلها. وتخاطب النساء بقولها: «تحرري من كل القيود، واعملي كل ما يجول في بالك، لا تدعي أي قيد يمنعك من حريتك بلباسك، أو مكياجك، أو أصدقائك، أو سيجارتك ونرجيلتك، وحتى سكرك إذا رغبتِ. يكفي أن تكسري القيود والأفكار المتخلفة العالقة في ذهنك، وتتحولي إلى امرأة متحررة تؤمن بمساواتها بالرجل.»

وأفكار النسوية قائمة على الفكر الليبرالي الذي ينادي بالحرية المطلقة للمرأة في جميع ممارساتها، ومساواتها بالرجل في كل الحقوق. وهذه الأفكار تناقض

مبدأ العبودية لله، والاستسلام لشرعه، والانقياد له بالطاعة بفعل ما أمرنا به، وتجنب ما نهانا عنه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

بتنا نرى خلال تصفحنا لمواقع التواصل منشورات للنسويات يشجعن بعضهن قائلات: «الحرية الجنسية أساس من أسس الحركة الحقوقية النسوية، ولا نخجل من ذلك ولا نخفيه، بل نعلنه بقوة، ولن يقيدنا أحد بالكلمات، ولا بالقوانين، ولا بالتهديدات. نحن هنا حرائر فكريًا وجنسيًا».

من أبرز النسويات في العالم العربي هدى شعراوي، وصفية زغلول، إضافة إلى جميلة بوحريد، وليلى خالد، ونوال السعداوي. طبعًا، بعض هذه الأسماء سمعنا بها لأنها دخلت ضمن مناهج التعليم. على سبيل المثال، في سوريا، تم تقديم بوحيرد على أنها مناضلة في حركات تحرير المرأة، ولكم أن تتخيلوا أن كتب نوال السعداوي تُدرس في تونس.

معركة النسوية ليست معركة حق ضد باطل، وإنما هي معركة الإناث ضد الذكور، سواء كان الذكور على حق والنساء مخطئات، فعقيدة النسوية تقول: «إن الأنثى مقدسة لا تخطئ، وإذا أخطأت فالسبب يرجع إلى الذكور».

ومـن أسـوأ الأسـاليب التـي تتخذهـا النسـويات تشـويه صـورة الرجـال في عقـول المراهقـات، والعمـل عـلى تحطيـم القـدوة في حياتهـن، وتخويـن أوليـاء الأمـور مـن خـلال اللعـب بمشـاعرهن، مدّعيـات أنهـن مضطهـدات تحـت جنـاح أوليـاء أمورهـن.

كـما يتعـرض العلـماء للنقـد والاسـتهزاء بالنصـوص الدينيـة، مـما يسـهل عـلى الفتـاة التمـرد وتشـكيل شـخصيتها المنحرفـة والمشـوهة بأفكارهـم، فتثـور عـلى الديـن، وتتمـرد عـلى أبيهـا وأخيهـا، بـل وعـلى أسرتهـا بالكامـل. وتُشـوه صـورة العلاقـة الزوجيـة، حيـث تُوصـف بأنهـا مقـبرة، والمـرأة سـتدفن فيهـا طيلـة حياتهـا.

الفيمينيـزم تربـط دائمًـا بـين الولايـة والعنـف. ومـن المعلـوم أن العنـف تواجهـه المـرأة في المجتمعـات العلمانيـة التـي لا تؤمـن بنظـام الولايـة، وتعمـل بقانـون المسـاواة بـين الجنسـين. مـن بحـث في الإحصائيـات حـول حـالات الاغتصـاب والقتـل للنسـاء في الغـرب، أيقـن هـذه الحقيقـة، وهـذا لا يعنـي أننـا ننكـر العنـف في مجتمعاتنـا.

اشـتهرت بعـض الروائيـات النسـويات اللـواتي لعـبن دورًا رئيسـيًا في تحريـض النسـاء عـلى الرجـال، وشـجعوهن عـلى التمـرد عليهـم، ونعتـوا الرجـل بالقـذر، والـكاذب، والخائـن، والمسـتبد، وعـلى المـرأة التعامـل معـه بنديـة وبلغـة القـوة، حتـى أصبحـت مثـل هـؤلاء الروائيـات مصـدر إلهـام للنسـاء مـن خـلال القصـص التـي كُتبـت حـول الرجـل الـكاذب، والخائـن، والظـالم، والمـرأة الصادقـة البريئـة المضطهـدة.

لا يوجد شيء اسمه مساواة بين الرجل والمرأة لا نفسيًا، ولا اجتماعيًا، ولا دينيًا، لكن يوجد عدل. توجد أشياء من حق الرجل على المرأة، وبالمقابل توجد أمور من حق المرأة على الرجل. المنطق يقول إن المساواة بين طرفين مختلفين أصلًا دائمًا يعد ظلمًا، حتى لو كانوا من نفس الجنس.

ليس من المنطقي أن يشعر الرجل بأنه يعيش مع زوجته وكأنها رجل مثله، وكذلك المرأة تشعر وكأن الذي تعيش معه امرأة مثلها. مرفوض عقليًا أن تتحول المرأة إلى رجل البيت، وزوجها يقبل ويخضع لذلك. بالأساس، احتياجات وصفات واهتمامات الرجل الجسدية والنفسية مختلفة، يعني يحق للمرأة أن تطلب من زوجها النفقة، والاحترام، والاهتمام، ومعاشرة بمعروف، وغير ذلك من حقوقها التي فرضها لها ديننا العادل.

الفيمينيزم تقول: يمكن للمرأة أن تعيش من دون رجل، والفطرة السوية تقول إن هذه ترهات لا يمكن لامرأة طبيعية أن تعيش دون رجل دون أن تشعر بالنقص. كما أن الرجل لا يمكنه العيش من دون امرأة. سنة الكون تقول هذا، والتي فيها رحمة للزوجة بوجود زوج يمثل المعين، والمكمل، والحبيب لها في حياتها. وكذلك وجود الزوجة يمثل حياة المودة، والرحمة، والاستقرار، والطمأنينة في حياة زوجها. تدعو النسوية إلى الطلاق وعدم البقاء تحت رحمة أي رجل، وأنا أقول لكِ: زوجكِ سند وأمان، فلا تصغي لمثل هذه الحركات السفيهة.

نحن نتكامل لا نتنافس. بالمختصر، لسنا في حلبة صراع. ولو أراد أحدهم تحويلها إلى ذلك، فلا يحق لنا أن نلغي قواعد اللعبة بأكملها ونسعى لإفساد النظام الإنساني من أجل إحداهن تعاني من تسلط لسان أخيها عليها أو ضربها، فتقرر أن تخرج علينا جميعًا بانحرافات ما أنزل الله بها من سلطان؟! ما ذنب المجتمع لو ظلمك أحد أفراد من عائلتك؟

فلتقرري الرد مباشرة على من ظلمك، وخذي حقك في حال كان لك حق عند أي شخص، لكن أين البطولة في أن تخرجي على الجميع بآراء ليست لديك الجرأة ربما أن تقوليها لهم بشكل مباشر؟

هذه مشكلة عند الكثير من النسويات؛ يحاولن تعويض ضعف الشخصية بقوة الشخصية من خلال فيديوهات على مواقع التواصل، ويحرضن ويشجعن النساء على الفساد والانحلال، أو بصراحة من خلال تفلتهم عند وصولهم لأوروبا، فيعتبرونها طريقتهم القوية في الرد. ولا يدركون أن الذي ظلمهم لن يغني عنهم من الله شيئًا، ولن يدافع عنهم أمام الله.

فما الحل؟

الحل: كوني قوية بالحق، لا تخلطي الحق بالباطل، فيصير العدل والحق منك براء. وهذا الكلام لكل واحدة تفكر بالرد على أهلها بطريقة نسوية تعادي فيها جنس الذكور.

ليس من الخطأ، ولا العيب، ولا الحرام أن تتعالج المرأة أحيانًا، وتتبع علاجًا مع طبيبة نفسية تخاف الله وتعينها على تجاوز أزمة سببها لها خطيب، أو زوج، أو أهل. عوضًا عن ترك المشكلة تكبر ويزداد كرهك للرجال، ويتضخم، ويتحول إلى حقد تعبري عنه من خلال محاضرات لمراهقات أو لمن أضاعت بوصلتها في الحياة، أو تعبري به من خلال الشاشات.

والنتيجة ستكون مؤلمة إذا استمريت بهذا المفهوم، وستؤدي بك الحال إلى أن تعيشي وحدك وتموتي وحدك بعد حياة فارغة، وتنحرمي أو تكوني سببًا في حرمان غيرك من دفء العائلة، والزوج، والأبناء. والأهم أنك بالانجرار مع النسوية ستكونين معولًا لهدم أهم القيم الاجتماعية التي جاء ديننا ليعلمنا إياها ويثبتها.

موضة أسلمة النسوية

تحدثت سابقًا عن النسوية ومعناها ومؤداها، لكن موضة جديدة دفعتني للكتابة عنها وهي «أسلمة النسوية» -إذا صح التعبير- حيث نجد مسلمات مصليات صائمات، يعتنقن فكرًا مضادًا لتعاليم دينهن، إما لمصالح دنيوية مادية شخصية ضيقة، أو لضعف في العلم والعقيدة، أو بسبب اتباع منحرفي الفكر. على أية حال، رسالتي هي تنبيه من لا يعلم، وتوضيح المبهم، وتحذير الغافل.

لنتكلم بصراحة، النسوية هي نظرية تعتمد المساواة المطلقة بين الجنسين، وتعاليم الإسلام شرعت بالنظر إلى ناحيتين مهمتين: ناحية المساواة الإنسانية وناحية التفاوت في التكاليف، حيث لكل جنس خصائص، وصفات، وحقوق، وواجبات مختلفة عن الآخر. فقال تعالى: ﴿...وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ...﴾ [آل عمران: ٣٦].

فالعدل في صنفين متفاوتين لا يكون بالمساواة بينهما، فهل نساوي مثلًا بين الطالب الطويل والطالب القصير في أماكن الجلوس في المدرسة؟ إن المساواة قد تصبح ظلمًا عندما تُعتمد في غير مكانها، وهذا ما تدعو إليه النسوية، في حين أن ربنا سبحانه وتعالى بيّن اختلاف الذكر عن الأنثى في كثير من التفاصيل، وتساويهما في تفاصيل أخرى، فقال سبحانه في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

فعندما أكون مسلمة، فأنا مسلمة مسلّمة بأمر الله، لكن إذا كنتُ مسلمة نسوية، فهذا يعني أنني مسلمة من النوع النسوي الذي يود مساواة الرجل مع الأنثى في كل شيء، وهذا يعاكس أوامر الله تعالى الواضحة والصريحة في آيات المواريث وأحكام الشريعة في كثير من القضايا الأخرى المتعلقة بكلا الجنسين.

فكيف أكون مسلمة لكن بشرط أن أرفض ما لا يتقبله عقلي من أحكام شرعية، بل أكون بوابة للدعوة لدين جديد يتناسب مع شهواتي الدنيوية؟ النسوية تدعو لدين جديد يهدم ويفكك الأسرة، فهل أبقى مسلمة مسلّمة بما قضى الله تعالى حين أرفض التعدد الذي أحله الله للرجل؛ لأنه يتنافى مع مصالحي الدنيوية، وأرفض قوامة الرجل بحجة أنني أستطيع إدارة أموري بنفسي، ولست بحاجة لتدخل رجل ومشورته علي؟ فأين التسليم إذن لأوامر الله؟

سمعت من إحدى النسويات المحسوبات على أصحاب العلم الشرعي -مع الأسف- أنها تطالب الرجل بطاعة زوجته قبل أن تطيعه. فإذا طلب منها أمرًا، عليه أن يكون ملتزمًا به قبلها، فلو ذهب لأصدقائه ليلًا، لا يحق له منع زوجته من ذهابها مع أصدقائها ليلًا. بل إن الكثير من النسويات رفعن حاجز الحياء، حتى أصبحن يتحدثن بالأمور الخاصة عند النساء من باب أنه لا شيء معيب بهذه الأمور، وتحرر من العقد المجتمعية، ومن العيب الذي تربينا عليه، مع العلم أن الحياء لا يأتي إلا بخير، ولكل دين خلق، وخلق الإسلام هو الحياء كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وكي لا يُدس السم بالعسل: نتبرأ من الظلم الواقع سواء على الرجال أو على النساء، بل نحن تبعًا لما قاله نبينا الكريم: (اتَّقوا اللهَ في النساءِ؛ فإنَّكم أخذتُموهنَّ بأمانةِ الله) [رواه جابر بن عبد الله، المصدر تفسير الطبري].

قد يبدو الموضوع صغيراً أو ليس على مستوى من الأهمية للتركيز عليه، لكن لا يخفى تركيز المنظمات الأجنبية في سوريا وغيرها عليه، وهذا يعكس إدراكهم لأهميته. وقد سبقونا لذلك، عبر دفع الميزانيات الضخمة لترويجه وتطبيع المشاركات في الدورات عليه، تحت شعارات تمكين المرأة، وحقوقها، وتعزيز مكانتها.

فلا نجد المجتمع الدولي والنسويات قلقين على حقوق المرأة المسلمة إلا عندما تطيع المرأة زوجها، أو عندما ترتدي حجابها، أو تحتشم بلباسها.

فنتيجة الضعف الذي تمر به بلادنا من حروب، وفقر، وجهل، وظلم مركب متوارث، وعقد نفسية، وفهم قاصر للدين، تستغل تلك المنظمات قضايا محقة، وتبني من خلالها حملاتها المتمحورة حول المرأة لتتخلى عن دينها، وتصطاد بالماء العكر دون النظر للأسباب الأساسية التي أوصلت هذه المظلمة إلى ما وصلت إليه. بل على العكس، تبني عليها كل دوراتها وتضرب بها المثل، فتفتن النساء بلسانهن المعسول، فتظن النساء أنهن المخلصات لهن، حتى يصل الحال ببعض النساء إلى أن يفتن في دينهن ظنًا أن ديننا لم ينصفهن.

ولكن الحقيقة هي أنهن لم يفهمن الدين، وهذه الدورات التي تقام في الدول التي تعيش بها المرأة معتقلة، ومغتصبة، وشهيدة، ويتيمة، ومحتاجة، وفقيرة، كما يقول المثل «فوق الموتة عصة قبر»، يحرضونهن بشعارات مليئة بالأحقاد

على الرجل وكأن المرأة مشكلتها الوحيدة في الحياة هي قوامة الرجل عليها، والحجاب الذي تلبسه، وحياءها الجميل.

فالمدربة في ورشة عمل عن تمكين المرأة تكون بزينة كاملة وأسلوب منمق، تحاضر بعشرات المحجبات، وتخبرهن أن على المرأة أن تتحرر من قيود المجتمع، وأنها حرة بالمطلق، وتوزع كتيبات تتعلق بأساليب التفلّت دون انتقال الأمراض الجنسية الخطيرة. عسى أن يتحقق الأمل، وتصبح هذه المرأة الشرقية المقيدة امرأة منفتحة بلا حدود. وهنا يتحول الأب الحنون في نظر ابنته -التي دخلت نادي النسوية- إلى رجل ظالم، والزوج إلى عدو مستبد، والأخ إلى قاتل سفاح.

وفي هذا الطرح الشيطاني، قد يبدو أن العدل مطلبهم، وتحرير المرأة من الظلم أسمى مرادهم، لكن متى كانت المنظمات الدولية سبيلًا تشرب منه الشعوب لترتوي الحرية؟ ألم يحن الوقت أن يعرف الكبير والصغير أن الحرب بالبندقية باتت أضعف الأسلحة؟ أما أقواها فهو هدم الأساس الذي يحمي المجتمع وقيمه، وهذا الأساس هو العائلة.

فالمرأة، بنتًا أو زوجةً أو أختًا أو أمًا، هي أخطر وأهم أعمدة العائلة المسلمة التي لم يبقَ للأمة أملٌ إلا بتماسكها. فإن انهدمت العائلة، واستسلمت، وانبطحت، انتهت عندها جميع القضايا المصيرية، واختصر العدو ملايين الدولارات لكسر عزيمة وعقيدة أصحاب الأرض الذين سلّموا لعدوهم وتركوا إسلامهم من أجله.

فإذا أردنا كنساء الحق، فعلينا أن نتعلّم حقوقنا وواجباتنا، وما لنا وما علينا من شريعة الإسلام العادلة، لا من منظمات، ولا من داعيات، ولا من إعلاميات، ولا من صفحات مدربات لا يغنون عنا من الله شيئًا.

النسوية ببساطة!

ترفض النسوية قوامة الرجل، والله تعالى يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ [النساء: ٣٤]. كما تدعي النسوية أن للذكر مثل حظ الأنثى في كل شيء، والله تعالى يقول: ﴿...لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ...﴾ [النساء: ١١].

تحارب النسوية التعدد للرجل، في حين قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

تدعم النسوية الشذوذ وتدعو للإلحاد، بينما يقول الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]. كما تعتبر النسوية أن الذكر كالأنثى، لكن الله تعالى يقول: ﴿...وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ...﴾ [آل عمران: ٣٦].

تقـوم النسـوية عـلى محاربـة الرجـل وترويـج حريـة التعـري عنـد الأنثـى، كـما تشـجع النسـاء عـلى الإجهـاض بحجـة أنهـا حـرة بجسـدها، واللـه تعـالى يقـول: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكوير: ٨ - ٩].

النسـوية عبـارة عـن فكـرة غربيـة لهـا شروطهـا وقوانينهـا، والإسـلام أنصـف المـرأة وأعطاهـا حقوقـًا لم يعطهـا الغـرب للمـرأة حتـى الآن. تدعـم النسـوية المسـاكنة والزنـا، في حـين حـرم اللـه الزنـا وكرمنـا نحـن المسـلمين بمعرفـة نسـبنا حتـى سـابع جـد، «حـرة بنـت حـرة».

جيلٌ تحت القصف الإلكتروني!

قـرأت فكـرة في كتـاب «عصرنـا والعيـش في زمانـه الصعـب»، تقـول: إن شـعوب الأرض تنقسـم إلى قسـمين: قسـم منتـج يعيـش حياتـه بشـكل طبيعـي، وآخـر مسـتهلك يسـعى لأن يكـون عصريـًا ومواكبـًا لـكل مسـتجدات هـذا الزمـان. وللأسـف، فـإن شـعوب عالمنـا العـربي تقبـع في القسـم الثـاني، وتـرزح تحـت تأثـير كل مـا يأتينـا مـن الغـرب.

ومـن هنـا، أتحـدث اليـوم عـن شـبابنا تحديـدًا، هـذه الفئـة التـي طالتهـا يـد الرأسـمالية الماديـة، فتغتـال همّتهـا وتجردهـا مـن كل مـا يربطهـا بمبادئهـا، وهويتهـا، ونفسـها.

أصبحنا نرى حال شبابنا وفتياتنا -بطاقاتهم، وعقولهم المتميزة، وقدراتهم العالية- كيف يتم تسطيحهم وتبديدهم بكل بساطة من خلال إقناعهم بواسطة فيديو أو صورة بالتسليم للأفكار المنحرفة، سواء كانت غبيةً وغير أخلاقية أو أي شيء آخر. بل نجد لهم إسهامًا في نشرها، ومن ثم ممارستها، واستحسانها، حتى يصل الحال بالبعض إلى الظن أنهم يقدمون محتويات سحرية، وهي في الحقيقة عبارة عن متاجرة بأنفسهم لإرضاء المشاهد.

كلنا يعلم أن الفساد قد انتشر في كل مكان، حتى في الغرفة الواحدة أو أضيق النقاط المكانية التي قد تجمع أخًا صالحًا مع أخ فاسد مفسد، وذلك من خلال الشاشات التي تتوفر في يد الصغير والكبير.

وقد تم تصدير وترسيخ أفكار جديدة كليًا ومسمومة عن الثراء السريع والشهرة التي تبلغ الآفاق، والقدرة على الحصول على كل ما يرغب به الفرد «وبسرعة». وعامل السرعة هنا مهم جدًا. كيف لا ونحن في عصر السرعة؟ هناك الكثير ممن فقد معنى الحلم الحقيقي الكبير الذي يسعى له الإنسان بكل ما أوتي من طاقة واجتهاد بعد عناء وتعب، والآن صارت السيطرة لفكرة أن الأشياء يجب أن تأتي بسهولة. لماذا؟

لماذا يفترض أن تأتي الأشياء بسهولة؟ مع أن الله تعالى ذكر لنا أنه قد خلق الإنسان في كبد، لم يخلقه لكي يفرغ حياته للمتعة القصوى والشهوات. نتأمل كيف أصبحت المتعة هي أقصى هدف يمكن أن يتوق له الإنسان!

المتعة، والشهوات، والغرائز، والرغبات، والأمنيات أصبحت التكنولوجيا والإنترنت ساحة لها، بدل تسخير هذه الأدوات التكنولوجية لخدمة البشرية كما يرتضي الله عز وجل.

كم نفتقد في ظل هذه الضوضاء الرقمية معاني السعادة الحقيقية والعطاء ابتغاء الدار الآخرة، بدل التركيز على وجودنا المؤقت في هذه الحياة الدنيا، المأمورين بعمارتها لا المساهمة في إفسادها وتخريبها. ولا ننسى أن المشاهد أيضًا عليه مسؤولية كبيرة في متابعة البرامج الفوضوية والتي لا هدف لها، فيتحول المشاهد إلى مدمن لمثل هذه البرامج وتلك المشاهد، فيعزف شيئًا فشيئًا عن متابعة كل جاد وهادف، وتخمد في نفسه كل دعوة لعلو همة أو لعمل صالح.

وما لا يخفى عن عاقل أن متابعة البرامج الفارغة والمثيرات من مناظر وحركات لا أخلاقية تترك في نفس الشاب والمراهق اضطرابًا داخليًّا، وصراعًا كبيرًا بين ما تربى عليه من مبادئ، وبين ما يراه وتدعوه إليه غرائزه، وهذا ما يتسبب بالانحراف والانزلاق في مهاوي الفساد والضلال، والدخول في متاهات الإدمان، وربما فيما بعد الإجرام.

إن شهوة الشهرة، والماديات، والتعليقات، والمديح تزرع -في نفوس من يظنون أنهم مؤثرون بما يقدمون من محتوى تافه- نزعة اللهاث وراء الدنيا ومفاتنها، ويلهيهم عن أهم شيء خلق من أجله الإنسان، مما يتسبب في فقدان أهم

مقـوم مـن مقوماتـه، وهـي الشـباب الـزكي الطاهـر الـذي يصلـح الدنيـا بالديـن، ويملـك الدنيـا ليشـتري بهـا الآخـرة.

فمـن الـضرورة تنميـة وتوعيـة شـباب وبنـات هـذه الأمـة تنميـة روحيـة، وعقليـة، وجسـدية، وبشـكل سـليم كي يخـرج مـن بيننـا شـباب ونسـاء يحملـون هـم هـذه الأمـة متوجهـين للخـير النافـع، تاركـين بصمـة في تطـور المجتمـع، لا مسـاهمين في هـدم قيمـه، وأخلاقـه، وعقيدتـه؛ لأن كل فـرد فينـا هـو بالحقيقـة شـخص مهـم جـدًا لنمـو المجتمـع وبلوغـه أعـلى درجـات الحضـارة والتطـور عـلى كافـة الأصعـدة، سـواء الدينيـة، أو الاجتماعيـة، أو السياسـية، أو الاقتصاديـة.

أمـا إذا كان شـباب وبنـات أمتنـا عـلى خـلاف ذلـك، وكانـوا منصرفـين إلى حيـاة اللهـو والـترف بحجـة أنهـم يريـدون أن يعيشـوا حياتهـم وشـبابهم، متناسـين أن هـذه المرحلـة مـن حياتهـم هـي مـن أهـم المراحـل. فالوقـت الـذي يُهـدر لتقديـم محتـوى سـلبي أو لا يتضمـن أي إضافـة معرفيـة، فـإن الأولى بـه ألا يتابعـه أحـد، وأن تنصبّ الاهتمامـات بإنشـاء المحتـوى الـذي يرفـع مـن مسـتوى أمتنـا، ويكـون لـكل منـا سـهم في تقديـم مـا ينفعـه وينفـع جيلـه والـذي سـيتابعه. لا ننكـر وجـود أشـخاص وقامـات يبذلـون أقـصى جهدهـم كي يكـون لهـم أثـر إيجـابي في حيـاة مـن يتابعهـم، وهـؤلاء علينـا دعمهـم، وندعـو أن يجزيهـم اللـه كل خـير.

الجمال وعمليات التجميل

ذُكِـر الجمال في القـرآن الكريـم، حيـث يرتبـط جـمال الشـخص بصورتـه. وقـد جـاء في السـنة النبويـة بالإشـارة إلى نبينـا محمـد -صـلى اللـه عليـه وسـلم- بوصـف جمالـه: (كان فَخْـمًا مُفَخَّـمًا، يَتَـلَأْلَأُ وجهُـه تَلَأْلُـؤَ القمـرِ ليلـةَ البـدرِ...) [راوه هنـد بـن أبي هالـة]

أيضًـا، ذُكِـر في الحديـث الشريـف قـول النبـي -عليـه الصـلاة والسـلام- لسـيدنا عمـر -رضي اللـه عنـه-: (...ألا أخـبرك بخـيرِ مـا يكنـزُ المـرءُ؟ المـرأةُ الصالحـةُ، إذا نظـرَ إليهـا سرَّتْـه، وإذا أمرَهـا أطاعَتْـه، وإذا غـابَ عنهـا حفظَتْـه) [رواه عبـد اللـه بـن عبـاس].

فالجمال لا يقترن فقط بالشكل، وإنما بالمضمون أيضًا، يعني في الظاهر والباطن.

فـإذا كانـت المـرأة جميلـة الشـكل وقبيحـة المعاملـة، فإنهـا لـن تبعـث السـرور في قلـب مـن يتعامـل معهـا، بـل عـلى العكـس، سـيقول الناظـر إليهـا: «مـا أروع جمالـك، لكنـك أضعتـه بقبـح خلقـك.» وهـذا ينطبـق أيضًـا عـلى الرجـل والشـاب.

فكيـف يُقـاس الجـمال؟ وهـل تنظـر أعيننـا جميعًـا للجـمال بنفـس المقيـاس ونفـس النظـرة؟ بالطبـع لا؛ لـكل منـا معايـير ومقاييـس للجـذب تختلـف مـن شـخص لآخـر. لكـن القناعـة بمـا آتانـا اللـه مـن جـمال هـي أهـم معيـار عـلى الإطـلاق. فـما يعجبـك ليـس بالـضرورة أن يعجـب صديقـك، ومـا يعجـب أبـوك ليـس بالـضرورة سـيعجبك. ليكـن يقينُنـا أن اللـه خلقنـا في أحسـن صـورة، لقولـه تعـالى: ﴿لَقَـدْ خَلَقْنَـا الإِنسَـانَ فِي أَحْسَـنِ تَقْوِيـمٍ﴾ [التـين: ٤].

مهمّ جدًّا أن نميّز بين أن الجمال أساسي ولا نختلف عليه، لكنه ليس رقم واحد في حياتنا. فهو ضمن سلم الأولويات لكنه ليس على رأسها. ولا يخفى على أحد في السنوات العشر الأخيرة كيف انتشرت عمليات التجميل، بل وأصبحت من أولى الأولويات لدى النساء، متناسيات حرمتها وعدم جوازها بهذه الطريقة العشوائية.

وهنا نسأل: من الذي استطاع اللعب بعقول النساء لهذه الدرجة، وأوهمهم أن قيمة المرأة من قيمة جمالها حتى أصبحنا نرى أن بعض النساء قد تحوَّلن إلى لوحات متحركة؟

رويدًا رويدًا، يجد الشخص نفسه عبدًا لما يظن أنه الجمال. ولا يتوقف الأمر على هذا، بل تحولت عمليات التجميل إلى أمر هين بسيط يتقبّله الشخص دون مراجعة أو تأمّل. بل وتشجع عليه مجتمعاتنا حتى أصبح موبوءًا بمفاهيم وسلوكيات غير منضبطة، والأمثلة هنا كثيرة: انتشار الأفلام الإباحية.. تعاظم الجهل رغم وسائل العلم المتاحة.. اعتياد الأطفال على الأجهزة الإلكترونية.. تقليد الآخرين.. التصنّع.. عبادة الشكل والمظهر، وعدم الاهتمام بالمضمون والروح. ثم تأتي عمليات التجميل لتكمل هذا المناخ الموبوء.

لو تصفحنا مواقع التواصل أو فتحنا جوجل لمعرفة معلومة ما، سنجد عشرات الإعلانات عن عمليات التجميل. وهذا يؤكد لنا أن هذه العمليات قد صارت

تجارة متكاملة من خلال اللعب بعقول النساء الفاقدات الثقة بأنفسهن وجمالهن.

لم يعد غريبًا أن نجد إعلانًا يقول: «انحتي واشفطي وشدّي لتصبحي كذا وكذا.» وعندما تخوض المرأة أول عملية تجد نفسها أنها قد أصلحت جانبًا وخربت جانبًا آخر، فتغرق في هذه المتاهة المهلكة للجسد والجيب.

احرصي على ألا تكوني سلعة تجارية لدى الأطباء والسماسرة، أو أن ينظر إليكِ البعض بسلبية ويتحدث من أمامك وخلفك بكلام لا يعجبكِ سماعه، كأن يُقال: «هذه المرأة البلاستيكية» أو «ستظهر حقيقة شكلها بعد أول ولد تنجبه.» كثير من العبارات المخزية التي تكسر خاطرك، فأنتِ بغنى عنها.

لن ننكر أن هناك عمليات تجميل مباحة في الإسلام، ولكن المقصود بها إزالة بعض العيوب الناتجة عن حادث، أو حرق، أو مرض، أو لإزالة تشوهات خلقية، كأن يولد الإنسان ولديه إصبع زائد أو حبة كبيرة في وجهه. أما عمليات التجميل الأخرى، كتصغير الأنف، وشد الوجه، ونفخ الشفاه، فهي مما لا يجوز. إذ إن إبليس توعّد بأن يجعل من الناس من يعمل لتغيير خلقته، عندما طرده الله من الجنة، وقال: ﴿...وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ...﴾ [النساء: ١١٩].

سأذكر بعض الإحصائيات الصادمة عن عمليات التجميل التي جرت في عام ٢٠١٨ وحده، حيث أُجْرِيت أكثر من ٢٣ مليون و٦٠٠ ألف عملية تجميلية في العالم، من بينها نحو ١٠ ملايين و٤٠٠ ألف عملية تجميل جراحية، حسب آخر إحصائية أصدرتها الجمعية العالمية لجراحة التجميل (ISAPS) في عام ٢٠١٨. ولا يخفى عن أحد أن عمليات التجميل تسببت أيضًا في الكثير من الوفيات والتشوهات المرعبة لكثير ممن أقبل عليها.

أتساءل الآن: هل أصبح الجمال والتجميل أكثر قيمة من الإنسان؟

سيأتي من يطرح سؤالًا ويقول: ما هي بدائل عمليات التجميل؟ يمكن للمرأة أن تجمل نفسها تجميلًا مؤقتًا يمكن إزالته، وكذلك العناية بالنظافة والمظهر الطيب ضمن حدود الشرع، فهذه جميعُها أمور مطلوبة.

إضافة إلى ذلك، ينبغي التركيز على نقطة مهمة، ألا وهي ضرورة انتقاء الصحبة الصالحة التي تحيط بنا، أولئك الذين يركزون على الجوهر، والروح، والشخصية لا على الشكل والمظهر؛ لأن التركيز على هذه الأمور هاوية لا قعر لها، فالله تعالى يقول: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

إن الجمال هو جمال الروح وليس جمال الجسد فحسب. ولو ركزنا على جمالنا الداخلي واعتنينا فيه أكثر من عنايتنا بمظهرنا، لتحققنا فعلًا لا قولًا، بقول رسول الله (ﷺ): (إِنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى أَجْسامِكُمْ، ولا إلى صُورِكُمْ، ولكنْ ينظرُ إلى قُلوبِكُمْ.) [رواه أبو هريرة].

القيمة الحقيقية للإنسان هي ما يحويه قلبه، فهنا مرآة الإيمان. ومن لديه الوقت والمال، فإن الأفضل له السعي في أبواب الخير، والعلم، والعمل، والصلاح والإصلاح، فذلك خيرٌ وأنقى للنفس، والعائلة، والمجتمع، وهو أفضل من إنفاق الوقت والمال والجهد في هواجس زائلة لن تنتهي ولن تدوم.

هل سمعتم عن أرامل الإنترنت؟

نعم، يوجد بين طيات وصفحات الإنترنت الكثير من الأرامل الذين يعيش أزواجهم على قيد الحياة في بيت واحد، لكن إدمان أحد الزوجين على مواقع التواصل الاجتماعي وافتتانه بكل ما يراه من صور ومنشورات أثر على علاقة الأزواج ببعضهم. فتحولت المشاعر الطيبة التي كانوا يعيشون فيها لفترات طويلة إلى مشاعر سلبية ونفور، نتيجة للمقارنات المستمرة بين الصورة الكاذبة والمثالية التي يرونها عبر الإنترنت، وبين النقص الموجود لدى كل شخص، وهذه طبيعة إنسانية.

فالرجل قد فتن بفتيات لا يشبهن زوجته، فيزهد بها ويعاملها كمزهرية في البيت، وربما تكون المزهرية في وضعها أفضل. ومن هنا، تتحول العلاقات الأسرية إلى علاقات باردة لا روح فيها، فيصبح حال المرأة مع زوجها وكأنها أرملة أو مطلقة، وزوجها أمام عينها يخونها ويستسهل الخيانة لسهولتها، ووجود الدوافع بين يديه.

فكم من بيت معمور بالحب دمرته مواقع التواصل، وحولت البيت إلى نار بين الزوجين! فالزوج الذي كان بالأمس يجلس يتحاور مع زوجته ويسايرها، أصبح اليوم يجلس معها في نفس الجلسة، لكن بجسده وروحه تجوب في عالم الفضاء الوهمي دون أي مراعاة لزوجته التي تنتظره لساعات طويلة، مستعيدة ذكرياتها معه عندما كان مهتمًا بشؤونها ولوجودها.

هذا العالم الذي تلون بعدة ألوان له إيجابيات كبيرة، لكنه يحمل سلبيات تضاهي الإيجابيات وربما أكثر. فلماذا يتحول الشخص عبدًا لهذه المواقع وهو راضٍ كل الرضا؟ الأجدر أن يتعلم كل شخص -أكرمه الله بهذه التكنولوجيا- أن تكون نقطة تحول وتطور على كافة الأصعدة، وتترك أثرًا إيجابيًا في حياته وحياة أسرته. ولا ننسى قسم الله تعالى عندما قال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، فكل كلمة سنُسأل عنها يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون. وكذلك لنتذكر قول نبينا الكريم (ﷺ): (أَلا كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ...) [رواه عبد الله بن عمر، أخرجه البخاري].

إدمان العصر عند الأطفال والمراهقين

مع مرور السنين ودخول التكنولوجيا إلى أغلب تفاصيل حياتنا بشكل متسارع، واستخدامنا المتزايد كبارًا وصغارًا -على حد سواء- لشبكات التواصل الاجتماعي أو ألعاب الفيديو المتنوعة، أصبحنا نلاحظ أن التخلص من هذا الإدمان بات صعبًا للغاية، لدرجة شعورنا بالنقص والضياع في حال إبعاد أجهزتنا عنا.

هذا أمر ملاحظ في العموم، لكنني اليوم سأركز في حديثي على تأثير هذا الإدمان على الأطفال والمراهقين فقط، والتعرف على آثار معايشتهم لهذه الأجهزة سواء على المستوى النفسي أو على حياتهم بشكل عام.

بداية، من المهم الإشارة إلى أن استخدام الأطفال للتكنولوجيا يزداد يومًا بعد يوم، وهذا يعني أن نسبة الأطفال الذين يتعرضون لمساوئ الشبكات الاجتماعية -مثل: التنمر، والعنف، والشذوذ، والانفلات الأخلاقي- تزداد بشكل متصاعد. وبالتالي، يزداد عدد الأطفال الذين ينشؤون مع عقد نفسية وانحرافات سلوكية تكبر معهم.

ففي إحصائية صادمة أعلنتها منظمة اليونيسيف سابقًا، أظهرت أن ثلث مستخدمي الإنترنت حول العالم هم من فئة الأطفال، وأن نصفهم تقريبًا مدمنون أيضًا، أي أنهم يستخدمون الإنترنت لست ساعات وما فوق كحد أدنى!

إن استخدام الأطفال للأجهزة الإلكترونية، أو الجلوس أمام شاشات التلفاز، أو على صفحات الإنترنت لفترة طويلة هو أمر خطير يستدعي القلق، فالاستخدام غير الطبيعي لهذه الأجهزة هو إدمان كأي إدمان آخر، وله آثار سلبية كثيرة على الصحة النفسية والجسدية. وللأسف، فإننا نرى الكثير من الأمهات المستهترات بهذا الأمر، فنجد إحداهن تريد أن تُسكت ابنها عن البكاء فتعطيه الجهاز لينشغل به، ونرى أخرى تريد أن تلهي أولادها عنها، فتشغل لهم التلفاز أو الحاسوب لفترة طويلة، وهي سعيدة لأنها وجدت حلًا يريحها من عنائها ولو لبضع ساعات. صحيح أنها ارتاحت في هذا الوقت، لكنها ستندم فيما بعد. وقد نرى بعض الأطفال يجلسون في غرفهم المغلقة عليهم وهم يتصفحون مواقع الإنترنت المختلفة دون أي رقابة من الأهل.

ورغم التحذيرات التي يطلقها المتخصصون عن المخاطر النفسية، والجسدية، والاجتماعية على الأطفال، إلا أن بعض الآباء لا يمتلكون الوعي الكافي حول هذه المخاطر وأثرها على أبنائهم. ونحن كآباء نسعى لجعل أبنائنا بأفضل حال، يتوجب علينا أن ننتبه لحركاتهم، وألفاظهم، وسلوكياتهم، ونراقب أي علامات تدل على تغيرات سلبية تحصل لهم.

فعندما نرى أطفالنا لا يرغبون في الخروج من المنزل وممارسة النشاطات الخارجية أو الزيارات، ويفضلون البقاء على الشاشات، فهذا ليس بتصرف طبيعي من الطفل؛ لأن الطفل بطبيعته لا يميل للبقاء في المنزل. أو لو لاحظنا أنهم يمسكون

الأجهزة في أوقات صلاتهم، ودروسهم، وطعامهم، وينزعجون بإفراط إن حاولنا أخذها منهم، فعلينا أن نعلم أن هذا مؤشر خطير يستدعي منا التعامل والعلاج.

سنحاول معًا سرد بعض الآثار السلبية لهذه الظاهرة، ثم سنسلط الضوء على بعض الحلول التي يمكن أن تفيدنا في مساعدة أطفالنا للتخفيف من تعلقهم الزائد بالأجهزة، واستبدالها بأنشطة طبيعية صحية واجتماعية.

تنقسم آثار هذه الظاهرة إلى:

آثار جسدية: أبرزها السمنة والخمول البدني والفكري، ومشكلات في التركيز، وانفعالات عصبية غير مبررة، وآلام في الرقبة والعمود الفقري بسبب الانحناء والجلوس لفترات طويلة. كما أن العينين لهما النصيب الأكبر من الضرر، بالإضافة إلى أعضاء عديدة أخرى معرضة للأذى نتيجة هذا الإدمان.

وهناك آثار نفسية كثيرة، أهمها:

الانطوائية وقلة التواصل مع المحيط الاجتماعي، مما يؤدي أحيانًا إلى التوحد أو زيادة احتمال الإصابة بالكآبة. ومن الممكن أن يتسبب الإدمان التكنولوجي في التراجع الدراسي أو الفشل أحيانًا. وتُعد العدوانية من أكثر الآثار المقلقة، والتي تنتج غالبًا عن ألعاب الفيديو، وخاصة القتالية منها، فهي لا تكتفي بعرض مشاهد عنيفة على

الطفل، بل تجعله متفاعلًا معها، بحيث يكون هو من يقاتل ويؤذي ويستعرض قوته، وبالتالي يصبح الأمر في داخله مألوفًا أو مقبولًا نوعًا ما، ويختلف هذا التقبل من طفل لآخر بحسب طبيعته والبيئة المحيطة به.

وكثيرًا ما نجد أمهات يشتكين من عصبية ابنهن وتمرده أو قسوته وضربه المتكرر لإخوته وأقرانه، دون أن يدركن أنهن تركن هذه البذور تنمو في داخله، وهن يظنون أنه يلعب مجرد لعبة.

أذكر هنا قصة مرت معي أثناء تصفحي لأحد مواقع التواصل الاجتماعي، حيث روت أم حادثة حصلت مع ابنتها الصغيرة التي أصرت على أهلها كثيرًا كي يجلبوا لها قطة. وبعد معاناة، أُتِيحت لها القطة كما رغبت. ثم مضى أسبوعان، وفوجئت الفتاة تقول لأهلها إنها لم تعد تريد القطة.

فرفض أهلها إخراج القطة، وأخبروها أنها أصبحت مسؤوليتهم واعتادت عليهم. وبعد يومين، افتقد الأهل القطة، فخرجوا يبحثون عنها ويسألون جيرانهم إن كانوا قد رأوها. وفي النهاية، وجدوها مدفونة قرب البيت بطريقة مستعجلة. وما إن رأوها حتى أجهشت الصغيرة ببكاء هستيري، واعتقد أهلها أنها تبكي حزنًا على القطة. فاقترب الأب منها ليحضنها ويهون عليها، فما كان منها إلا أن قالت باستفهام: «يعني مارح تحرمني من الآيباد؟!» واكتشف الأهل في النهاية أن ابنتهم هي من قامت بقتل القطة ودفنها تقليدًا لمشهد رأته على الإنترنت.

لقد روت الأم هذه القصة وهي تكاد تجن، لأن ابنتها لم تشعر بالندم أو الحزن على ما اقترفته، بل كان همها وخوفها من أن يحرمها أهلها من الآيباد عندما اكتشفوا فعلتها. فلنتخيل مدى تعلق البنت بهذا الجهاز وتأثيره عليها وعلى أفعالها، وكيف أصبح هم فقده أكبر في نفسها من أي شيء آخر.

وللأسف، فإن هذه القصة ليست الوحيدة؛ فقد سمعنا بعشرات القصص لأطفال أو مراهقين آذوا أنفسهم بسبب الألعاب الإلكترونية أو بسبب مشاهد رأوها وقلدوها. وفي السنوات الأخيرة، أصبح هناك العديد من الألعاب التي تؤثر بشكل كبير في العقائد والأخلاق، والأهل غافلون عن هذا تمامًا، ويتساءلون عن السبب الذي جعل أبناءهم يضيعون، ويرفضون التمسك بدينهم ومبادئهم إلى هذا الحد.

وكثيرًا ما نسمع عن مراهقين انحرفوا انحرافات شاذة لا تقبلها الفطرة السوية، أو تخلو عن دينهم وأصبحوا ملحدين، وقد يتبنون أفكارًا غريبة خاطئة أخذوها من أشخاص ينشرون أفكارهم على شبكات الإنترنت دون أن يُعرف لهم دين، أو علم، أو خلق.

كل هذه الآثار غيض من فيض، فإضاعة الوقت والجهد والعقل في هذه الشبكات خسارة كبيرة لا تعاد ولا تعوض، والطفل سيكبر على ما اعتاد عليه غالبًا، فإن لم يكن يقدر قيمة الوقت وهو صغير، فلن يقدرها على الأغلب حينما يكبر.

إن الأطفال في سنهم الصغيرة يشبهون العجينة اللينة القابلة للتشكيل كما نريد، ونستطيع ذلك بطرق عديدة نؤثر بها في أفكارهم. وغالبًا ما يعتادون على ما نعودهم وننشئهم عليه.

إن أول شيء يجب علينا فعله هو أن نكون لهم خير قدوة، وقد قيل سابقًا:

«إذا كان رب البيت للدف ضاربًا .. فشيمة أهله الرقص والغناء.»

علينا ألا نضيع أوقاتنا أمامهم، وألا ننسى أنفسنا ونحن نحمل أجهزتنا لوقت طويل، ثم نطالبهم بفعل العكس. بل علينا أن نزرع في داخلهم تقدير الوقت وأهمية استغلاله، وأن نذكرهم دومًا بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمسٍ: حَياتَك قبلَ موتِك، وصِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، وفراغَك قبلَ شُغْلِك، و شبابَك قبلَ هَرَمِك، و غِناك قبلَ فقرِك.) [رواه عبدالله بن عباس وعمرو بن ميمون].

كذلك نسعى لربطهم دائمًا بأهداف مفيدة معينة يحبونها ويسعون للوصول إليها، ونعينهم ليخصصوا لها وقتًا وجهدًا بشكل يومي. وأيضًا من المهم تعويد الأبناء على القراءة، والكتابة، والرياضة، وممارسة النشاطات الخارجية، والألعاب التي يحبونها، والمساعدة في أعمال المنزل.

ولا ننسى أنه يجب علينا مراقبة المحتوى الذي يشاهده أبناؤنا، بشكل غير مباشر أحيانًا وبشكل مباشر أحيانًا أخرى. ويمكننا الاستعانة أيضًا بالعديد من البرامج التي تمنع ظهور المحتوى المخل بالأخلاق للأطفال. إضافة إلى ذلك، يجب تحديد الوقت المناسب للجلوس أمام هذه الأجهزة لكل طفل حسب عمره، ولا يصح أن نحرمهم منها بشكل تام. فبالرغم من كثرة السلبيات الناتجة عنها، إلا أن لها فوائد كثيرة أيضًا لو أحسنا استخدامها، وحددنا وقتًا مخصصًا لها.

يجب أن يكون الوالدان حازمين في الانضباط بالأوقات المحددة، لأنهم لو أضاعوا البوصلة، فسيعرضون أبناءهم لخطر الإدمان، وسيكون التراجع بعد ذلك أصعب بكثير .

قد تقول إحدى الأمهات: «إن ولدي يصرخ ويغضب كثيراً، وقد يبكي بشكل متواصل لو أخذت الجهاز منه، فماذا أفعل؟» الأفضل في هذا الموقف هو الالتزام والحزم التام أمام الطفل، وعدم التراجع تحت محاولات ضغطه علينا. فالأبوان هما المسؤولان عن تربيته وليس العكس. ولعل الأفضل أن ندعه يغضب، فقد يغضب لساعات أو ليوم أو يومين، إلا أنه سيستسلم للأمر الواقع بعد ذلك.

وبالرغم من أن الأمر متعب للأهل أيضًا، لكنه أفضل بكثير من الرضوخ

لضغوطاته، وتركه يؤذي نفسه وحياته دون أن يدري. وحينما يكبر هذا الطفل، فإنه سيعلم أن هذا المنع كان خيرًا له ولمستقبله، ونابعًا عن محبة أبويه وخوفهم عليه.

وثمة أمر مهم جدًّا يجب علينا الانتباه إليه، وهو:

أن الطفل قد يدمن أحيانًا على الإنترنت بسبب واقع مؤلم يعيشه، فيهرب منه إلى العالم الافتراضي الذي ينسيه واقعه قليلًا. فيحاول أن يبني له عالمًا افتراضيًا يسعده أو يريحه من الألم كما يعتقد، وربما يتعرف فيه على أشخاص يقدرونه ويهتمون به إذا كان فاقدًا لهذا الاهتمام ممن هم حوله. لذا، من الأفضل أن نسعى دائمًا لتهيئة جو صحي مناسب قدر الإمكان في المنزل، كي تكون العائلة ملجأً لا بديلًا له للطفل.

يجب ألا ننسى أن توفيق الله هو أهم معين لنا في رحلة تربية أبنائنا، كما أن الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والدعاء المستمر، وبذل الجهد، والصبر، والمصابرة على الأبناء، من الأمور الأساسية التي يجب علينا التحلي بها كي نكون على قدر هذه المسؤولية العظيمة، وتقر أعيننا بأبناء صالحين بارين وناجحين. فما نزرعه اليوم فيهم سنحصده غدًا منهم.

شتان بين أتباع الله وأتباع الشيطان!

قالت لي -وهي تجهل فكري-: «والله لو تشوفي بنتي، بتهز خصرها كأنها صبية. ذهبت إلى السوق واشتريت لها بدلة رقص، وبصعوبة حتى استطعت إيجاد بدلة تناسب عمرها.» لفتني فخرها بابنتها والابتسامة التي تعلو وجهها، فسألتها كم عمرها؟ فقالت: «ما يقارب ثلاث سنوات.» لم أقصر طبعًا في نصحها، وتوجيهها، وإظهار خطورة ما يُغرس في الطفل في هذا العمر.

سبحان الله، شتان بين طفلين: أحدهما تسأله عن قدواته فيجيب بأجوبة تسر القلوب، مثل أن يستمع إلى نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام-، أو للشيخ الفلاني، أو للداعية الفلاني، أو للقارئ فلان وفلان وفلان. وفي المقابل، طفل آخر في نفس العمر يُجيبك باسم المشهور أو المطرب الفلاني، بل ويحفظ كل أغانيهم، ويشعر وكأنه أنجز إنجازًا كبيرًا.

وترى طفلة تتحدث عن قدواتها، والحجاب، والكتب التي تقرأها، وعن محافظتها على صلواتها، بينما ترى أخرى ترقص أمام الكاميرات، وعلى أغانٍ هابطة، وكأن هذه الأغاني أصبحت الذكر اليومي في صباحها ومسائها. ومع أن هذه الأغاني مليئة بالسباب والشتائم، فهم يرددونها أمام أمهاتهم وآبائهم بدعم وتشجيع منهم، والله المستعان.

إن ما يزرعه الآباء والأمهات في صغر أطفالهم سيحصدونه بعد سنوات إما بالحسرة والندم، أو بامتداد الخير لهم في الدنيا والآخرة.

الكنز الضائع.. بين الحياء والخجل!

كثيرًا ما نكون خارج المنزل، وقد نسمع في أثناء وجودنا في الشارع صوت ضحكات عالية تصدر عن امرأة ما دون أي اكتراث منها، وكأنها تطلق ضحكتها المدوية كما لو كانت في منزلها. ونصادف الكثيرات اللواتي يبالغن في التزين وكأنهن في عرس، أو يبالغن في التعري لدرجة أننا قد نظن أنهن نسين ارتداء ملابسهن قبل خروجهن من المنزل. وقد نمر أمام مقاهٍ ممتلئة بالنساء، إحداهن تدخن، وأخرى تدخن النرجيلة، في مشهد لا يليق أبدًا بأنوثتها.

وعندما نتصفح مواقع التواصل الاجتماعي، حتمًا ستظهر لنا بعض المقاطع لفتيات يتمايلن ويتراقصن ويستعرضن أنفسهن أمام الملأ بطريقة مبتذلة، فيتساءل أصحاب الفطرة السليمة: «أين حياء تلك النساء؟» أما مؤخرًا، فالأمر لم يعد يقتصر على النساء فقط.

فمن المؤسف أن نرى أشباه الرجال يتراقصون، أو يضعون المكياج، أو يرتدون الزينة والملابس الخليعة. ونرى من آخرين الكثير من التصرفات المشينة التي تخدش الرجولة بشكل واضح، وتدل على قلة حياء أولئك الرجال.

مع أن النبي (ﷺ) كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، فبالرغم من كونه قائدًا عظيمًا ذا شخصية فريدة، إلا أن ذلك لم يمنعه من الاتصاف بالحياء الشديد.

ذلـك الخلـق الـذي ينبغـي أن نتحـلى بـه جميعًـا ونجعلـه راسـخًا في نفوسـنا ومتمثـلًا في سـلوكياتنا دون أن يغيـب عنهـا. وكثـيرًا مـا يختلـط علينـا مفهـوم الحيـاء والخجـل.

فالحيـاء الـذي يمنـع مـن الخـير يسـمى خجـلًا وليـس حيـاءً، وهنـاك فـرق شاسـع بينهـما. فالخجـل مذمـوم ويحـرم صاحبـه مـن النفـع في دينـه ودنيـاه، وقـد يمنـع الإنسـان مـن أمـور كثـيرة، كالسـؤال عـن أشـياء معينـة بهـا فائـدة، أو الامتنـاع عـن طلـب حقـه، ومـا إلى ذلـك.

وقـد يمنـع الخجـل مـن الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، أو يمنـع مـن التعلـم، وقـد يجـاري بعـض مـن يخجلـون غيرهـم في فعـل المعـاصي. فالإنسـان الخجـول إنسـان مهـزوم ضعيـف الشـخصية حتـى وإن حـاول إظهـار العكـس.

أمـا الحيـاء المطلـوب فهـو عـلى العكـس مـن ذلـك، إذ لا يمنـع حقًـا، ولا علـمًا، ولا أمـرًا بمعـروف أو نهيًـا عـن منكـر، ولا يجعـل مـن صاحبـه شـخصًا سـلبيًا أو ضعيفًـا أو مهانًـا. بـل يدفـع الإنسـان للتحـلي بالخصـال الحميـدة والأخـلاق الرفيعـة، ويجعلـه مترفعًـا عـن التلفـظ بالسـوء والقيـام بـأي أمـر قبيـح. فالحيـاء زينـة للإنسـان، بـل هـو أسـاس في قلـب كل مؤمـن.

وتتعـدد أسـباب قلـة الحيـاء في المجتمعـات، مثـل غيـاب التربيـة السـليمة، وقلـة الإيمـان، وفسـاد أغلـب وسـائل الإعـلام بمختلـف أنواعهـا، وعـدم الالتـزام بالحـدود في

التعامل بين الرجال والنساء. إضافة إلى المفاهيم المغلوطة التي يروج لها البعض في المجتمع حول التحرر في اللباس، والعمل، والاهتمام بالمصلحة الشخصية فقط بعيدًا عن القيم، والأخلاق، ومصالح الآخرين. جميع هذه الأسباب تؤدي إلى انخفاض مستوى الحياء في القلب، وينتج عنها آثارًا سلبية كثيرة نلحظها بشدة بين الناس.

فقلة الحياء تؤدي إلى كثرة الخصومة والفجور فيها، أو إلى البذاءة وإشاعة الأسرار، والكذب والافتراء، والتعدي على حقوق الغير، وغشهم وظلمهم، وعدم الإخلاص في العمل، والاستهتار بمشاعر الناس. فمن قلَّ حياؤه لن يكون لديه ما يردعه عن هذه السلوكيات. أما الحياء فيدفعنا إلى الاحترام، والاتزان، والتصرف بأدب مع الله ثم مع الناس. وقد قال الشاعر علي بن الجهم:

«ورب قبيحة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلا الحياء.»

والحياء جميل لو وجد في كل الناس، سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، صغارًا أو كبارًا، ولكنه أجمل ما يكون في المرأة. فكلما زاد حياء المرأة زاد جمالها، ويكاد حياء المرأة أن يكون أشد جاذبية من أي صفة أخرى تمتلكها. فعفة الأنثى وحياؤها شيئان مترابطان، وهما أساس احترامها، كما أنهما يضبطان سلوكها.

وقد علم أعداء الفطرة السليمة أن الحياء جوهر الأنثى وأجمل ما فيها، فوجهوا

لهـذا الحيـاء سـهامهم، واسـتغلوا المـرأة في الدعايـة والإعـلان بأوضـاع مهينـة بحجـة التحـرر الواهـم، وسـعوا لدفعهـا للتخـلي عـن حيائهـا وحشـمتها شـيئًا فشـيئًا لتصبـح إنسـانة مبتذلـة مفرغـة يسـهل السـيطرة عليهـا، والتحكـم بهـا كسـلعة سـهلة.

وقـد حفـظ الإسـلام للمـرأة حياءهـا، وصانهـا بحجابهـا وعفافهـا، ووضـع لهـا حـدودًا في التعامـل مـع الرجـال تجعلهـا ضمـن حصـن قـوي يحميهـا ولا يسـتطيع أحـد اختراقـه. وعندمـا أهملنـا الالتـزام بالمعايـير الصحيحـة، انتـشرت قلـة الحيـاء بشـكل كبـير وملحـوظ، فأصبحنـا نـرى قلـة السـتر، والخضـوع بالقـول، والاختـلاط دون أي مـبرر، مـع المـزاح والحـركات غـير اللائقـة. جميعهـا ظواهـر انتـشرت بكـثرة، وهنـاك غيرهـا الكثـير مـع الأسـف.

إن حفـاظ النسـاء عـلى حيائهـن علامـة عـلى نقائهـن، ومـن ثـم يجـب علينـا ألا نقنـع أنفسـنا بـأن التلفـظ بكلـمات بذيئـة هـو صراحـة وجـرأة، أو أن نعتقـد أن التزيـن والعـري خـارج المنـزل هـو تحـرر وأناقـة. لكنـه اسـتدراج مـن الشـيطان لنتبـع خطواتـه حتـى نتخـلى عـن حيائنـا تمامًـا، فنبقـى دون درع واقيـة. ولنتذكـر أن الأنوثـة حيـاء قبـل أن تكـون أزيـاء، ومـن خرجـت مـن حصـن الحيـاء، فقـد جعلـت نفسـها مباحـة لـكل مـن أراد النظـر إليهـا.

إن الحيـاء لا يمنـع المـرأة مـن التعلـم أو العمـل ضمـن الضوابـط التـي تحميهـا، ولا يمنعهـا مـن أن تكـون امـرأة فاعلـة في بيتهـا ومجتمعهـا.

بـل إن ديننـا الحنيـف يحثهـا عـلى ذلـك. والأنثـى التـي تتزيـن بالحيـاء هـي أنثـى قويـة الشـخصية ومتمسـكة بكرامتهـا، ولكـن بطريقـة تتناسـب مـع أنوثتهـا. كـما أنهـا لا تـرضى لنفسـها المهانـة، وتطالـب بحقهـا وتدافـع عنـه بشـدة دون أن تلجـأ إلى الـصراخ أو الشـتم والبـذاءة، ودون أن تتـصرف بمـا لا يليـق بهـا أو يخـدش حياءهـا كي تحصـل عـلى حقوقهـا.

فلنجعـل الحيـاء حـاضرًا في حياتنـا وملازمًـا لنـا في الـسر والعلـن في جميـع أقوالنـا وسـلوكياتنا. ولنتذكـر قـول رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم-: (الحَيـاءُ لا يَـأْتِي إلَّا بخَـيْرٍ) [رواه عمـران بـن الحصـين، أخرجـه البخـاري].

إننـا نسـتطيع تنميـة هـذا الخلـق في دواخلنـا عـن طريـق تقويـة الإيمـان باللـه تعـالى أولًا، لأن الإيمـان والحيـاء مقترنـان ببعضهـما، فـإن زاد أحدهـما زاد الآخـر، وإن نقـص أحدهـما نقـص الآخـر. ثـم باستشـعار النعـم وملاحظـة تقصيرنـا في شـكرها ثانيًـا، فذلـك يـؤدي إلى شـعورنا بالحيـاء مـن اللـه تعـالى. إضافـة إلى تذكـر القـبر، والـدار الآخـرة، ومجاهـدة النفـس، ومعانـدة الشـيطان.

ولا ننـسى أن للصحبـة الصالحـة أثـرًا كبـيرًا عـلى المـرء وأخلاقـه، ودفعـه للابتعـاد عـن السـيئ مـن القـول والعمـل. ويمكننـا أيضًـا أن نسـتحضر أن أكـثر شـخص نحبـه ونحترمـه يرانـا عندمـا نهـم بأمـر سـيئ، فمـن شـأن هـذه الطريقـة أن تشـعرنا أن هنـاك مـا يردعنـا، ويعيننـا عـلى رفـع مسـتوى الحيـاء مـن اللـه فينـا.

علينا أن نتيقن أن حياءنا هو ضماننا للثبات على الأخلاق الحميدة والطريق الذي يرضي الله تعالى، فهو جرس التنبيه الذي يرافقنا، وعلينا أن نغرسه في قلوب أبنائنا، ونربيهم عليه منذ الصغر، ولا نتخلى عنه، ونسعى لتنميته في نفوسنا دائمًا. ونتذكر أن «الحياء ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.»

الحرية تبدأ بالعفة لا بإظهار المفاتن

لا يمكن أن تكون حرية المرأة من خلال إبراز المفاتن كي تفرح بسماع كلمة هابطة من شاب هابط. هذه ليست حرية، وإنما اختزال لإنسانية المرأة بصورة بهيمية تدور في فلك حاجاتها الدنيا، وبهذا تتجرد من معاني العفة والكرامة.

حرية المرأة تكون من خلال فهم مقولة: «إن كل يوم تستزيده من عيشك ينقص من عمرك ويقربك من أجلك.» فما قيمة أي متعة تنتهي بندم أبدي؟ هناك حيث لا ينفع مال ولا بنون.

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا (١٨)﴾ [المزمل: ١٧ - ١٨].

العمـر قصـير، وفرصتنـا في التوبـة قـد تكـون واحـدة لا تتكـرر، فلتكـن هـذه الفرصـة لنـا لا علينـا، بطاعـة ربنـا لا بالبحـث عـن أي وسـيلة لتصبـح النسـاء أجمـل وأفـتن للرجـال في الطرقـات.

بـل إن بـذل الجهـد والوقـت والمـال لإشـباع شـهوة الجـمال هـو طريـق لا نهايـة لـه؛ فمهـما بحثنـا عـن الجـمال سـنجد الأجمـل. لكـن تنافـس المـرأة يجـب أن يكـون مـع أمثالهـا مـن الأتقـى، والأورع، والأكـثر خيريـة لنفسـها، وزوجهـا، وأولادهـا.

التفاخر والمقارنات: داء القلوب

تظهـر في المجتمعـات أحيانـًا بعـض الأمـراض النفسـية التـي تؤثـر سـلبًا عـلى العلاقـات الإنسـانية، وتكـون سـببًا في فقـدان الأمـان بـين النـاس أثنـاء تعاملهـم مـع بعضهـم. وفي الآونـة الأخـيرة، بـدت هـذه الأمـراض أكـثر وضوحـًا، ولا تخفـى عـلى أحـد؛ فهـي جليـة للجميـع عـلى شـبكات التواصـل الاجتماعـي، وفي مختلـف تعاملاتنـا القريبـة والبعيـدة.

وأكـثر هـذه الأمـراض انتشـارًا هـو الحقـد الـذي اسـتشرى في قلـوب الكثيريـن، حتـى أصبـح ظاهـرة خطـيرة تسـيطر عـلى فئـة مـن النـاس ليسـت بالقليلـة، وأصبـح مـن المألـوف لنـا أن نسـمع النـاس يتحسـرون، وهـم يترحمـون عـلى أيـام قـد خلـت ومضـت، ومـضى الخـير وصفـاء القلـوب معهـا.

وفي غمـرة آثـار هـذا الـداء الـذي ينخـر في علاقاتنـا ومجتمعاتنـا، يتوجـب علينـا أن نقـف وقفـة صريحـة وصادقـة نواجـه بهـا أنفسـنا، ونراجـع أفكارنـا ومشـاعرنا تجـاه كل مـن حولنـا بشـفافية.

غالبًـا مـا يـأتي الحقـد إمـا نتيجـة الغضـب مـن شـخص مـا والاختـلاف معـه عـلى أمـر مـا، أو بسـبب الغـيرة الناتجـة عـن النظـر إلى مـا في أيـدي الآخريـن وتعظيمـه، والنظـر بـازدراء لمـا في أيدينـا. فيتسـبب ذلـك للشـخص الحقـود بالشـعور بالحسـد، والضيـق، وعـدم الرضـا عـما يمتلـك، وبالتـالي عـدم الرضـا عـما قسـمه اللـه -تعـالى لـه مـن الـرزق، سـواء كان ذلـك الـرزق ماديًـا أو معنويًـا.

فتغيـب حكمـة اللـه عـن ذهـن الحاسـد، ويحقـد عـلى كل مـن امتلـك شـيئًا أفضـل مـما عنـده، ويمتلـئ قلبـه سـخطًا تجـاه النـاس فيشـعر بالنقـص أمـام مـن تميـزوا عنه، ويضمـر الـشر والضغينـة في قلبـه، فيدفعـه ذلـك إلى أذى النـاس بمختلـف الطـرق، إضافـة إلى الـضرر الـذي يسـببه لنفسـه نتيجـة لكـثرة الأفـكار السـلبية التـي تـراوده.

إنـه فعـلًا مـن أشـد أمـراض القلـوب؛ فهنـاك مـن يحقـد عـلى غـيره لمكانتـه بـين النـاس، ومحبتهـم لـه، واهتمامهـم بـه، وخاصـة إن كان الشـخص المحبـوب إنسـانًا ناجحًـا ومتميـزًا، فيشـعر الحاقـد بفشـله أمامـه، ويسـعى لتشـويه صورتـه بـكل الطـرق. وقـد يلجـأ إلى تهميشـه وتحطيـم معنوياتـه.

ونرى الحقد يكثر بين النساء لأسباب عديدة. فمن النساء من ليس لها شاغل يشغلها إلا مقارنة نفسها مع صديقاتها وقريباتها، فتقضي يومها وهي تفكر كيف ستظهر أجمل من فلانة، أو كيف ستشتري مثل فلانة، وكيف ستفسد على صديقتها التي تعيش بسعادة فتدخل النكد إلى قلبها، وكيف ستنغص فرحة قريبتها التي نجحت أو أنجزت إنجازًا ما.

ولا يغيب الحسد بين الإخوة؛ فالأخ قد يكره أخاه لأنه أغنى منه، ويحسده على كل ما بين يديه، والأخت تكيد لأختها المكائد فقط؛ لأنها تنعم بحياة مستقرة دون مشكلات مع زوجها.

ونجد صديقات يطعن بصديقتهن ويشوهن سمعتها فقط؛ لأنها متعلمة وناجحة، فيجتمعن ساعات طويلة للتكلم عليها، ولو اجتمعن بها لعملن جاهدات للتقليل من شأنها، والتبخيس بعملها، والتعليقات التي لا تنتهي على أولادها كي يوهن عزيمتها، ويشعرنها بالفشل، وهذا كله نتيجة الحسد والحقد على من هي أفضل منهن.

بهذا الشكل، تتنامى مشاعر الغيظ والحسد في قلب بعض النساء، فيشتعل القلب بغضًا على قريناتها وسخطًا على حالها، وتسيطر الخواطر السلبية على عقلها. فتتحول لامرأة فارغة، لا هم لها سوى المقارنات التافهة والتنافس على المظاهر، وتقتل وقتها الذي يذهب من عمرها هباءً، بدل أن تستغله في تطوير نفسها، والتركيز على توجيه طاقاتها لبناء أسرتها ومجتمعها.

وفي المقابل، هناك من الرجال من يحقد على قريبه الذي حصل على وظيفة أفضل من وظيفته، وقد يسعى لضرره في مجال عمله، أو على جاره الذي يمتلك عربة لا يمتلكها هو، وقد يحاول تعطيلها له في أي فرصة، ومن الممكن أن يسلط أولاده على الجار.

كذلك نجد رجلًا يبغض قريبه -أيما بغض- لأنه حصل على شهادة عالية في اختصاص ما، فيسعى الحاقد في أي محفل للاستخفاف به وبشهادته. وتكثر الأمثلة في هذا الأمر سواء بين النساء أو الرجال.

لذلك، علينا أن نتمعن في أنفسنا بصدق. ترى: هل نشعر بحب التشهير بالآخرين، والرغبة في فضحهم أمام الناس، والتكلم في أخطائهم والخوض في أعراضهم؟ وهل نتهم الناس بأفعال لم يفعلوها أو أقوال لم يقولوها لتشويه صورتهم؟ أو نتعمد إحراجهم أمام الآخرين للتقليل من شأنهم؟

ثم، هل نشعر بالحزن والاستياء لو ذكر شخص ما أمامنا بخير؟ وهل نشعر بالغضب والغيرة من نجاح الآخرين سواء في دراستهم، أو عملهم، أو علاقاتهم الاجتماعية، ثم نتمنى لهم الشر والأذى والفشل؟! ولو حصل ذلك، هل نشمت بهم؟

والحقيقة أن كل ما ذكرته هو من أعراض داء القلوب التي يجدر بنا أن نراقبها، ونعالجها إذا تسربت إلى نفوسنا واستقرت في قلوبنا. وتلك الصفات لو انتشرت، فإنها تنعكس على شكل فتور وعداوات في العلاقات. فكم من العلاقات والأرحام تقطعت، وكم من جرائم ارتكبت نتيجة الحقد والبغض.

الجميل أننا نستطيع أن نضبط هذه المشاعر ببعض الممارسات الإيجابية، حين ندرك أهمية وضرورة أن نتخلص من هذا الداء كي نحافظ على سلامة قلوبنا، التي تكفل لنا السعادة والراحة في حياتنا.

وتوجد طرق عديدة نستطيع أن نستبدل بها مشاعر الضغينة بمشاعر المحبة والألفة بين الناس، كالسلام والمصافحة، والتحدث مع من نشعر في داخلنا بسوء تجاههم، وتبادل الهدايا مثلًا. وهي أمور بسيطة، ولكنها تشيع المودة في القلوب كما علمنا نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (تهادَوْا تحابُّوا) [رواه أبو هريرة، أخرجه البخاري].

وأيضًا، محاولة طرد الأفكار السلبية عن طريق الاستعاذة بالله من الشيطان الذي يضخم هذه الأفكار من أجل إفساد الود بين الناس. إضافة إلى التواضع، ولين الجانب، والعفو عن الآخرين، وعدم سوء الظن بكل كبيرة وصغيرة، والتماس الأعذار عند حصول الأخطاء. ولو لم نتمكن من العفو عن الخطأ، فيمكننا أن نعاتب من أغضبنا بلطف، كي نزيل سوء التفاهم الحاصل بيننا دون تجريح أو عداء. ولا بد من التغافل، فهو خلق رفيع.

ومـن المهـم أن نتذكـر دائمًـا أننـا ضيـوف في هـذه الدنيـا، وسـيأتي يـوم نمـوت فيـه، وسنشــعر حينهــا بتفاهــة هــذه الأحقــاد، وتفاهــة المشــكلات والعــداوات التــي أعطيناهــا كثـيرًا مــن عمرنــا.

ولا ننـسى أهميـة الدعـاء دائمًـا بـأن يرزقنـا اللـه طهـارة القلـب وسـلامة النفـس مـن الأدران، كـما قـال اللـه تعـالى: ﴿وَالَّذِيـنَ جَـاءُوا مِـنْ بَعْدِهِـمْ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا اغْفِـرْ لَنَـا وَلِإِخْوَانِنَـا الَّذِيـنَ سَـبَقُونَا بِالْإِيمَـانِ وَلَا تَجْعَـلْ فِي قُلُوبِنَـا غِـلًّا لِلَّذِيـنَ آمَنُـوا رَبَّنَـا إِنَّـكَ رَءُوفٌ رَحِيـمٌ﴾ [الحـشر: ١٠].

فمـن شـأن هـذه الأمـور جميعهـا أن تسـاعدنا في معالجـة مشـاعرنا السـلبية تجـاه الآخريـن، وضبطهـا، والحفـاظ عـلى نقـاء نفوسـنا وعلاقاتنـا، والرقـي بمجتمعاتنـا. ولنتذكـر دائمًـا حكمـة اللـه في المنـع والعطـاء، وأهميـة الصـبر، وأجـره العظيـم، ونسـتحضر النعـم التـي تحيـط بنـا مـن كل جانـب.

فلـو حرمنـا نعمـة مـا، فـإن لدينـا أضعافهـا، ولـو رأينـا مـا ينقصنـا موجـودًا لـدى غيرنـا، فلنـدعُ لـه بالبركـة، وندعـو اللـه أن يعطينـا مـا نتمنـى دون حسـد أو بغـض، فخزائـن اللـه لا تنفـد، والحيـاة لا تكتمـل لأحـد.

فـما هـو موجـود عنـدك قـد يكـون مفقـودًا في حيـاة غـيرك، والعكـس صحيـح. والاعتقـاد بـأن قـوة النفـس تـأتي عـن طريـق هـدم الغـير بـدلًا مـن إعـداد العـدة،

والعمل، والاجتهاد على النفس اعتقادًا خاطئًا ومدمرًا للفطرة السليمة التي فطرنا الله تعالى عليها.

يمكن للأمنيات أن تتحقق عن طريق الأخذ بالأسباب، والسعي، والتوكل على الله سبحانه وتعالى، ولكنها يستحيل أن تتحقق بالحقد والبغض. والراحة لا تأتي إلا بالرضا والقناعة، ومحبة الخير للناس في كل حال.

فلماذا نروي نبتة الحقد بالمشاعر السيئة ووساوس الشياطين، ونحرم أنفسنا من الاستمتاع بما لدينا، وبدلًا من ذلك ننشغل بالغير الذي قد لا يأبه بنا؟

ولنتذكر أن الحسد والحقد على شخص ما لن ينقص مما عنده شيئًا، ولن يشعر به، ولكنه سينقص من راحة بال الحاقد، ويبعده عن الرضا، وهو يتحرق ليلًا ونهارًا من الغيظ.

لذلك، إن رأينا ما يعجبنا بمن حولنا، فلنسعَ لدعمهم، ونساعدهم على التألق، فهم لا ذنب لهم بمشاعرنا كي نسعى إلى أذاهم، ولنجتهد على أنفسنا لنصل إلى ما نحب، ونسامح الناس دوماً كي ترتاح قلوبنا قبل قلوبهم.

والمسلم الحقيقي يحب الخير لأخيه، ولا يفرح بحصول الشر له، ولا يشمت به. فالشماتة والفرح بما ينزل به من البلاء منافٍ للأخلاق الكريمة، والشيم النبيلة

التي أمر الله عباده بها. ولا يتصف بذلك من كمل إيمانه، وقوي يقينه بربه، لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ.) [رواه أنس بن مالك، أخرجه مسلم].

كي تبقى النفوس نظيفة من الشوائب، سليمة من الضغائن المؤذية للنفس قبل الغير، وقد قيل في المثل: «نار عدوك في صدرك». ولنتذكر دائمًا يومًا لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

كيف أكون ابنة صالحة؟

دخل أبوها إلى غرفتها فجأة فوجدها ترقص أمام الكاميرا، واكتشف أن ابنته تتصرف كراقصة على تطبيق تيك توك. وعندما منعها وسحب منها هاتفها، هربت من البيت، معلنةً انتصار حريتها الشخصية.

ما دفعني لذكر هذه القصة هو أننا نسمع ونرى الكثير من العقوق للوالدين من أمثال هذا النموذج، سواء من الذكور أو الإناث، لكنني أخص بهذه الفقرة الابنة بالذات، مع العلم أن الكلام يصلح للابن وابنته على حد سواء.

يقال إن الأنثى أحنُّ على والديها من الذكر، لكونها عاطفية ورقيقة المشاعر، وهي مصدر سعادة أيضًا لوالديها إذا كانت فتاة بارة بهم وطائعة لهم في الخير.

كـما أنها قـد تكـون في الوقـت نفسـه مصـدر تعاسـة لهـم، في حـال كانـت عاقـة، ولهـا مشـكلاتها الكثـيرة في البيـت وخارجـه.

فـما هـي الصفـات التـي ينبغـي عـلى البنـت التحـلّي بهـا تجـاه والديهـا، كـما أمـر اللـه تعـالى الـذي قـرن رضـاه برضـا الوالديـن حينـما قـال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٥].

كي أكـون ابنـةً صالحـة، عـليَّ أولًا أن أهتـم بوالـديَّ وأرعاهـما، وأحـرص كل الحـرص عـلى تقديـم الأفعـال الطيبـة لهـما، مـما سـيزيد مـن سـعادتهما. كـما ينبغـي مراعـاة كل منهـما، ومـاذا يحبـا أن يُذكـر أمامهـما، ومـاذا يكرهـا، وأتجنـب الأحاديـث التـي قـد تسـبب لهـما الألم والحـزن، وأن أكـون مصـدرًا لإدخـال الـسرور إلى قلبيهـما، حتـى وإن كان ذلـك الـشيء صعبًـا عـلى النفـس وثقيـلًا.

كـما يجـب الحـرص عـلى الكلمـة الطيبـة وانتقـاء الكلـمات التـي سأسـتخدمها في حديثـي معهـما، فاللـه تعـالى قـال: ﴿...وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي قـولًا طيبًـا حسـنًا بتـأدب، وتوقـير، وتعظيـم.

يذكر ابن كثير -رحمه الله- أن الله تعالى أمر عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحثِّ على التمسك بتوحيده؛ فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان؛ فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق.

من الضروري أن تعتني الفتاة بأبويها وتصبر عليهما، وتخصص وقتًا لمجالستهما، والحديث معهما، والاستماع لهما مهما تكرر الحديث. ويجب أن تلبي احتياجاتهما، خاصة في كبرهما، فالله تعالى يقول: ﴿...وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا...﴾ [لقمان: ١٥]. وما دام الأبوان لا يدعوان أبناءهم للشرك، فالأبناء مجبورون على برهما وطاعتهما.

توجد الكثير من البنات اللواتي يعتمدن على أمهاتهن في أداء الأعمال المنزلية، ومنهن من تقول لأمهاتها: «لست مضطرة للعمل في البيت، فأنتِ الأم وعليكِ هذه المسؤوليات!» وهذا مفهوم خاطئ.

حتى لو كانت الفتاة مشغولة بدراستها أو عملها، فالواجب عليها أن تساعد والدتها في ترتيب وتنظيف البيت، وإن كان صعبًا عليها، فعلى الأقل يجب أن تساهم في ترتيب، وتنظيف غرفتها، وإعداد طعامها لنفسها. ولا يفضل أن تكون غير مساهمة بشكل يومي وفعّال في مساعدة والدتها في الأمور المنزلية؛ لأن هذه المساعدة تترك أثرًا طيبًا في نفس الأم.

يجب ألا تنسى الابنة أنها أغلى ما يملك والداها. فقد يكونان سببًا في بكائها خوفًا عليها، وحرصًا على مستقبلها، ويمكن أن يعانداها في أمر ما لا يرون مصلحتها فيه. فنظرتهم للحياة غالبًا ما تكون أشمل وأوسع. لتتأكد كل فتاة أن الآباء يحاولون بشتى الطرق توجيه أبنائهم إلى الطريق الصحيح، مما يضمن لهم الراحة والسعادة. طبعًا هنا لا أتحدث عن الحالات الشاذة للآباء والأمهات الذين لا تهمهم مصلحة الأبناء، إنما أتحدث عن الحالة العامة والسليمة.

لو لم يعجب الفتاة أمرًا ما أو قرارًا ما من والديها، فعليها أن تنتبه لسلوكها معهما، فلا يكون ذلك سببًا لرفع صوتها عليهما، أو البدء بعقوقهما، أو تجاهل كلامهما، أو الإكثار من مجادلتهما حتى ترهقهما.

بكل صدق، أعرف فتيات يجلسن ويعلّمن بعضهن الطرق التي تضمن لهن السيطرة على الأم، وكيف يمكن لهن أن يتعاملن معهن بلؤم، ويقلن إنها من باب «نربيهم بدل أن يربوننا» و«نفعل ما نشاء»!

برّ الأم والأب له ثواب عظيم وأجر يقدّره اللهُ رب العالمين. ولا ننسى أن الأغلبية سيصبحوا أمهات وآباء، وأنهم سيكونون في نفس مكان أمهاتهم وآبائهم في يوم ما. فكيف تحب أن تُعامَل من قِبَل أبنائك؟ فكذلك يجب أن تتعامل مع آبائك.

قال الدكتور مصطفى محمود: «ضاعِف الخبز الذي تعطيه لأمك، واحملها كما حملتك؛ فقد كنت عبئًا ثقيلًا عليها، ولكنها لم تتركه للآخرين يحملونه.»

أيضًا، لأكون ابنة صالحة، عليّ أن أستمع لنصائحهم وآرائهم. وهذا باب من أبواب عدم وقوعنا في أخطاء متكررة، فهم يعطوننا آخر ما وصلوا إليه من الخبرة، حيث يقدمونها لنا على طبق من ذهب. ومن هنا، فإن الاستماع لهم والأخذ بهذه النصائح من البرّ بهم من ناحية، ومن الخير لأنفسنا من ناحية أخرى.

كي أكون ابنةً صالحة، يجب أن أحرص على احترام والديّ في حضورهم وغيابهم، وألا أقترف ما ينهونني عنه في غيابهم، إضافة إلى عدم عصيانهم. ومن المهم جدًّا أن تعرف الفتاة أنه لا يوجد شخص على وجه الأرض يتمنى لها الخير كأبويها.

كي أكون ابنة صالحة، يجب ألا أُسيء لوالديَّ بسوء الخلق أو بوجودي في أماكن غير مناسبة لأخلاقي وديني كفتاة مسلمة، وألا أتبّع كل ما ينادى عليه من صيحات الموضة والشهرة التي تجعل من الفتاة سخرية على مواقع التواصل، وتكون سببًا في جلب السبّ والشتم لأبويها، وتُعقّهم بسلوكيات غير لائقة. كذلك، يجب أن أتجنب مصاحبة الصحبة السيئة، والركض وراء كل ما هو مهين وتافه، فإن أول كلمة تقال بحقها غالبًا ما تكون إهانة للوالدين اللذين لم يحسنا تربيتها.

يجب علينا أن نقوم بالعكس فنبحث عن كل ما يرضيهم، ونكون سببًا يفتخرون بنا، وسببًا في دخولهم الجنة، لا سببًا في دخول النار.

نعم، أتحدث عن الابنة الصالحة لأننا الآن في زمن نجد الوالدين في وادٍ، والفتاة في وادٍ آخر. وعند السؤال، يتنهّد الأم والأب تنهيدة تؤلم السائل وتضعهم في موقف محرجٍ، وتكون سببًا في دموعهم وآلامهم ليل نهار.

وهناك الكثيرات اللواتي يخرجن علينا ليخبرننا بتحرّرهن من قيود آبائهم وأمهاتهم، لأنهم كانوا فقط يريدونها فتاة متخلّقة بأخلاق الإسلام، متعلمة، محافظة على دينها، وأن يبعدوها عن الصحبة السيئة، وتعتني وتحافظ على نفسها وشرفها. فنجد الفتاة قد لحقت بهذه الأفكار واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير.

فهل حب الوالدين لصلاح ابنتهما جريمة؟ بالطبع لا، بل مواجهة ذلك الإصلاح هو عقوق من ابنتهما التي فَتَنَتْها الدنيا.

إذا كان البر بالوالدين مطلوبًا حتى بعد مماتهما، حيث لا ننساهم من دعائنا أو من الصدقات، وصلة أحبابهم، فكيف علينا التعامل معهما في الدنيا؟

للبر فضل عظيم في حياة كلٍّ منا، حيث يجني البار بوالديه ثمار البر في الدنيا

قبل الآخرة، وأجر الآخرة أعظم. ففي الدنيا، يعلو شأن البار، ويطيب ذكره بين الناس، ويبارك الله له في عمره ورزقه، ويرزقه التوفيق في حياته. وفي الآخرة، يكون البر سببًا في تكفير سيّئاته، ومضاعفة حسناته، وينال رضا ربّه، ويدخله الله الجنة بإذنه، وينجّيه من النار.

دائمًا ما نسمع أن الزوجة الصالحة قطعة من الجنة، وأن الزوج الصالح قطعة من الجنة، وأضيف اليوم أن الابنة الصالحة قطعة من الجنة، وكذلك فالأبناء الصالحون جنّةٌ لوالديهم.

الثراء السريع

كلنا يعلم أن الفساد قد انتشر في كل مكان، حتى في الغرفة الواحدة أو في أضيق النقاط المكانية التي قد تجمع أخًا صالحًا مع أخٍ فاسدٍ مفسد، وذلك من خلال الشاشات المتاحة في يد الصغير والكبير. وقد تم تصدير وترسيخ أفكار جديدة كليًا ومسمومة عن الثراء السريع، بل والثراء الفاحش، والشهرة التي تبلغ الآفاق، والقدرة على الحصول على كل ما يرغب به الفرد «وبسرعة». وعامل السرعة هنا مهم جدًا.

كيف لا ونحن في عصر السرعة؟ هناك الكثير ممن فقدوا معنى الحلم الحقيقي

الكبير الذي يسعى إليه الإنسان بكل ما أوتي من طاقة واجتهاد بعد عناء وتعب. والآن، صارت السيطرة لفكرة أن الأشياء يجب أن تأتي بسهولة. لماذا؟

مليار تحميل في عالم الفساد!

تظهر تطبيقات لا تُعد ولا تُحصى كل يوم، وقد اشتهر بعضها في جميع أنحاء العالم، وخاصة بين المراهقين والشباب. على سبيل المثال، أحد برامج المقاطع الراقصة حظي بأعلى نسبة تحميلات خلال الأشهر الاثني عشر الماضية، حيث تم تنزيله قرابة مليار ونصف المليار مرة، وهذا رقم مرعب حقًّا.

تتمثل مشكلة هذه البرامج وأمثالها في أنها تضيع بوصلة الشباب والفتيات، وتجعلهم ينصرفون عن المجالات الأساسية التي يجب أن يهتموا بها، مما يؤثر على مسار حياتهم.

فهي تركز على إفراغ الإنسان من مضمونه، وتضييع حياته ووقته، فيتحول الشاب إلى أسير لتفكيره الذي ينشغل ليلاً نهارًا بماذا سأصور غدًا، وما الخدعة التي سأقدمها لجذب أكبر عدد من المشاهدات. ثم يخرج على جمهوره بخدعة سخيفة أو لقطة غير لائقة لشاب أو فتاة، وقد يكون هؤلاء من المقربين منه، فـ«الشهرة تبيح المحظورات».

نتذكر قديمًا كيف كنا نقول عن بعض القنوات الخليعة التي كانت تبث أشياء تتضمن رقصًا ومجونًا إنها ساقطة، ولا يمكن أن تجد أبًا يشاهدها أمام بناته أو العكس. أما الآن، فقد أصبحت هذه المحتويات موجودة على الأجهزة الشخصية، وانتقلت إلى حالة المشاركة، ولم يعد الأمر مقتصرًا على ذلك؛ فقد أصبح من المعتاد أن تكون مثل هذه البرامج موجودة على أجهزة الفتيات والشباب الذين لم يبلغوا السادسة عشرة من العمر، وأصبح ذلك مقبولًا أمام العائلة والأصدقاء والمجتمع.

حتى صرنا نشاهد فتيات محجبات يتحولن إلى عارضات أزياء وراقصات على هذه البرامج، ومنهن من تنازلت رويدًا رويدًا عن حجابها، وإن لم تنزعه فقد أساءت له.

أما بالنسبة للشباب، فإن طاقاتهم التي يجب أن تُستثمر في الأماكن الصحيحة على كافة المستويات تُهدر في هذه البرامج. في الوقت الذي تحدث فيه نبينا الكريم (ﷺ) عن أهمية الوقت، حيث قال: (نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ.) [رواه عبدالله بن عباس، أخرجه البخاري].

مع الأسف، نجد الشاب في ريعان شبابه وصحته، ويمتلك وقتًا، ولكنه بدلًا من اغتنامه واستغلاله في التعلم بما ينفع نفسه وأمته، يُضيعه في هذه البرامج. والمشكلة مشابهة لمن يقفز إلى الماء ولا يريد أن يبتل. هذه مشكلة لا يكترث لها الكثير من الشباب.

لذا، لا بد من تقليل استخدام هذه الوسائل أو تقنينها بمعنى تخفيف استخدامها. وحتى عندما تُستخدم، يجب أن تتم بطريقة منضبطة، مع تخصيص القوائم التي نشاهدها.

هناك قول حكيم يقول: «الوقت سيف، وأفضل العصمة أن لا تجد». في الحقيقة، لدي أبناء، ولا أقبل أن أجد البرامج التي تعتمد على الرقص والدردشة مع الغرباء في هواتفهم أو غيرها. وعندما يقولون لي إنهم يشاهدون «أفضل الأشياء»، أرفض ذلك، وهذا واجبي تجاه أولادي لحمايتهم من الفتن المحيطة بنا من كل صوب وحدب.

فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، لذا لا أسلمهم هواتف بحرية مطلقة وهم تحت رعايتي. بل أشرح لهم، وأعمل جهدًا لتوجيههم، وأحذرهم. أعلمهم أن يكونوا كالنحلة، تقع على الطيب وتتجاوز الخبيث، فتخرج من الورد العسل، وألا يكونوا كالذباب الذي يتتبع الجروح فلا يقع إلا على كل قبيح وقذر!

قرأت مقالة عن تنظيم الوقت تقول: إنه يُفضل تثبيت وسائل التواصل الاجتماعي على الكمبيوتر، لأن ذلك يصعب فتحها على الموبايل. طبعًا، هذا لمن لا يريد أن تسرقه هذه الوسائل من واقعه. لذا، يجب ألا ندع هذه البرامج تسيطر على عقلنا الواعي واللاواعي، وتغير من قناعاتنا بشكل مباشر أو غير مباشر.

وإذا كنت مضطرًا للدخول إلى مثل هذه البرامج بسبب عملك، فهذا معقول. لكن تحميل مثل هذه البرامج للصغير والكبير بشكل عشوائي ودون أي ضوابط قد يؤدي إلى انجرار الشخص رويدًا رويدًا. فالذي كنت ترفضه بالأمس قد تقدمه اليوم مع زوجتك أو أختك أو ابنتك.

وأعتذر عن هذه الكلمة، فقد يتحول الأمر إلى نوع من الدياثة في هذه البرامج، حتى صرنا نرى فتاة عشرينية أو أقل ترقص أمام أبيها وأخيها أو معهم، أو قد تجد زوجين يشاركان كل تفاصيل حياتهما من مزاح، وضحك، وغير ذلك من الحركات المخلة بالأدب والحياء. والأمر الأخطر أن البعض يسمون مثل هذه المشاهد تحضرًا وتطورًا. متى كان التطور مرتبطًا بالدياثة والرقص؟

أيضًا، أصبحت هذه البرامج وسيلة لكسر الحواجز بين الأب وابنه أو أمه، بحيث أصبح الشاب يتطاول على أبيه أو أمه فقط من باب المزاح ولجلب مشاهدات أكثر. هذا كله عقوق، وكلها محاولات لتحويل العلاقة بين الآباء وأولادهم إلى علاقة مشابهة لتلك التي تكون بينهم وبين أي شخص آخر. وهذا كله تلبيس إبليس للإفساد، ولا يوجد فيها أي قدر من المسؤولية سواء من المساهمين فيها أو من القائمين عليها. فمثل هذه البرامج يقل فيها الخير ويعم الشر.

لذا، يجب تقليل هذه الأمور ومتابعتها بشكل صحيح من قبل الآباء تجاه أبنائهم، أو من خلال منظمات المجتمع المدني. يجب أن تكون هناك توعية على مستوى مجتمعي وديني، وعلى مستوى وزارات الشباب في الدول.

لا أدري أين العادي في الأمر عند الأهل، بل ويجدون أنه من الطبيعي وجود مثل هذه البرامج عندهم، من باب: إذا لم يشاهدوا في شبابهم ويشاركون، فمتى سيفعلون ذلك؟ هذه مشكلة عظيمة وأكبر؛ لأن الأساس يحتاج إلى عمل وإعادة تأهيل. من قال إن عمر الشباب هو عمر الرذائل، والطيش، والفراغ، والخزي؟ بل هو عمر الإنجاز، والإصلاح في الأرض، والتقرب إلى الله تعالى.

برأيي، هذه المشكلة تحتاج إلى حسم من الأهل. يمكن للشخص أن يستخدم هذه البرامج في حال استطعنا تخصيص المحتوى أو خلاصة الأخبار. فإذا استطعنا التخصيص، يمكن أن نتابع مثل هذه البرامج ونكون موجودين فيها، طبعًا «إذا استطعنا التخصيص» وأن نؤثر فيها بشكل إيجابي.

إذا استطعت أن تصنع عالمك ومجتمعك الخاص، وأن تصنع هذه الدائرة وتكون إيجابيًا وتكون مؤثرًا ومتأثرًا، فهذا أمر جيد. المشكلة أنك لا تستطيع في بعض هذه البرامج أن تصنع دائرة تأثير من هذا النوع، وهذه مشكلة.

الكثير من فتياتنا وشبابنا يقضون ساعة وساعتين على هذه البرامج، وهذا هو الحد الأدنى، ومنهم من يقضي خمس ساعات دون كلل أو ملل.

ماذا لو تعلموا لغةً أو علمًا معينًا؟! لوجدوا أنفسهم بعد فترة أصبحوا متمكنين من الشيء الذي تعلموه.

عليك أن تتخذ قرارًا بخصوص هذه العادات، وصرف وقتك لما يفيدك، وأن تقلع عن هذه البرامج أو الألعاب كما يقلع المدخن عن التدخين، وتلتفت لما ينفعك. حينها، سيتطور عملك قولًا واحدًا، فالمعاصي تُذهب بركة المال، وبركة الوقت معًا .

القدوة تبدأ منكِ!

مغلوبون على أمرنا، لا نستطيع أن نقدم أي شيء. ما الذي سيتغير إذا أنا تغيرت؟ هل سأصلح العالم؟ نعم، هناك من عمل ليطفئ الهمة بداخلنا، لنصبح مهزومين من الداخل في كل المناحي لنقول تلك الكلمات.

لكن علينا أن نستعين بالله ولا نعجز، دون الالتفات لدعوات إفراغ حياتنا من مضمونها لنعيش فارغين من الداخل. بدءًا من مرحلة يسمونها «المراهقة»، والتي يصورها ويُسوق لها الكثيرون بأنها مرحلة اللاهدف، مرحلة التخبط، والضياع، وعدم الإنجاز. فالمراهق بنظرهم كمن وجد نفسه في الفضاء فجأة، لا يعرف طريقًا يمشي به، ولا يعود منه. كأن المراهق ليس ابن عائلة مسلمة ولا مجتمع إسلامي، ولم تصله تعاليم الدين، وبلحظة صار مراهقًا فتفاجأ بوجوده في خضم التكليف.

وهـذا كلـه هـراء مـن طـرف مـن يرسـم لبناتنـا وأبنائنـا طريـق الضيـاع منـذ أول فـترة وعـي بحياتهـم. إنهـا الماكينـة الإعلاميـة الموجهـة في اتجـاه فوضـوي مـدروس. فهـذه أمنـا عائشـة -زوجـة رسـول اللـه (ﷺ)- كانـت في مقتبـل العمـر وكانـت رائـدة في مجـال الفقـه والشريعـة، وكان الصحابـة يسـتفتونها في المسـائل الشرعيـة التـي تصعب عليهـم. وقيـل فيهـا إن ربـع علـوم الشريعـة الإسـلامية قـد أتـت مـن السـيدة عائشـة -رضي اللـه عنهـا-.

عليـكِ أن تعلمـي جيـدًا أنـك قـدوة أينـما كنـتِ. فـإذا كنـتِ في الجامعـة أو مـا قبلهـا، فأنـتِ نمـوذج لصديقاتـك ومدرسـيكِ. لا تـرددي عـلى لسـانكِ: «هـل سـأغير الكـون بتصرفـاتي وكلامـي؟ لـن أحـرك سـاكنًا. سـأمشي مـع التيـار، مـع الموضـة، مـع صرعـات السوشـيال ميديـا.. أنـا أؤثـر عـلى نفـسي فقـط».

هـذا وهـم! لا أحـد منـا يؤثـر عـلى نفسـه فقـط. نحـن كبـشر نؤثـر دائمًـا بمـن حولنـا ونتأثـر أيضًـا. فلـو كنـتِ مجتهـدة في دراسـتكِ، ألـن تكـوني نموذجًـا لصديقـة مـن صديقاتـك؟ وتعمـل جاهـدة عـلى السـعي للوصـول إلى درجـة تحصيلـك العلمـي؟ أو لـو أثـرتِ ضجـة في طريقـة لباسـكِ، ألـن تؤثـري بإحداهـن؟ وتكـوني بابًـا لأن تقلـدك؟

إذن، حينـما تكونـين صالحـة وسـوية، أو سـيئة وغـير مباليـة، سـتؤثرين، حتـى لـو لم يكـن ذلـك ملموسًـا أمامـكِ.

وأركز على هذه النقطة، فقد تبدو بعض التصرفات بسيطة لدى البعض -خصوصًا في مقتبل العمر- وتتساهل فيها الفتاة أو أهلها. لكن الحقيقة أن الطريق الذي ستتخذه الفتاة سيستمر معها طيلة عمرها؛ لأن من شب على شيء شاب عليه. وفترة انضباطها ووعيها في بدايات عمرها هي من ستقرر مستقبلها، وشريك حياتها، وتربيتها لأبنائها وتعاملها مع من حولها.

فإما أن تختاري حياة فارغة تافهة طيلة العمر، وإما أن تكوني إنسانة منجزة وقدوة لمن حولكِ، فيجب أن تعرفي ما هو طريقكِ ولا تكوني عبئًا على بيتك، وزوجك، وأولادك، ومجتمعك، وكل من يتعرف عليك، لأنك اعتمدتِ نمطًا في حياتك ليس من السهل أن يغيره المستقبل.

نحن في زمن التغيرات والفتن -وبصراحة- في عصر السوء الذي يعم وينتشر بسرعة. فإذا لم تكوني صاحبة قرار عملي وأخلاقي بأن تكوني إنسانة فعالة مؤثرة بالحق، لا متأثرة بالسوء، وكذلك متأثرة بالحق، لا مؤثرة بالسوء، فكوني متأكدة أنك لن تقاومي التغييرات والفتن القادمة.

تذكري دائمًا حديث نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام-: (أَلا كُلُّكُمْ راعٍ، وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ...) [رواه عبد الله بن عمر، أخرجه البخاري]. هذا الحديث يشملنا جميعًا، رجالاً ونساءً، وهو تذكير جميل بمسؤوليتنا في حياتنا اليومية. فأنتِ مسؤولة عن نفسك وعن التأثير الذي تتركينه فيمن حولك، خاصةً مع تطور مسؤولياتك كزوجة أو أم أو فرد فعال في المجتمع.

في ظل هذا الدور، أليس من المفيد أن نعيد التفكير فيما يشغل أوقاتنا؟ هل تُثري متابعة صفحات الموضة وروادها حياتنا حقًا، أم أنها تصرفنا عن الأهم؟ لنبحث عما ينفعنا في رحلتنا ويعزز من قيمتنا وتأثيرنا الحقيقي.

ادعمي نفسك علميًا وتسلحي بمعلوماتك كمن يريد الخروج على الجبهة، ويتهيأ بكامل العتاد كي يواجه عدوه. وأنتِ كذلك أمام عدو لا يرحم، ألا وهو الجهل والانصراف عن الهدف الذي خلقنا الله من أجله. لا مشكلة في ألا تعرفي، لكن المشكلة في أن ترضي عن وضعكِ ولا تتعلمي. هناك مثل تركي يقول: «ليس العيب ألا تعرف، لكن العيب ألا تتعلم».

قد تجد مجموعة من النساء يتبجحن بأفكار شيطانية كتحريض ضد الحجاب أو التمرد على الأزواج والآباء، ويثرين حديثهن بالحرية التي يتمتعن بها بعد كسر الحواجز الدينية والمجتمعية، وكيف استطعن إسكات الجميع بألسنتهن.

وهناك من المستمعات من يرفضن كلام هؤلاء المفسدات، لكنهن خوفًا من إزعاج الجو العام، يبدين ابتسامة تأييد للمتحدثة. أنتِ بالذات التي ينبغي أن تتحدثي وترفضي هذا الكلام جملة وتفصيلًا. عليكِ أن تؤثري في هذه المجموعة، وتستنكرين على النساء اللواتي يفعلن هذا، فلا ينبغي عليكِ في الواقع أو على مواقع التواصل الاجتماعي أن تُضطري لدعم محتويات وأفكار سيئة قائمة على إفساد النساء.

لا تستهيني بقدرتك على التأثير وتغيير مثل هذه القناعات، حتى في مواجهة صاحبات الصوت العالي اللواتي قد يستهزئن بكِ أمام الجميع لإثبات نظريتهن. إذا كان لديكِ من العلم والمهارة ما يُلجمهن، فتوكلي على الله. الثقة بالله ثم المهارة جيش لا يُقهَر.

لا تعيشي بأنصاف الحلول، كوني قوية بالحق، وأبدي رأيك من أجل الإصلاح، وانكري المنكر، ولا تدعميه لا بالإعجاب ولا بالجلوس في أماكن الباطل. جميل أن تكون المرأة مسايرة ولطيفة، لكن يجب أن تعرف ما لها وما عليها. يجب أن تعرف الصواب من الخطأ. لا تعني الأنوثة أن تكوني لينة في الحق، أو خجولة وضعيفة فيه، أو أن تري المنكر ولا تنكريه خوفًا من زعل أحدهم. فإن بسكوتنا وخجلنا هذا، الفساد يعم وينتشر أكثر فأكثر. فالحق لا يُستحى منه، وبسكوتنا عن الصواب، يعلو صوت الباطل.

المرأة بنظر الفلاسفة!

قلل الفلاسفة من شأن المرأة، وأولهم سقراط الذي اعتبر أن النساء يُولدن الأجساد، بينما يُولد الفلاسفة الأرواح.

أما الفيلسوف أفلاطون فقال إن الرجل كائن كامل، والمرأة لا يمكنها إلا أن تسعى لتصبح رجلًا.

وفي فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة، ربط ديكارت العقل بالرجل والمادة بالمرأة.

وقال جان جاك روسو إن المرأة وُجدت من أجل الجنس والإنجاب فقط.

لكن فرويد جعل كل مشكلات المرأة بسبب شعورها بعقدة النقص تجاه الذكر.

أما عن ديننا العظيم، فقد خلصنا من هذه الأفكار المنحرفة والمشوهة، وجعل للمرأة قيمة وأهمية منذ نعومة أظفارها وحتى وفاتها. وقد قال عن المرأة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو الصادق الصدوق: (ما أَكْرَمَ النساءَ إلا كريمٌ، ولا أهانهن إلا لئيمٌ) [رواه علي بن أبي طالب]، وجعل الجنة تحت قدميها أمًا. ووصى بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في خطبة الوداع، فقال: (... استوصوا بالنساء خيرًا) [رواه أبو هريرة، أخرجه البخاري]، وأعطانا حقوقنا كاملة.

كيف نحول المحنة إلى منحة؟!

ملل.. كآبة.. وكثيرًا ما نسمع كلمات محبطة مليئة بالتذمر عند كل محنة. ولأن تلك الكلمات تزيدنا إحباطًا وتزيد الوضع سوءًا، يجب ألا تتكرر كثيرًا، وينبغي أن نقضي على الأفكار التشاؤمية المرافقة لكل محنة. ولكن كيف؟

لـن أقـول الـكلام المعتـاد عـن رؤيـة نصـف الـكأس الملآن؛ لأني أراه نظريًـا. نحتـاج لحلـول عـلى أرض الواقع، ورأس هـذه الحلـول هـو الصـبر والتأقلـم مـع مـا كتبـه اللـه علينـا مـا لم نسـتطع تحسـين الظـروف التـي تحيـط بنـا.

كتبـت هـذه الكلـمات في خضـم انتشـار وبـاء فـيروس كورونـا، نسـأل اللـه أن يزيحـه عـن البشريـة، وأن تمـر هـذه الأزمـة بخـير وسـلام. لـذا، سـأتحدث عـن المحنـة التـي نعيشـها كنمـوذج لطريقـة التعامـل الممكنـة مـع هـذه الكارثـة وكـوارث مشـابهة.

النقطـة الأولى: لا بـد مـن التفكـير في المسـتقبل. مـا تمـر بـه اليـوم لـن يسـتمر للأبـد، فـدوام الحـال مـن المحـال. القليـل مـن النـاس يفكـر اسـتراتيجيًا. نعـم، سـنعيش يومنـا ونتـوكل عـلى اللـه تعـالى، لكـن الأخـذ بالأسـباب مـن أصـل الديـن. لا تركـن إلى وسـاوس الشـيطان، فالشـيطان يعدكـم الفقـر. إذن، فكـر بالمسـتقبل وأحسـن الظـن باللـه تعـالى قبـل كل شيء.

وعليـه، لا تهـدم أي شيء بنيتـه في بيتـك، أو عملـك، أو علاقاتـك، أو غـيره لأجـل أزمـة سـتمر إن شـاء اللـه. وأي أزمـة لـن تمـر؟ إن مـع العـسر يـسرا. إذا اتفقنـا عـلى هـذه النقطـة أولًا، وتذكرنـا حديـث النبـي -صـلى اللـه عليـه وسـلم-: (عَجَبًـا لأَمْـرِ المُؤْمِـنِ، إنَّ أمْـرَهُ كُلَّـهُ خَـيْرٌ، وليـسَ ذاكَ لأَحَـدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِـنِ، إنْ أصابَتْـهُ سَرَّاءُ شَـكَرَ، فَـكانَ خَـيْرًا لـه، وإنْ أصابَتْـهُ ضَرَّاءُ، صَـبَرَ فَـكانَ خَـيْرًا لـه.) [رواه صهيـب بـن سـنان الرومـي، صحيـح مسـلم].

إذا تذكرنا هذا الحديث، حينها تكون سعادتنا غير نابعة من الأسباب والظروف، بل نابعة من إيماننا بالله تعالى، وبذلك نعيش بالأمل في غدٍ أفضل، بحسن الظن بالله، مع الأخذ الدقيق بالأسباب. نطبق حديث رسول الله (ﷺ): (... وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ...) [رواه أبو هريرة، صحيح مسلم].

النقطة الثانية: على المستوى الشخصي لكل واحد منا، هذه المحنة أو غيرها من المحن هي فرصة لتطوير النفس ومراجعتها. مثلاً، وباء كورونا الذي نعيشه اليوم هو فرصة لمراجعة حساباتنا على مستوى النفس، وهذه أتركها للشيوخ والعلماء الذين يفصلون فيها أكثر. أما على مستوى المهارات، فتعطل المرافق والحجر الصحي المفروض على الجميع يدفعنا للنظر في نعم الله علينا حين كنا نسرح ونمرح بأريحية. واليوم لا يوجد أمامنا إلا الإنترنت والشاشات، وهذه أيضًا نعمة عظيمة، علينا أن نغتنمها الآن قبل أن نفقدها أيضًا كما يفتقدها الكثيرون اليوم حول العالم.

ضع خطة لنفسك لتطبقها خلال فترة الحجر الصحي. فمثلًا، عشرات الدورات المجانية أتيحت من مواقع عالمية ومحلية، فهي فرصة لنا لتطوير أنفسنا، وخاصة بعد توفر الوقت عند الكثيرين ممن توقف عملهم خارج البيت. فالساعات التي كنت تقضيها في المواصلات يمكنك الآن أن تقضيها في الدورات، وستجد نفسك بعد مرور هذا الوباء أنك انتقلت نقلة نوعية في حياتك.

فيمكنك قراءة كتب تفيدك في دينك ودنياك بدلًا من الساعات الطويلة التي تقضيها دون فائدة، يمكن تقليصها قدر الإمكان ووضع إنجاز عوضًا عنها، بدل الندب والاستهزاء بالوباء الذي أصاب البشرية عامة. فالله تعالى قال: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

النقطة الثالثة: على المستوى العائلي، الوباء الذي فَرَض علينا الحجر في منازلنا قد يكون فرصة جيدة لتحسين علاقاتنا العائلية. لا أقول بالزيارة، فهذه أيضًا محرومون منها كما حُرمنا من الصلاة في المساجد. يكفينا تسويف لواجباتنا الشخصية والاجتماعية. تواصل مع الوالد أو الوالدة أكثر، برّهم، استمع لأحاديثهم مهما كانت طويلة ولا تعنيك. فهذا بر قد تفقده في أي لحظة، وكثيرون فقدوه ويتمنون الجلوس والحديث معهم ولو بكلمة. تواصل مع الذين لهم حق عليك في تواصلك، فاليوم نحن محجورون لكن غدًا سنكون مدفونين. نبينا الكريم (ﷺ) قال: (اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمسٍ : حَياتَك قبلَ موتِك، و صِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، و فراغَك قبلَ شُغْلِك، و شبابَك قبلَ هَرَمِك، و غِناك قبلَ فقرِك) [رواه عبدالله بن عباس وعمرو بن ميمون، صحيح الجامع].

أكثر ما شغل مواقع التواصل، هو الحديث عن جلوس الأزواج في البيوت واستمرار المشكلات مع زوجاتهم. رأيت الكثير من المنشورات التي تتحدث عن أن كورونا أرحم من زوجتي، أو تذمر النساء من وجود أزواجهن معهم لفترة طويلة.

إن هـذا أمـر مثـير للاسـتهجان؛ يعنـي بـدلًا مـن أن تتقـوى العلاقـة بينهـما ويفهـما بعضهـما أكـثر، ويحـاولا إيجـاد حلـول لمشـكلاتهما سـواء كانـت خاصـة أو عائليـة أو علاجًـا لمشـكلات أولادهـما، يلقـون الأحـكام عـلى بعضهـما بالتقصـير الكبـير.

إنهـا فرصـة لأن يجلـس الآبـاء مـع أولادهـم مـدة أطـول، يشرحـوا لهـم مـا هـو الوبـاء، ومتـى يقـع، ولمـاذا يحـدث، ويعلموهـم دينهـم أكـثر. نحـن غـير مدركـين خطـورة الوضـع الـذي نعيشـه ويعيشـه أولادنـا في زمـن الإنترنـت والفضائيـات. مـا الضـير في أن ننظـم يومنـا، ويـوم أولادنـا في فـترة الحجـر الصحـي، منـذ سـاعات الصبـاح الأولى وحتـى نهايـة اليـوم؟

لمـاذا يظـن بعـض الرجـال في فـترة الحجـر أنـه لا علاقـة لهـم بـكل مسـؤوليات البيـت والأولاد؟! وأن المـرأة مُطالَبـة بـكل أعبـاء المنـزل التـي تزايـدت؟ أنـت رب البيـت وأنـت مديـره وقدوتـه، لـذا عليـك المسـاعدة كـما عـلى زوجتـك، مـع فـارق المهـام بينكـما. نسـاء كثـيرات يشـتكين مـن جلـوس أزواجهـن سـاعات طويلـة عـلى الهاتـف، منعزلـين في غرفهـم، ويخرجـون فقـط للطعـام والطلبـات، ثـم يعـودون. الحجـر الصحـي فرصـة للتقـرب مـن اللـه، والتوبـة، والتـضرع إليـه حتـى يزيـل عنـا هـذه الغمـة، لا التقـرب مـن الهاتـف. إنهـا فرصـة لأن نُعلـم أهـل بيتنـا كيـف نتعامـل مـع مثـل هـذه الآفـات والكـوارث، وكيـف نقـوي إيماننـا، ولا نـترك أولادنـا سـاعات طويلـة عـلى الهواتـف والتلفـاز دون رقابـة ولا اهتـمام.

سأخبركم عن حديث يثلج الصدور عندما سألت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن الطاعون، فقال لها نبينا الكريم (ﷺ): (...أنَّه عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ علَى مَن يَشَاءُ، وأنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، ليسَ مِن أحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ ، فَيَمْكُثُ في بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أنَّه لا يُصِيبُهُ إلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ له، إلَّا كانَ له مِثْلُ أجْرِ شَهِيدٍ). [روته عائشة أم المؤمنين، صحيح البخاري].

فلا نضيع هذا الأجر العظيم بترهات الحياة، والنكات، والسخريات، وعدم تحمل المسؤوليات، والتنقل بين المحطات، والفيديوهات اللاأخلاقية واللادينية، بل لنجعل من هذه المحنة منحة لنا في كافة المجالات، وأولها العودة إلى الله تعالى، ثم تطوير أنفسنا؛ لأنه كما أخبر نبينا -صلى الله عليه وسلم-: (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ) [رواه أبو هريرة، صحيح مسلم].

الزنا على مواقع التواصل الاجتماعي

كلمة زنا ثقيلة على النفس وحتى كتابتها وقرائتها ثقيلة فكيف بالفعل! الزنا لا يكون فقط باللمس والفعل المباشر إنما للزنا أنواع كثيرة، ومنها الزنا على مواقع التواصل الاجتماعي سواء كان بالفيديو، أو كتابة، أو بالصورة.

أقسمت لي أم أن ابنها عمره ستة عشر عامًا.. دخلت على غرفته ليلًا فوجدته

نائمًا، وهاتفه مفتوح على محادثة مع إحدى الفتيات، وكانت المحادثة تعج بصورهم العارية، والفتاة لا تتجاوز الرابعة عشرة من عمرها.. وهذا مؤشر غاية في الخطورة.

تبدأ المحادثة بخبث أحد الطرفين من كلمة لطيفة لهمسة لأسئلة غير لائقة، والشيطان هنا يقف مصفقًا ومشجعًا لكل تطور بمحادثاتهما حتى يصل بهما الحال إلى أدنى مستوى من الحديث، ثم يُزين لهما الشيطان أنفسهما، فيتبادلان الصور، وهم إما عراة أو شبه عراة، وقد تكون هذه الصورة يومًا ورقة ضغط على الفتاة، فيتحول الزنا الإلكتروني إلى زنا على الواقع خوفًا من أن تُفضح البنت بعد تهديدات مكررة من الشخص الذي أرسلت له صورها.

فكيف نحافظ على أنفسنا من هذه المعاصي؟ تكون بعدم السماح لشيطاننا وأعوانه باستدراجنا، وألا نستسهل التواصل بين الجنسين، ونضع عشرات الحواجز لكل تواصل، وإن كنا مضطرين فيكون الحديث مختصرًا، ويُذكر اللازم دون رفع الكلفة.

نحن في زمن القابض على دينه كالقابض على الجمر، فلا نستهين بالمعاصي، ولا ننظر إلى صغر معصيتنا بل لننظر إلى عظمة من عصينا، ولنقف مع أنفسنا وقفة صادقة وصارمة، ونضع حدًا لخطوات الشيطان ونرجع إلى الله قبل فوات الأوان، ولننتبه لأبنائنا من هذه الأجهزة التي سرطنت عقولهم، وقلوبهم، وفطرتهم السليمة.

الأم البطل المجهول في حياة كل نجاح

كثيرًا ما نجد من الأمهات ما يشتكين من قلة إنجازهن، خاصةً بعد متابعة نساء قدمن، وعملن، وأنجزن. فتعيش الأم في حالة من المقارنة -كونها أمًّا-، حيث فرصتها في الإنجازات الخارجية قليلة، ولم تعد كما كانت عندما كانت عازبة. تعاني من الاكتئاب والصدمة؛ لأنها مقيدة بأطفالها، وأنهم حاجز بينها وبين إنجازاتها، متناسيةً دورها العظيم كأم. العمل الذي تقوم به أهم من أي إنجازات أخرى، وهذه حقيقة وليست مجرد مواساة. أنتِ كأم تبنين مجتمعًا صغيرًا داخل أمة كبيرة، فإذا أحسنتِ دورك في تربية أطفالك، وتعليمهم أسس الحياة بشكل سليم وصحيح، فإن هذا العمل أصعب وأهم من أي عمل آخر.

بما أن الأم تجلس مع أطفالها مدة طويلة، أكثر من الأب أو أي طرف ثالث، فهي المؤهلة لأن تكون الأكثر تأثيرًا في المجتمع الجديد بكل تفاصيله، بمعنى أنه من البيت تستطيعين صناعة مستقبل الأمة.

أم الإمام أحمد بن حنبل -على سبيل المثال- كانت كل يوم تهمس في أذن ابنها فجرًا: «استيقظ يا أحمد، إنه نداء الفجر»، وكانت توصله يوميًا للمسجد بسبب بُعد المسجد وظلمة الطريق. عملت جاهدةً ليحفظ ابنها كتاب الله وهو في العاشرة من عمره، فاعتنت به وعلمته أصول دينه، وفرغت نفسها تمامًا لرعايته، وتنشئته على حب العلم بعد وفاة والده -محمد بن حنبل- ليكون عالمًا من علماء المسلمين. فماذا كانت النتيجة؟

النتيجة أن ابنها أصبح إمامًا من أئمة الفقه الإسلامي الأربعة المعروفين، وصاحب أحد الكتب الستة المعروفة في الحديث الشريف المروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو كتاب «مسند الإمام أحمد». لكن السبب في وجود هذا الإمام وما قدمه للأمة هو «أم» كانت تعرف أن تربية ابنها هو أسمى إنجاز يمكن أن تقدمه لنفسها وولدها.

والدة توماس أديسون -كمثال آخر- قد تكون قصتها مُلهمة، أكثرنا قرأ أو سمع قصة هذا المخترع الذي طردته المدرسة، وهو في الثامنة من عمره بسبب شروده وكثرة حركته. أرسلوا معه رسالة لوالدته فحوّرت الرسالة عندما سألها ابنها عن فحواها، فقالت: «يقولون إن ابنك عبقري، وهذه المدرسة متواضعة جدًا بالنسبة له، وليس لدينا معلمون جيدون لتعليمه. من فضلكِ علّميه في المنزل». وبالفعل، هذه الأم علمت ابنها بنفسها، وفي عمر الخامسة عشر سنة عمل أديسون كخبير تلغراف، وكان من أشهر اختراعاته: الفونوغراف، والمصباح الكهربائي، ومولد الكهرباء، وكاميرا التصوير المتحرك.

تخيّلوا ماذا كان سيحدث لو أن والدة توماس أديسون بقيت تندب حظ ابنها أو قالت: «ليس لي إنجازات، لم أقدم شيئًا، ولم أستطع إثبات وجودي، وابني عقبة في حياتي». تخيلوا لو قالت: «سأقضي الوقت في العمل مع صديقاتي» وتركت ابنها دون عناية. لقد كنا لخسرنا ١٠٩٣ اختراعًا قدمه توماس للبشرية، ومن أهمها المصباح الكهربائي.

لذلـك، مهـم ألا تقـارني نفسـك دائمًـا بالتـي تتحـدث عـن إنجازاتهـا، سـواء فتحـت شركـة أو جمعيـة، أو حتـى لـو عملـت مركـزًا تعليميًـا، وغـير ذلـك. والأهـم، يجـب أن تعـرفي أن جـزءًا مـن الشـهرة وهمـي، وهنـاك الكثـير مـن الشـخصيات، سـواء فاشينيسـتات أو إعلاميـات، هـن شـخصيات مبنيـة عـلى هيـاكل مـن ورق. فليـس كل شـهرة تسـتحق الغـيرة منهـا، حتـى لـو كان لديهـن عـشرات الملايـين مـن المعجبـين.

لا تنظـري إلى أي إنجـاز تعرضـه غـيرك إلا ضمـن فهمـك لأولوياتـك. الإنجـاز الرئيـسي لأي أم هـو إتقانهـا وإبداعهـا في تربيـة أولادهـا والعنايـة ببيتهـا ومملكتهـا، بينـما الإنجـاز في خـارج المنـزل يبقـى في الدرجـة الثانيـة. تحتاجـه المـرأة أحيانًـا لظـروف ماديـة، وأحيانًـا أخـرى عنـد إتمامهـا لواجباتهـا الرئيسـية -وفي هـذه الحالـة- نعـم، العمـل والعطـاء مطلوبـان.

ومـع الاحـترام للعامـلات بمختلـف القطاعـات، تأكـدي أن كثـيرًا ممـن نراهـم ناجحـات لديهـن في الحقيقـة جوانـب مظلمـة غـير معلنـة.

اتباعـك لغـيرك بدافـع الغـيرة أو التقليـد قـد يفقـدك حماسـك واحترامـك لأعظـم إنجـاز، وهـو تربيـة أبنائـك، عـلى حسـاب اتبـاع ظواهـر أشـخاص لا يعلـم أوضـاع بيوتهـم الداخليـة إلا اللـه تعـالى. وحتـى لـو كان بينهـم الناجحـات في بيوتهـن، فهـذا لا يـبرر لأي أم تـرك أولادهـا للمربيـات أو برامـج الهاتـف، إلا لـو اضطـرت للعمـل لكسـب لقمـة حـلال.

أو يمكننا الخروج للإنجاز خارج البيت بشرط أن نسيطر على أولوياتنا بشكل ممتاز. مثلًا، إذا كبر أولادنا، وتجاوزوا مرحلة الرعاية الأولية، وعددهم قليل، وفي نفس الوقت لدينا إبداع في مجال معين ومفيد للمجتمع، فعندها، في حالة توافق مع الزوج، يمكن أن تقدم الأم المزيد من العطاء لمجتمعها، وتحقيق نجاحات في مجالات، وبشروط تناسب أنوثتها ودينها.

سبب هذا الكلام بصراحة هو العناية الكبيرة التي يحتاجها الطفل من الأم، وخاصة في هذا الزمان. صرنا بحاجة لأساليب جديدة وذكية تواكب ما يتعرض له الأبناء من مؤثرات لأجل سلامة فطرتهم وعقيدتهم من موجات الفتن، والتخريب الفكري والبصري المنتشر في كل مكان. فتحية لكل أم تكرس وقتها وحياتها لأجل تخريج طبيب ناجح، أو سياسي محنك، أو اقتصادي مبدع، أو عسكري شجاع، إلخ.

تحية للأم الرائعة التي تعمل في بيتها على مدار الساعة، وقد تتجافى عن النوم من أجل ابنها، ودون مقابل مادي، ودون تذمر، وبكل حب أيضًا.

لكن الموظف الحقيقي غير مستعد للعمل كل الوقت ودون مقابل، ولا حتى ربع هذا الوقت. عجبًا لمن تقول: «أنا لا أنجز شيئًا، أريد وظيفة لأثبت ذاتي، أنا أبحث عن نفسي ولا أشعر أني أقدم شيئًا»، وهي لديها طفلان أو أكثر تحتضنهما ليل نهار.

بالمقابل، أقول لكل مهملة لعائلتها أو أطفالها، ولو صفَّق لك الجميع وأعجبوا بصورك اليومية، فتأكدي أنك ستكونين أتعس إنسانة في الحياة، مهما كانت إنجازاتك الأخرى، إذا نتج لديكِ ابن تافه، أو فاشل، أو متهور، أو فاسد، لا سمح الله.

تحية لكل أم مخلصة لله تعالى، تربي أبناءها ابتغاء ثواب الله، لا كلام الناس عنها وعن أولادها؛ تربيهم لإعمار الأرض، ولتتحول إلى منبر يشجع النساء من حولها. فالأم إذا صلحت، صلحت الأمة.

هل الحجاب فرض على المرأة؟ ولماذا؟

بداية، إذا أردنا التحدث من منطلق ديني، فإنه يجب أن نطرح مثل هذه الأسئلة على باقي الشعائر. مثلًا، ما أهمية الصيام للمرأة، ووجوب إفطارها عندما تكون حائضًا أو نفساء؟ وما أهمية عدم اختلاط المرأة بالرجل؟ وأيضًا، ما أهمية صلاة المرأة أو طاعتها لزوجها؟ وهذه الأسئلة ينبغي أن تُعتبر من المسلَّمات في نظرنا.

ولو أردنا أن نتحدث من منظور علمي، لتساءلنا عن أهمية القلب والرئة وغيرهما، أو تساءلنا لماذا نمتلك قدمين اثنتين بدل الأربع، وكذلك العينين

واليديـن ومـا إلى ذلـك. وقـد تكـون تلـك الأسـئلة مقبولـة مـن طفـل لم يبلـغ مـن العمـر خمـس سـنوات، لكننـا لـو سـمعناها مـن إنسـان بالـغ، لظننـا أن في عقلـه إعاقـة مـا.

كذلـك، مـن الناحيـة الاجتماعيـة، لـو سـألنا عـن أهميـة وجـود الأبويـن والأخـوة في الحيـاة، ولمـاذا وجـدت العلاقـات الاجتماعيـة، ولمـاذا يجـب أن نعمـل مثـلًا، سـتكون هـذه الأسـئلة ضربًـا مـن الجنـون.

وبمـا أن قضيـة الحجـاب تثـير الـرأي العـام دائمًـا ومنـذ القـدم، وتثـير أيضًـا مَـن -في نفوسـهم شـك أو عـدم رضـا عـن الالتـزام بارتدائـه-، فـإن جـواب السـؤال عـن أهميـة الحجـاب هـو أنـه أمـر مـن اللـه تعـالى. كيـف أكـون مسـلمة ولا أسـلم لأمـر الخالـق وأرتـضي مـا ارتضـاه لي، واللـه سـبحانه هـو أحكـم الحاكمـين؟ وقـد أنـزل لنـا الديانـات السـماوية التـي شرعـت بهـا العبـادات لتحقيـق كـمال العبوديـة لـه وحـده، والانصياع لأوامـره بشـكل تـام.

ولمـن لا يعلـم، فـإن الحجـاب قـد فُـرض في جميـع الديانـات، وليـس في الإسـلام فقـط، لكـن التبديـل والتحريـف الـذي طـرأ عـلى الديانـات الأخـرى كان لـه دور كبـير في تغييـب هـذه العبـادة، ومـع ذلـك فـما زلنـا نـرى الراهبـات محجبـات!

إن المـرأة المسـلمة التـي ترتـدي الحجـاب ترتديـه طاعـة لأمـر اللـه تعـالى ورسـوله الكريـم (ﷺ). لكـن قـد تقـول بعـض النسـاء المشـككات بالحجـاب: «أيـن المنطـق في ارتدائـه؟» فنجيبهـا بأنـه ليـس مـن الـضروري أن تظهـر لنـا الحكمـة وراء كل أمـر

إلهي، ولا أن نفهم الغاية والمنطقية منه كما يعتقد بعضٌ منهم. كالصلوات على سبيل المثال، هل منا من يعلم السبب والحكمة وراء فرض صلاة الصبح بركعتين، والمغرب بثلاث ركعات؟

كذلك، الصيام فُرض علينا بكيفيته المعروفة، وما زال العلم مع تقدمه يكشف لنا عن فوائد الصيام مرة تلو الأخرى، مع أن الخطاب الإسلامي لم يركز على الفوائد الصحية للصيام كي يقنع الناس به ويفرض عليهم الالتزام به، بل ركَّز على أن هذه الفريضة تحقق العبودية لله تعالى عبر إطاعة أمره بالتزامها.

ولذلك، فإننا رغم عدم معرفتنا بالحكمة الكامنة وراء كل أمر، لكننا نسمع ونطيع، لأن الله تعالى أراد أن يرى هل يطيعه الناس ويعبدونه حقًا، أم يعبدون المنطق والعقل البشري القاصر؟

فلماذا نستحي بحجابنا؟ ولماذا نجد من تنزعه لأسباب واهية؟ ولماذا تتلكأ إحداهن إن سألها شخص غير مسلم: لمَ أنتِ محجبة؟ فتجيب بأجوبة غير منطقية بدل أن تمتلىء بالثقة والفخر والاعتزاز؟

كمن يسألونه: لماذا تصلي؟ فيجيب بأن الصلاة مفيدة للجسم والصحة! لا، أبدًا ليس الأمر كذلك. فالجواب الصحيح هو أنني أصلي طاعةً لخالقي، وأرتدي الحجاب؛ لأن الله أمرني بذلك، وأصوم لأنه فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل.

وأكثر ما يهمنا أن نركز عليه ونفكر به هو أن نجد جوابًا عندما نقف بين يدي الله تعالى يوم الحساب. فالإجابة الحقيقية التي ستنجينا، وعلينا أن نعد لها ونحسب حسابها، ليست لفلان أو فلانة من الناس، بل هي لرب الناس. وعندما ندرك ذلك، سنعلم أن المهم هو أن نلتزم بطاعة الله فيما أمر، وإن لم تقتنعي بالحجاب، فابحثي عما تجيبين به الله في الآخرة.

ولمن تقول: كيف أتحمل عناء الحجاب؟ فهناك طريقة واحدة برأيي، وهي أن تلحّي في الدعاء لله تعالى أن يسهل عليكِ الأمر، واحتسبي الأجر، ولا تبحثي عن فتاوى هنا أو هناك لدى منحرفي الفكر كي تجدي مبرراً لنزع الحجاب وأنتِ مرتاحة الضمير. فالآية واضحة والحكم صريح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. في هذه الآية وغيرها إجابة واضحة لمن أراد الحق فعلًا.

حجابٌ في وجه الرفض!

«احمدي ربك على الأقل محجبة.» هذا ما أسمعه من اللواتي يرتدين (شبه حجاب)، وهو عبارة عن قماشة صغيرة الحجم تُسمى «حجاب» تظهر نصف الشعر الأمامي والرقبة، بالإضافة إلى ملابس ضيقة تُبرز مفاتن المرأة، مع استخدام المساحيق الكثيرة والقليلة، وإظهار نصف الذراعين بتشمير الأكمام، وأظافر ملونة وعطور نفاذة، ثم تعتبر نفسها محجبة.

إذا كنتِ محجبة حبًا ورضا لله، فمن الضروري إعادة النظر في حجابك ولباسك، وأن تعرفي تمامًا أنكِ في كل مرة تخرجين فيها من بيتك متحجبة إطاعةً لله، فأنت مأجورة حتى تعودي إلى بيتك.

وإذا كنتِ تستصعبين الحجاب وتشعرين بثقله، اعلمي أن الكثير من أمور حياتنا فيها صعوبة. فلو أردتِ النجاح في الجامعة، فستعانين كثيرًا حتى تحصلي على النتيجة التي تتمنينها، على الرغم من أنكِ قد تكرهين مادة ما كرهًا جما، لكنكِ تتقبلينها وتحاولين أن تحبيها حتى تستطيعي حفظها والنجاح بها، وقيسي على ذلك أمور أخرى كثيرة.

ونحن في دار اختبار حتى نحظى بعدها برضا الله. فإذا رضي الله، أرضاكِ وأرضى من حولكِ عنكِ، ولكن إذا سخط عليكِ والعياذ بالله، فلن ترضي ولن يرضى عليكِ إلا شياطين الإنس. احتسبي عند الله، واطلبي منه أن يرضيكِ ويرضى عنكِ.

أنا مسلمة دون إضافات حداثية

عندما أكون مسلمة، فأنا مسلمة مسلّمة بأمر الله. لكن إذا كنتُ مسلمة نسوية، فهذا يعني أني أؤمن بمساواة الرجل مع الأنثى في كل شيء، وهذا يعاكس أوامر الله تعالى الواضحة والصريحة في آيات المواريث وأحكام الشريعة في كثير من القضايا الأخرى المتعلقة بكلا الجنسين.

فكيف يمكن أن أكون مسلمة لكن بشرط أن أرفض ما لا يتقبله عقلي من أحكام شرعية؟ النسوية تدعو إلى دين جديد يهدم ويفكك الأسرة.

فهل أبقى مسلمة مسلّمة بما قضى الله تعالى عندما أرفض التعدد الذي أحله الله للرجل؛ لأنه يتنافى مع مصالحي الدنيوية، وأرفض قوامة الرجل بحجة أنني أستطيع إدارة أموري بنفسي ولست بحاجة لتدخل رجل أو مشورته، وهنا تنشب المعركة بين المرأة والرجل. في هذه الحالة، يتحول الأب الحنون في نظر البنت التي دخلت نادي النسوية إلى ظالم، والزوج إلى عدو غاشم، والأخ إلى وحش كاسر. فأين التسليم إذن لأوامر الله؟

نحن أولى بتمكين المرأة

لماذا نخصص الحديث عن تمكين المرأة؟

لأنه مصطلح شائك استُخدِم في وثائق الأمم المتحدة ومنظمات دعم المرأة كترجمة للكلمة الإنجليزية (Empowerment)، والتي تعني حرفيًا «الاستقواء»، أي من مفهوم القوة. وهذا يجعلنا نتصور الحياة قائمة على فكرة الصراع بين المرأة والرجل، وصراع المرأة في كافة مجالات الحياة العلمية والعملية، وكذلك المنافسة داخل الأسرة الواحدة أو حولها.

أما معنى التمكين في القرآن الكريم، فإنه يقوم على العبادة، والاستخلاف، والقيام بالمسؤولية. فقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، و﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ...﴾ [الكهف: ٩٥].

فالتمكين في القرآن يعني تمكُّن الإنسان من إقامة العدل والخير في الأرض، ولا يحمل معاني الاستقواء، أو التجبر، أو الصراع. وانطلاقًا من مفهومنا الإسلامي عن التمكين، أخصص هنا بيان هذا المصطلح.

إن هدفنا كمسلمين ومسلمات هو أن نتمكن من أن نكون على مراد الله تعالى لتحقيق العبادات الشعائرية والتعاملية على أكمل وجه.

وهذا يكون باتباع حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وأحَبُّ إلى اللهِ من المؤمِنِ الضَّعيفِ، وفي كُلٍّ خَيرٌ، احْرِصْ على ما يَنفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ ولا تَعجَزْ، وإنْ أصابَكَ شَيءٌ، فَلا تَقُلْ : لو أنِّي فَعلتُ كان كَذا وكَذا، ولَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ، وما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ) [رواه أبو هريرة، أخرجه مسلم].

إذن، بالاستعانة بالله نكون نساءً فاعلات، قويات، قادرات على تحقيق النجاحات، ونمتلك الثقل الذي نسعى إليه لنيل رضا الله تعالى. وبغير ذلك، تكون النساء ضعيفات غير قادرات على التأثير، وربما أيضًا فارغات تتلاطمهن أمواج الفتن؛ لأن الكوب الفارغ يسهل مَلؤُه بالخبيث قبل الطيب.

وعلى الرغم من ذلك، تجد مسلمات غير متمكنات وغير قادرات على الحفاظ على قناعاتهن من الناحية العقائدية، وأيضًا غير قادرات على الحفاظ على مكانتهن الاجتماعية، فلا علمهن الشرعي كافٍ ولا خبرتهن العملية الدنيوية وافية. وبذلك، تكون النساء مضطهدات بسبب الجهل، والانكفاء على الذات يجعل المرء محصورًا في صندوق صغير بحجم صغر أفكاره وأعماله.

وهنا تأتي التيارات الفكرية المنحرفة التي تعمل عمل الأوبئة في الجسد المنهك، فتجدها بيئة خصبة لجرف تلك المرأة المستكينة الضعيفة عن جادة الصواب، فتقول لها: «يا له من ظلمٍ هذا الدين!»، أو تقول: «أنتِ لم تأخذي فرصتك في التعليم والعمل، يجب أن تتحرري من أفكارك!»، وتدسّ السم بالعسل.

وبدلًا من أن تلوم المرأة نفسها عن تقصيرها في السعي الذي لم يمنعها الإسلام عنه، تبدأ بلوم الإسلام نفسه وتجعله شماعة لكل خطأ ارتكبته أو ارتكبه مجتمعها بحقها، فتبدأ بالانحراف عن دينها والخروج عن جادة الصواب.

وهنا تبدأ شعارات كثيرة، من قبيل: «أنا حرة، ولا علاقة لكم بملبسي، ولا علاقة لكم بأفكاري، ولا علاقة لكم بأعمالي». وقد كان المدخل الأول لكل ذلك هو التقصير في تحصيل العلم الشرعي والعلم الدنيوي، والتقصير في صقل المرأة المسلمة لشخصيتها، وترك نفسها فارغة تتلاطمها أمواج الفتن.

بكل بساطة، فإن هذه المداخل ما هي إلا نظرية فكرية. أما على أرض الواقع، فأعرف امرأة -سأذكر قصتها مثلًا- تزوجت وتوقفت عن تطوير نفسها. فلا علم شرعي تُعززه، ولا علم دنيوي تحصله لتطور نفسها، ولا خبرة عملية تكتسبها، فلا مجال للعمل. ولديها أطفال وزوج ظالم طلقها بعد سنوات من الزواج، لتجد نفسها في موقف يمكن أن أقول عنه إنها أصبحت فيه من أضعف الضعفاء!

هنا نسأل، قبل أن يسألها الشيطان: ما الذي منعك من التعلم ومن تطوير نفسك؟ وما الذي منعك من سلوك الأعمال التي تدر الدخل من المنزل؟ لقد فتنتِ نفسك بهذا الموقف.

هنا تأتي منظمات أجنبية تدعي أنها معنية -بالدرجة الأولى- بالمساواة بين الرجل والمرأة، وتشاهد النسوة فيديوهات عنوانها «سأخلع حجابي وأنتصر لحقوقي»، فتحول المرأة معركتها التي يجب أن تثور بها على نفسها المقصرة إلى معركة مع الدين، ومعركة أخرى اسمها «معركتي مع المجتمع الذكوري المتخلف». ولكن ما علاقة الدين بالمجتمع المتخلف الذي قد يمنع المرأة من حقوق لم يمنعها الدين أساسًا بالوصول إليها وامتلاكها؟

إن الأفضل للمسلم والمسلمة هو امتلاك قوة العلم وتعدد المهارات، والقدرة على صياغة الأفكار والدفاع عنها. وهكذا -أختي المؤمنة- يجب أن تجتهدي وتطوري نفسك، ولا تتركيها لأهواء الشيطان، فيأخذك بوساوسه من فيديو لآخر

لا فائدة منه، ومن نكتة لأخرى، ومن اتصال إلى آخر بهدف الحديث عن فلانة وعلانة، وعن ماذا اشترت، وماذا لبست، وأين ذهبت، وماذا أكلت.

الآن، أصبحت الفرص والظروف أكثر سهولة مما مضى. يعني أن المرأة وهي تطبخ يمكنها متابعة فيديوهات أو مقاطع تعليمية لتطوير نفسها من خلالها، وهي تستمع، وكذلك أثناء تنويم أطفالها أو في أوقات فراغها. ينبغي أن تضع خطة لنفسها وتلتزم بها، فبعد عام ستجد نفسها وكأنها امرأة جديدة من خلال الكمّ من المعلومات التي خزنته وتعلمته في هذا العام.

طبعًا، هناك الكثير من التبريرات التي يمكن أن نضعها كعائق أمام تطورنا، لكن الخاسر الوحيد هو المرأة؛ هي التي توقف تطورها وتعلمها عند المكان الذي اختارته لنفسها. فلا قدّر الله، لو انقلبت بها الظروف واضطرت للعمل، ستجد أن قدراتها قليلة ولا تستطيع التقدم لأي مهنة.

ينبغي على المرأة المسلمة أن تكون قوية لا ضعيفة مهزومة. كما يجب أن تكون متعلمة، ومتمكّنة، وواقفة عند حدود الله في آنٍ واحد، وهذا من توفيق الله.

لا خلاف في أن أعظم دور للمرأة هو أن تعتني ببيتها، وترعى أبنائها، وتعلمهم، وتهتم بزوجها. وهذا لا يعني أنها امرأة جاهلة منغلقة على نفسها كما يزعم بعضهم؛ لأنها اختارت هذا الطريق. فهذه النظرة ظالمة بحق ربة البيت التي

قـد تكـون متعلمـة وامـرأة ناجحـة. كـما يمكـن أن تكـون امـرأة منتجـة لـو أتيحـت لهـا الفرصـة والمـكان والوقـت المناسـب حسـب ظـروف حياتهـا وزوجهـا وأبنائهـا.

بـل يمكـن أن تكـون فعالـة ومؤثـرة في المـكان الـذي تعمـل بـه وفـق ضوابـط الشريعة. نحـن خلفـاء اللـه في الأرض -فأينـما وُجدنـا- تركنـا أثـرًا لهويتنـا وديننـا بمـا يُـرضي اللـه تعـالى. وليسـت المـرأة المؤمنـة هـي المـرأة المنهزمـة التـي تبيـع دينهـا مـن أجـل فرصـة عمـل أو راتـب مغـرٍ.

ولا ننـسى قولـه تعـالى: ﴿رَبَّنَـا لَا تَجْعَلْنَـا فِتْنَـةً لِلَّذِيـنَ كَفَـرُوا وَاغْفِـرْ لَنَـا رَبَّنَـاۖ إِنَّـكَ أَنْـتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيـمُ﴾ [الممتحنـة: ٥].

هل المرأة إنسان أم حيوان؟

قديمًـا، عقـد الفرنسـيون مؤتمـرًا للبحـث في هـل تُعـدُّ المـرأة إنسـانًا أم لا؟ وهـل لهـا روح أم لا؟ وإذا كانـت روحًـا، فهـل روحهـا حيوانيـة أم إنسـانية؟ وإذا كانـت إنسـانية، فهـل هـي عـلى مسـتوى الرجـل أم أدنى منـه؟ وهـل هـذه الـروح هـي مجـرد أداة مخلوقـة للتناسـل والتكاثـر؟

فيـما اعتـبرت شريعـة حمـورابي البابليـة أن الأنثـى ليسـت إنسـانًا، بـل جنـس لا يُقابـل الرجـل، وإنمـا يقابـل الحيوانات.

أما أرسطو الذي يُلقب بمعلم البشرية الأول في الحضارة اليونانية، فقال: «إذا رأيتم المرأة، فلا تحسبوا أنكم تشاهدون موجودًا بشريًا، بل ولا موجودًا متوحشًا، لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه، وإذا تكلمت، فما تسمعونه هو فحيح الأفعى.»

واعتبرت الحضارة الهندية المرأة نصف إنسان.

وشبهت الحضارة الصينية المرأة بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال.

وكانت عقيدة الحضارة الرومانية أن المرأة نجسة.

وبعض الحضارات قدست المرأة واعتبرتها آلهة، فقدموا لها القرابين.

في الجاهلية، كرهوا الأنثى بسبب ضعفها، وقلة حيلتها، وافتقارها إلى المقدرة على النفع، واتخذوا بناءً على هذه النظرة أحكامًا ظالمة بحق الأنثى، من وأد وحرمان من كافة حقوقها.

أما عندما جاءت الشريعة الإسلامية، فقد أنصفت المرأة وأعطتها حقوقها في ميزان معصوم. وأرسل الله لنا خاتم الأنبياء محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، وعَرَّف الأنثى، وكرمها، وأنصفها، وأعطاها حقوقًا لم تُعطَها أي شريعة أخرى. وجعل خيرية الأمة مرتهنة بكثرة نسائها، فقال: (...فإنَّ خَيْرَ هذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً) [رواه سعيد بن جبير، صحيح البخاري]، وكانت آخر وصية له الوصية بالنساء حينما قال: (...استوصوا بالنساء خيرًا) [رواه أبو هريرة، أخرجه البخاري]، فالحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وأكرمنا به.

الأبعاد الاجتماعية للجندر ومخاطرها

جميعنا يعرف أن الله تعالى خلق الذكر والأنثى، لكن مؤخرًا بدأنا نسمع بمصطلح جديد وهو «الجندر». ظهر مصطلح الجندر في سبعينيات القرن العشرين ويعني عموم الجنس من حيث الذكورة والأنوثة. وأول من أدخل هذا المصطلح إلى علم الاجتماع هي آن أوكلي، وظهر المصطلح لأول مرة في وثيقة مؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤.

في الموسوعة البريطانية، عُرِّفَ الجندر بأنه شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، أي أن الهوية الجندرية لا تكون ثابتة بالولادة، وإنما تنشأ باختيار الشخص لجنسه. وهنا يمكن أن تؤثِّر فيها العوامل النفسية والاجتماعية، فتكون هي السبب في تشكيل نواة الهوية الجندرية، وتتغيَّر وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل. وطبعًا فإن هذا مخالف لأبسط أحوال الواقع، والفطرة، والمنطق، ومخالف أيضًا لكل ما جاء به الدين، ومناقضٌ للأعراف السوية. فالله تعالى خلق الخلق إما ذكرًا أو أنثى، لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [النجم: ٤٥]، وهذه فطرتنا السليمة.

بدايةً، يجب أن نكون واضحين بأن جميع القوانين الاجتماعية السوية التي فطر الله رب العالمين الناس عليها تجعل الأسرة أهم وأخطر حلقة في بناء المجتمع، وهي المؤسسة الاجتماعية، لا أقول الأهم فقط، بل الوحيدة القادرة على توليد مجتمع سليم متعاون، متحاب، آمن، ومتوافق على تحقيق مصالحه المشتركة.

طبعًا، عندما أقول «قوانين اجتماعية سوية»، فإن ذلك لغاية التمييز بينها وبين النظريات المريضة التي لا تتجاوز قيمة الورق الذي كُتبت عليه.

وللتوضيح؛ مثلًا فالخلق من العدم هو المبدأ الأول للإقرار بحقيقة الوجود والموجِد سبحانه، ويضادها نظريات أخرى تتعلق بتطور الأشياء والجمادات بانفجار عشوائي تتولد منه مخلوقات شديدة الدقة متوافقة مع بعضها.

فهنا الخلق حقيقة عليها أدلة مليونية ثابتة لا نهائية، أما النظريات الأخرى فتبقى ادعاءً منحرفًا لا دليل عليه، ورغم ذلك يرغمون الناس عليها.

بنفس المنطق، يكون جنس الإنسان حقيقة فطر الله الناس عليها، ثم يأتي منظّرو الجندر، ليقولوا إن تحديد الجنس نظرية اجتماعية منحرفة ليس عليها أي دليل. ورغم وجود خلل جيني أو هرموني نادر جدًا لدى بعض الناس، فإن ذلك لا يستدعي فتح الباب أمام البشر ليصبحوا ظلًا لذلك الخلل النادر، فيكون هو الأصل وهم الخلل، بدل أن يخضعوا للعلاج السلوكي أو الدوائي ليكونوا أشخاصًا أصحّاء طبيعيين.

ثم إنه متى كان نشر المرض طريقًا للعلاج؟ وهنا نقول إن لوازم نظرية الجندر من الأمراض الاجتماعية تتعدى الاعتزاز بالخلل الجنسي إلى مرحلة التصريح بذلك والدعوة للتحوّل إليه -وهذا له شأن خطير- فمتى كان المصاب بالغرغرينا في قدمه مثلًا يُترك له أن ينشر صورها افتخارًا وتعظيمًا لشأنها، ويدعو الناس لأن

يصيبوا أقدامهم بها؟ أم أن الصحيح هو أن نُعرّف المريض بهذا المرض فيداويها، ويستر عيبها، ويتعامل معها بحذر، ثم إن استلزم الأمر أن يقطعها ليبقى باقي جسده سليمًا، فعل ذلك. وهذا في الأمراض الجسدية التي تصيب الفرد، فما بالك بما يطغى أثره على الناس أجمعين؟

والأمراض النفسية التي لها أبعاد اجتماعية، أليس حريًا التعامل معها بحذر أكبر؛ لأنها تؤثر على حياة الآلاف والملايين؟ فما هذا الفساد بترك نقيض الفطرة يعلو صوته، ثم يخصصون له مصطلحات جديدة ونظريات يكتبونها على الورق، فيصبح هذا الورق دينًا للمجتمع، ودستورًا، وقانونًا يتجاوز جميع الخطوط الحمراء.

لأن الخطوط الحمراء يجب كسرها في ادعائهم، سواء كانت حسنة أو سيئة. فأقول لمثل هؤلاء: اكسرو الخط الأحمر بحاجتكم للطعام أولًا، ونادوا بكسر حاجتكم للطعام والشراب، وأرونا النظريات الجديدة. إذن، ليس كسر الخطوط الحمراء بطولة بالمطلق، ولا بد من الالتزام بشكل وقواعد النظام الكوني الذي خلقه الله تعالى من أجل استمرار هذا النظام الذي يصب في مصلحة الجميع. فالنظرة للنظام بأنه قيد واجب الكسر هي الجهل بعينه. فنظام السير الذي يحدّ حرية الفرد في الحركة هو لصالح المجتمع كاملًا. ومن المؤسف أن نضطر للتحدث بالبديهيات في عصر يفترض أنه متقدم حضاريًا، ولكن الواضح أننا في عصر انحطاط جماعي واجتماعي يجب أن نحصن أنفسنا منه.

كيف نحصن أنفسنا ومجتمعاتنا من مغالطات الجندرة؟

هـذا سـؤال يجـب أن نفكـر فيـه فعليًـا في ظـل الانفتـاح الكامـل عـلى الغـرب الحاصـل مـن خـلال وسـائل التواصـل الاجتماعـي. بدايـةً، سـأقول لمـاذا يجـب أن نحصـن أنفسـنا مـن هـذا المـرض؟

السـبب الأول: لأنـه يدمـر الأفـراد بتقديـم خيـار ليـس لهـم ولا مـن حقهـم. فليـس مـن حـق الأفـراد تغيـير جنسـهم الـذي خلقهـم اللـه عليـه، وهـذا مـا يأمرنـا بـه ديننـا، تجنُّبًـا لاختـلال نظـام المجتمـع، ولأنـه قبـل كل شيء مخالـف لأمـر اللـه في خلقـه، وفي ذلـك شـقاء الفـرد ومـن حولـه، واضطـراب شـخصه، ومحيطـه، ودوائـره الاجتماعيـة طيلـة حياتـه.

السـبب الثـاني: للحـذر مـن الجنـدرة لمـدى خطـورة هـذا المصطلـح الـذي يرمـز إلى أفـكار خبيثـة. فاليـوم، يـؤدي اسـتخدام هـذا المصطلـح وتنفيـذه إلى فتـح المجـال لـكل أقليـة تخالـف الفطـرة بـأن تعـبر عـن نفسـها، وتفتخـر بانحرافهـا، سـواء كان سـببه مرضًـا نـادرًا عابـرًا أو حبًـا للرذيلـة. وقـد أدى ذلـك إلى فتـح بـاب الانحـراف ضـد الفطـرة عـلى مصراعيـه، مـما يهـدد أبناءنـا ونظامنـا الاجتماعـي. فـما معنـى أن يخـيّر أي إنسـان بـأن يختـار هويتـه الجنسـية، بمـا يتعـارض كليًـا مـع الديـن، والأخـلاق، والفطـرة، مـما يثـير الفتنـة والانشـقاق بـين النـاس؟ فلـم يعـد الشـذوذ حالـة منبـوذة حينهـا، بـل انقسـم النـاس بقـوة القانـون، وربمـا المجتمـع الـدولي الداعـم لهـذه التوجهـات.

وقد اشتد الصراع بين الأطراف؛ إذ لا يحدث في المجتمعات التقاء الأضداد، بل يحصل انقسام طبيعي. هنا نتحدث عن سلامة المجتمع لا من النواحي الأخلاقية فقط، بل من النواحي النفسية والاجتماعية والأمنية، أي أننا نتحدث عن السلم الأهلي؛ إذ إن فرض هذه النظريات قد يؤدي إلى التطرف أو العنف، فمجتمعاتنا لن تقبل بفرض الجندرة عليها قانونًا ولا عرفًا بأي طريقة من الطرق.

على كل حال، يجب على كل منا أن يكون سدًا منيعًا لحماية عائلته ومجتمعه بالوعي والفهم الصحيح، وأن يمنع الانحلال من تدميرنا من الداخل، ونحن أهل لذلك ما استطعنا سبيلًا.

لوازم نظرية الجندرة

تنسف الجندرة المعتقدات الدينية والقيم الأخلاقية التي تحدد هوية المجتمع. وليس من المستغرب بعد ذلك -في ظل توسيع دائرة انتشار هذه الأفكار الهدامة- أن تتفاقم المشكلات الاجتماعية والعائلية، كالعنوسة وكثرة الطلاق، واستساغة فكرة الإجهاض والمطالبة بتقنينه وتسهيله، وهو ما نراه طبيعيًا في الغرب حيث التفكك الأسري بأشكاله المختلفة.

سيكون من الطبيعي أن تجد رجلًا يتوهم نفسه امرأةً، ويقوم بعمليات تحويل جنسي ليحقق رغبته في صناعة هذه الهوية، أو قد نرى امرأة مسترجلة تظن

أنها رجلٌ تسعى لتتحول إليه. هذه المصطلحات والأفكار نرى تسللها شيئًا فشيئًا إلى مجتمعاتنا الإسلامية، وانتشارها لا سمح الله يعني تدمير فكرة الأسرة، ونشر الفساد في المجتمع، وإلغاء الفروق بين الذكر والأنثى، بل وربما تبادل الأدوار جسديًا ومعنويًا، وتشويه فكرة الزواج، وشيطنة الرجل، والدعوة لإلغاء وجوده من حياة المرأة، وإلغاء الدور الأمومي للمرأة.

ثمة دول أوروبية -كالسويد مثلًا- تمول بعض المدارس التي تعلم الأطفال بأنهم لا جنس لهم، أي أنهم «حياديون من ناحية الجندر».

فالأطفال فيها لا يسمون أنفسهم بنات أو صبيان، والمعلمون لا ينادونهم بضمائر الإناث ولا بضمائر الذكور، إنما بضمير مخترع جديد. وعلى هذا النسق يسير عدد متزايد من الأهالي في دول أخرى، فهم لا يريدون تثبيت فكرة جنس الطفل البيولوجي، وإنما الانتظار حتى يختار الطفل جنسه فيما بعد، فإن شاء ثبت على جنسه أو سعى لتغييره!

ماذا يجب علينا أن نفعل؟

يتوجب علينا حيال ذلك أن نفكك هذا الفكر أمام أبنائنا ومجتمعاتنا، وأن نسعى لتحصين أنفسنا ومجتمعاتنا منه من خلال الآتي:

أولًا: العمل على توعية بناتنا وأبنائنا من مخاطر هذا المفهوم وأمثاله، وشرحه

بأسلوب طيب وهادئ -كل بحسب عمره-، مما يعطيهم المناعة القوية عملًا بالقاعدة الذهبية: درهم وقاية خير من قنطار علاج. ثم إنه يقع على عاتق المعلمين التحذير من هذه المفاهيم، ورفضها، ونصح الطلاب، وشرح مخاطر هذه الأفكار.

ثانيًا: استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لبيان تناقض هذه الأفكار مع الطب، والفلسفة، والفطرة البشرية.

ثالثًا: التأصيل الشرعي المتين، فينبغي الحرص على تعلم العلم الشرعي، فهو حصن متين في وجه هذه الأفكار المسمومة.

وقبل كل شيء، لا بد من الاستعانة بالله، والدعاء لأبنائنا، وبناتنا، وأزواجنا، وأنفسنا، وألا يفتنا ويردنا إليه ردًّا جميلًا.

المرأة الغربية: قدوة أم خديعة؟

الإجابة هي لا، بكل بساطة وبأقرب أدوات المنطق، يمكن الوصول إلى هذا الجواب. فأنا أنثى، وبصفتي باحثة في علم الاجتماع، لا يمكن المقارنة بين المرأة الغربية بالمعنى الحضاري الحالي «أو اللاحضاري بصراحة» مع وضع المرأة المسلمة على وجه الخصوص. وهنا أقول (المرأةُ المسلمةُ) بغض النظر عما إذا كانت عربيةً أو أجنبية.

فلماذا لا تكون المرأة الغربية بهذا المفهوم قدوة؟

لأنـه ليـس في حالتهـا نموذجًـا بمعنـى النمـوذج أصـلًا، فالغالبيـة العظمـى مـن الحضـارات والشرائـع الوضعيـة ظلمـت المـرأة أيمـا ظلـم، ولم تتفهـم طبيعتهـا بـل تعاملـت معهـا بشـهوانية، أو بتسـليع، أو باسـتعباد. ومـا نمـوذج المـرأة الغربيـة إلا أنه واحـدٌ مـن هـذا التطـور اللاحضـاري في التعامـل مـع المـرأة، بـل ربمـا يكـون واحـدًا مـن أقـسى النـماذج؛ لأنـه يظلمهـا حقيقـةً، ويظهـر بمظهـر المخلـص لهـا في نفـس الوقـت، وهـو أنـكى ممـن يظلمهـا علانيـة.

فأيـن العـدل حـين تسـاوي بـين جنسـين مختلفـين لـكل منهـما خصائصـه؟ فأنـت حتـمًا تظلـم هنـا أحدهـما أو كليهـما. أيـن العـدل في أن أكـون زوجـةً، وعـليّ الحمـل، والـولادة، ورعايـة أبنـائي، وزوجـي، وفي نفـس الوقـت عـليّ أن أُنفِـقَ عـلى المنـزل، حتـى أضطـرَّ لتعيـين موظفـة لتسـاعدني عـلى أعبـاء البيـت؟

ثـم أيـن العـدلُ في أن يُطلَـب مـن المـرأة العمـل في بيئـة لا تفـرِّق بـين رجـل وأنثـى، ولا تحـترم خصوصيتهـا، فيخالطهـا الرجـال ويتقربـون منهـا، بينـما في بيئـة العمـل المنضبطـة في ثقافتنـا تُعطـى المـرأة مسـاحتها الخاصـة، وتفهـم احتياجاتهـا، وتحمـل ما تطيـق مـن الأعـمال، وتراعـي التزاماتهـا العائليـة الخاصـة، بـل حتـى مكانتهـا كزوجـة ومكانـة الـزوج في حياتهـا.

أمـا ذلـك النمـوذج الغـربي، فيظهـر احترامـه في فـرص العمـل لمظهـر السـيدة،

واستعدادها للانخراط في بيئة العمل كالرجال تمامًا، فتعمل بغض النظر عما إذا كانت قوتها الجسدية ملائمة. فقد تعمل كعاملة نظافة أو في أحمال البناء المرهقة، وكل هذا لا مشكلة فيه، وقس على ذلك مما نراه في واقعهم. ولن تكون لها أولوية في مهن أخرى إلا إن كانت أقل أجرًا؛ لأنها تعتبر من وجهة نظرهم مماثلة للرجل. فلا يهم الجنس، حتى أن القوانين الأمريكية والأوروبية تمنع تحديد جنس الموظف المطلوب في إعلانات التوظيف. وهذا لا تجده في نموذجنا الذي يعتبرونه متخلفًا؛ لأنه يتفهم طبيعة الموظف حسب جنسه.

فما هو النموذج القدوة؟

هو النموذج الذي يعطي لكل ذي حق حقه، فالمرأة في الإسلام لها حقوق متنوعة ومتعددة لا نجدها في النموذج الغربي. فإن كانت بنتًا وجب العناية بها والإنفاق عليها، وحفظها من المفاتن والمفاسد، ومساعدتها حتى تتعلم ثم تتزوج رجلًا صالحًا تُوافق عليه. وإن صارت زوجة، فهي مُكرَّمة من زوجها وأبنائها، ووجب الإنفاق عليها دائمًا لتتمكن من العناية بأسرة عظيمة تليق بالأمة العظيمة التي ستنتمي إليها؛ لأنه من بين يديها يُهيَّأ المستقبل، ولا بد أن تكون هي من يهيِّئه. وإن لم تكن هي، فستقوم بذلك جليسة الأطفال (Babysitter) التي لن تكون بأي حال بنفس ضمير الأم وحنانها. فلمن يُترك المستقبل في النموذج الغربي؟ يُترك للإهمال، والفراغ، وأبواب الفساد.

فلماذا تم تشويه نموذج المرأة المسلمة مقابل النموذج الغربي؟

عَمِلَتْ وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي على تفشي الفساد والتفلت، وذلك بكل بساطة لأن أدواتهم ومشاريعهم القائمة على تسليع المرأة وإظهار جسدها في بيع المنتجات بمختلف أنواعها تحتاج إلى مفاهيم مثل «حرية المرأة»، إلا أن هذه الحرية ليست سوى حرية الوصول إلى المرأة وإخراجها من دائرة وظيفتها الأساسية البيولوجية الفطرية -حيث تجد سعادتها في الدارين- إلى دائرة تؤدي -كما تقول خبيرة التعليم الأمريكية (الدكتورة أسماء باميلا)- إلى «حرية التعري وأشكال الانحلال بجميع درجاته، مما يؤدي إلى ضياع المرأة وأسرتها، وفقدان الأمان النفسي والاجتماعي. وقد تضاعفت الحاجة لدى النساء هنا إلى الأطباء النفسيين والعقاقير المهدئة عدة مرات مقارنة بالنساء المسلمات. لقد وجدت في الإسلام ما كنت أفتقده، وجدت ما كنت أبحث عنه.»

كما تدين تدان!

التقيت بامرأة لم ألتقِ بها منذ زمن. سألتها: «وين غاطة؟» فقالت: «عمي مريض وكنا عنده.» قلت لها: «عمك أخو أبوكِ؟» فقالت: «لا، أبو زوجي.» قلت: «عافاه الله.» قالت: «والله جلسنا عنده شهرًا، وكل يوم نقول لعله يموت اليوم أو بكرة، ومضى الشهر ولم يمت، مللنا وعدنا.» وجاءت سلفتي وزوجها جلسوا عنده. قلت لها: «سيجلسون دائمًا؟» قالت: «لا، عدة أيام.» قلت: «وبعدها؟» قالت: «بعدها لعله يموت»، وضحكت.

لكنني لم أبدي أي ردة فعل، فقط التزمت الصمت للحظات، ثم قلت لها: «حي لا ينتظر حي، قد تموتين قبله.» اختفت ضحكتها ثم قالت: «الله لا يقدر، إن شاء الله يموت هو ونرتاح كلنا.»

قلت لها: «احذري، الدنيا دوراة، وسيأتي من يتمنى موتك عند أول مرض لكِ.» واعتذرتُ منها وذهبتُ، لكن الأمر الذي أحزنني جدًا هو موافقة زوجها لها بتمني الموت لأبيه.

هناك حكمة من كل أمر يختاره الله لنا، وبكل تأخير، وبكل فقدان، وبكل لقاء، وبكل وداع، وحتى الموت فيه خير ليس بالضرورة أن نعلم سره. يكفي أن نكون راضين بما قسم الله علينا ولنا.

السعادة في زمن المقارنات

هذه سافرت، وتلك اشترت سيارة حديثة، وهذه بدأت بدراسة فرع جديد، وأخرى تعمل في أفخم الشركات، وفلانة تزوجت بشخص ثري.

إنها من المشاهدات اليومية التي تمر على النساء من خلال التصفح على مواقع التواصل الاجتماعي، مما يسبب لهن عدم الرضا بالنظر إلى واقعهن، فهناك من تعاني من مشكلات مع زوجها، وأخرى لا تستطيع تأمين قوت يومها، ومنهن من لم تركب طائرة في حياتها، وغيرها...

فتنظر المرأة بعين الرفض إلى واقعها، وتختفي الابتسامة من حياتها وحياة عائلتها التي امتلأت بالمقارنات بينها وبين الآخرين، فلا روح فيها لتبتسم بوجه زوجها الذي هو في نظرها المقصر الأول.

لماذا تعيش نساء الإنترنت، ويتمتعن، ويمرحن، وأنا أطبخ في المطبخ، أو أربي أولادي، وأعلمهم، وأبحث عن راحة زوجي؟ هنيئًا لهن وتعسًا لي، لسان حال بعض النساء.

ما الحل مع هذا التناقض الرهيب الذي نراه بين حياتنا وحياة الآخرين على مواقع التواصل؟ الحل الأول والأساسي هو الرضا بما كتبه الله على كل واحدة منا.

علينا أن نهتم بالعناية بما هو متاح بين أيدينا، ولنقل إنه لا مكان للمقارنة في حياتنا مع حياة الآخرين. الله لم يخلقنا للهو، والمرح، وبذل الثمين والرخيص كي أظهر أنني سعيدة وحياتي كاملة. علينا أن نتعلم أن الله تعالى خلقنا لطاعته وعبادته، والرضا بقضاء الله، وقدره شره وخيره، لنصل إلى المكان الذي توجد فيه المتعة والسعادة الحقيقية دون أي منغصات إلى جنة عرضها السموات والأرض.

يجب الابتعاد عن متابعة الأشخاص الذين يتسببون لي بالحسرة وعدم الرضا عن حياتنا، والإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، فهو يطمئن القلب. لننظر إلى النعم في حياتنا التي منحنا إياها الكريم الحليم، من صحة، وعافية، وأولاد،

ونعم أخرى كثيرة موجودة في حياة كل شخص منا. لو فقدنا واحدة منها، لكانت الحسرة الحقيقية.

تحسين الحياة لا بد منه ضمن المستطاع من تعلم، وعمل، وتطور، وقراءة، وإعادة النظر بعلاقاتنا، سواء مع أزواجنا وتحسينها، أو مع أهلينا وأحبابنا وغيرهم بما يرضي الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]

الرضا ثم الرضا هو سر سعادة وراحة كل شخص فينا.

الشهرة سرطان يتغلغل في المجتمعات

حب الشهرة من أكثر الأمراض خطرًا على النفس، حيث يبذل المرء الغالي والنفيس لأجل شهرته ورفع ذكره عند الناس. لذلك، وللتذكير لنفسي ولكل أخت انطلقت في هذا الاتجاه، سواء من أجل عملها، أو من أجل مادة علمية أو عملية غايتها الفائدة، فلنعلم أن الشيطان يجلس لنا على الصراط ليضلنا. فالنية تكون في البداية سليمة، ولكن شيئًا فشيئًا نجد الفتاة قد بدأت بالتنازل عن الكثير من المبادئ. فإن ظهر جزء من يديها، فلا تكترث، ثم تضع بعض الإكسسوارات، فتُعجب بذلك، وبإطراء الناس، وعدد المشاهدات!

ثـم تضـع الطـلاء عـلى أظافرهـا، فيـزداد إعجابهـا بنفسـها أكـثر، ثـم تُظهـر جـزءًا مـن قدمهـا، وتبـدأ بلبـس الجينـز الضيـق والقصـير، وتضـع الملوّنـات عـلى وجههـا. ثـم نجدهـا شـيئًا فشـيئًا صـارت تمـشي في الشـوارع، وتصـور يومياتهـا، وهـي تغنـي وتتمايـل. وبالفعـل، قـد تنشـهر وتنتـشر فيديوهاتهـا، وتـكاد الفرحـة لا تسـعها لمـا حققتـه مـن شـهرة، ونجـاح في عملهـا، وهـذا لا بـأس بـه إن كان ضمـن ضوابـط شرعيـة تـرضي رب العالمـين.

لكـن عندمـا ينقلـب العمـل لإرضـاء النـاس والنفـس، فتتحـول النفـوس إلى عبيـد لشـهرة لا نهايـة لمطالبهـا، وحتـى لـو تخلـت المـرأة عـن كل المبـادئ رويـدًا رويـدًا!

فالحـذر، ومراجعـة النفـس، ومتابعتهـا أولًا بـأول واجـب، ومهـم حتـى لا تنحـدر الأمـور بالشـخص إلى أسـفل السـافلين. أجارنـا اللـه مـن كيـد الشـيطان، وخطواتـه، ومـن أعوانـه.

أمـا الحـل، فيكـون في تزكيـة النفـس باسـتمرار، والحـذر مـن الافتتـان بالوصـول، والمشـاهدات، والتأثـير. والأهـم -قبـل كل شيء- الاسـتعانة باللـه والاعتصـام بحبلـه المتـين، والانضبـاط بأحكامـه وأوامـره، وتذكـر المـوت.

لماذا طوبى للغرباء؟

طوبى للغرباء، هذا ما أخبرنا به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فطوبى لكِ أيتها المحجبة المتمسكة بحجابك رغم وساوس الشيطان، وكثرة المتنازلات عنه، فلم تباعدك أفعالهن عن الحق، والحق أبلج من الشمس وضح النهار.

طوبى لك أيها الزوج الذي تتبع تعاليم ديننا في إكرام زوجتك والإحسان إليها، وترعاها وتحفظها من مفاتن الدنيا والآخرة.

طوبى لك أيها المعتز بدينك، المطيع لربك رغم كثرة الفاسدين والمستهزئين من حولك.

طوبى لكِ أيتها الزوجة التي حفظتِ زوجكِ وأطعتِه بما يرضي رب العالمين، وكنتِ له عونًا وسندًا في إكمال مسيرة حياتكما في طاعة الله.

طوبى لكَ ببر والديك وإكرامهم والإحسان إليهم رغم صعوبة الحياة وكثرة تكاليفها، ولكن لم يمنعكم هذا من قطع الصلة بهم والتقصير معهم.

طوبى لكَ أيها الرجل الذي غضضت بصرك عن المحرمات الواقعية والإلكترونية رغم المفاتن التي تحيط بك من كل حدب وصوب، لكنك آثرت طاعة الله

تعالى على شهواتك، فطوبى لك.

طوبى لمن يطلب العلم، ويصبر على متاعبه، في زمن أصبح الكثير يأخذ علمه من مشاهير لا يفقهون شيئًا.

طوبى لكم أيها الغرباء في هذه الفانية، ولا تبتئسوا لقلة الأشخاص الذين يتبعون الحق، فالغربة في أيامنا هذه نسأل الله أن تكون بشارة حق لنا. فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كما بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ.) [رواه أبو هريرة، صحيح مسلم].

خداع الإيجابية: تبحث عن الحل في ظلام واقعها!

تقول لي: «والله حاولت كثيرًا لكن ما مشي الحال.»

سألتها: بماذا حاولتِ؟ فقالت: «كل يوم كنت أقف أمام المرآة، وكما أخبرتني، فعلت وتحدثت مع نفسي ثلاث مرات يوميًا، وبتوقيت محدد، وضبطت منبه هاتفي حتى لا أنسى الموعد أبدًا.»

إلى هذه اللحظة لم أفهم شيئًا! انتظرتها حتى هدأت، ثم طلبت منها سرد القصة.

قالت: «زوجي إنسان ظالم جدًا، ولا يخاف من الله. منذ ثلاثة أعوام تزوجنا، وعندما سألنا عنه، الجميع مدح به، لا سامحهم الله.

ولكن بعد الزواج صُدمت أن كل ما قيل عنه كان كذبًا؛ فهو لا يصلي ولا يصوم، ويسب الله والأنبياء عند أتفه مشكلة، وعندما أصلي يضربني. لا يترك فِلمًا إباحيًا إلا ويتابعه دون أي حياء من الله، ولا حياء مني، ويشتمني بأقبح العبارات عند أي خطأ صغير ارتكبته. تحدثت مع صديقة لي، فأخبرتني أنها سجلت دورات كثيرة بهذا الخصوص، وأنها ستساعدني، وقالت لي وصفة أنها سحرية. وأخبرتني عليّ أن أنظر بإيجابية إلى زوجي.

ثم قالت: «ققفي يوميًا أمام المرآة ورددي: زوجي جيد، وزوجي ليس ظالمًا، وزوجي طيب، وزوجي أخلاقي، وسأتقبله كما هو، وكلما أزعجكِ تصرف منه، اذكري التصرف أمام المرآة، وتحدثي عن هذا السلوك بطريقة إيجابية وبحب، وبهذه الطريقة ستجدين حياتك انقلبت رأسًا على عقب، وتقبلي زوجك وأحبيه كما هو عليه.»

قلت لها: وماذا فعلتِ؟

قالـت: «فعلـت بنصيحتهـا، فهـي أخبرتنـي أنهـا تابعـت الكثـير مـن الـدورات في التنميـة البشريـة، وغيرهـا.»

قلـت: وهـل نفـع معـكِ؟! قالـت: «لـو نفـع، لما وجدتينـي أحدثـك وأنـا بهـذه الحالـة.»

لا يمكـن للمشـكلات أن تحـل بهـذه الخزعبـلات والـكلام الفـارغ. التنميـة البشريـة فيهـا مـا هـو نافـع، ومـا هـو خطـير ومفسـد، فليـس كل مـا يلمـع ذهبًـا. كيـف لامـرأة تعـاني الأمريـن مـع شـخص ضـال، وفاسـد، وظـالم أن تعالـج مشـكلتها بتقبـل كل عيوبـه وفسـاده، بـل وتحـب مـا هـو فيـه؟ واللـه، هـذا ضـلال وإفسـاد لا يمـت للديـن ولا العلـم بصلـة، علينـا ألا نثـق بـكل مـا هـب ودب.

ضياع المعاني في ضوضاء الرقمية

كـم نفتقـد في ظـل هـذه الضوضـاء الرقميـة معـاني السـعادة الحقيقيـة والعطـاء ابتغـاء الـدار الآخـرة، بـدلًا مـن التركيـز عـلى وجودنـا المؤقـت في هـذه الحيـاة الدنيـا، حيـث أُمرنـا بعمارتهـا لا بالمسـاهمة في إفسـادها وتخريبهـا.

المهـم ألا ننـسى في ظـل العبثيـة في الفيديوهـات ذات المحتـوى الفـارغ المنتـشرة، أن المُشـاهد أيضًـا عليـه مسـؤولية كبـيرة في متابعـة البرامـج الفوضويـة التـي لا هـدف

لها. فيتحول المشاهد شيئًا فشيئًا إلى مدمن لمثل هذه البرامج وتلك المشاهد، فيعزف عن متابعة كل ما هو جاد وهادف، وتخمد في نفسه كل دعوة لعلو الهمة أو لعمل صالح.

قل لي من تصاحب.. أقل لك من أنت!

الصاحب ساحب، إما للخير أو للشر. إما أن يجعلك الصاحب تعيش بصراع مع نفسك وجهاد للابتعاد عن المعاصي -صغيرها وكبيرها- فتكون في حيرة: أجرب هذه المعصية أم أمتنع؟ وقد تنجح في المرات الأولى من هذا الصراع، لكن يستحيل الاستمرار في تجنب المعاصي، وأنت جالس بينهم، تصاحبهم، وتسمع حواراتهم وأحاديثهم، وترى كيف يُجمّلون المعصية، ويبررونها لإقناعك حتى تقع فيما وقعوا فيه، فلا يشعرون أنك متميز عنهم حينها.

أو يسحبك الصاحب لتتنافس معه على حسن الخلق، وقيام الليل، أو الصلاة في وقتها، أو المداومة على قراءة القرآن الكريم، أو بر الوالدين، أو دفع الصدقة، أو الإحسان. وتشعر بتقصيرك حينما تراهم مواظبين على الطاعات، والسنن، والنوافل التي كنت قد تكاسلت عنها، فيكون الصاحب هنا بمثابة المنقذ، وتصبح معه في منافسة لإرضاء الله. والله تعالى قال: ﴿...وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ما الحكمة من المصائب؟

كثيرًا ما يخطر ببالنا تساؤلات حول الحكمة من أمر كُتب علينا بضراء أو سراء، فنَعجز عن معرفة الحكمة منه.

كما يمكن أن نتساءل عن أمور كَتبها الله علينا كمسلمين، مثل: ما الحكمة من تحريم أمر ما وإباحة آخر؟ فعقولنا الصغيرة أمام قدرة الخالق تعجز أيضًا عن معرفة السبب. فهل من الصحيح البحث دائمًا عن الحكمة في كل أمر فرضه الله علينا والاقتناع به؟

بالطبع لا، فلماذا لا؟ لأن الجواب بسيط. نحن كمسلمين علينا أن نُسلم بأحكام الله تعالى ظاهرًا وباطنًا. فكيف يكون ذلك؟ يكون بفعل الطاعات، وترك المنكرات.

فالله تعالى خلقنا لعبادته والإيمان به، والإيمان بالله يستوجب علينا الإيمان بأسمائه. والله تعالى من أسمائه الحكيم؛ ولأنه الحكيم، فإنه لا يفعل شيئًا إلا لحكمة هو يعلمها سبحانه وتعالى.

فمن الممكن أن نجد من يستفسر لماذا لا يجوز الزنا في حال رضا الطرفين ودون أذى لأحد، وآخر يسأل عن الحكمة من تحريم الخمر أو الربا، وأخرى تسأل عن الحكمة من الحجاب، أو القوامة، أو التعدد، وغير ذلك. فهل إذا اقتنعنا بالحكمة أطعنا، وإن لم نقتنع فلا طاعة؟

فعبادة الله تعالى أن نمتثل لما أمر ونجتنب ما نهى عنه حتى وإن لم نعرف الحكمة منه. إذ قال رسول الله(ﷺ): (...أَلَا إن سِلْعَةَ اللهِ غاليةٌ، أَلَا إن سِلْعَةَ اللهِ الجنةُ) [رواه أبو هريرة، أخرجه الترمذي]. فلنتذكر دائمًا أننا عبيد لله، ولسنا عبيدًا للحكمة أو عبيدًا لعقولنا القاصرة.

فالعقل مفتاح الإيمان بالله، وبه نتعرف على الله، ولكن ليس للعقل بعد ذلك أن يحكم على أوامر الله ذي الحكمة المطلقة. ومثل العقل في ذلك كمن يريد أن يتسع الكوب الصغير للبحر الكبير، ولله المثل الأعلى.

فليس لكلمة «اقنعني بحكمة ذلك» مكان في شريعتنا، بل سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. نستدل بالعقل على صحة ما وصلنا، ولكن إذا أدركنا صحته اتبعناه. فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، ثم اسْتَقِمْ) [رواه سفيان بن عبد الله الثقفي، صحيح مسلم].

ليس الذكر كالأنثى

خلق الله تعالى الذكر والأنثى من مادة واحدة مشتركة، ألا وهي التراب، ولكن لا يعني ذلك تشابههم في الصفات، والخصائص، والخِلقة. فلكل من الأنثى والرجل كيان خاص ومختلف، فهل يعقل أو يمكن تشبيه الليل بالنهار؟ هذا أمر مستحيل، كذلك الحال بالنسبة للرجل والمرأة؛ فاختلافاتهما تشبه اختلاف الليل والنهار.

ذكر «أليكسس كاريل» -الطبيب الحاصل على جائزة نوبل في أبحاثه الطبية- أن «الاختلافات بين الذكر والأنثى ليست فقط في أشكالهم أو من خلال وجود رحم وحمل عند الأنثى، إنما الاختلافات تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها».

فمن الجهل مطالبة المرأة بأن تتساوى بالرجل؛ لأن كل خلية في جسم الأنثى مختلفة عن خلايا الرجل، وكذلك الأعضاء والأجهزة العصبية.

فهل الرجل مُكرم وأعلى شأنًا عند الله من المرأة؟ بالطبع لا، فالله تعالى قال: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ [الحجرات: ١٣]. هذه الآية كافية لتفهم الطرفين أنه لا أحد أعلى مرتبة من الآخر إلا بالتقوى.

فلا يمكن مساواة المرأة بالرجل. وأما عن الذين ينادون بمساواة الذكر بالأنثى، فهم اندفعوا بدون روية وتأمل، كمن ينعق بما لا يعقل. لكن المطالب التي ينبغي أن تُقام هي العدالة بين الطرفين، كما أمرنا الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-. والله تعالى حكيم عليم، أعطى لكل طرف حقوقًا وواجبات بكل تناغم واتفاق.

بين الحرية والانحراف

أب يشتكي من وضع ابنته العشرينية التي انحرفت عن الطريق انحرافًا مخيفًا حسب وصفه. يقول إنه شخص يؤمن بإعطاء الحرية لابنته، حتى لو أحبّت شابًا، وأصبح صديقًا للعائلة، فلا مشكلة لديه. لكن الأب يتألم الآن؛ لأن ابنته أصبحت لديها علاقات كثيرة مع العديد من الشباب، وعندما يرفع صوته عليها، تهدده بترك البيت. وهو الآن يبحث عن حل لهذا التدهور الذي وصلت إليه ابنته. كيف يمكن لشخص يخاف على فلذة كبده أن يرميها بالنار، ويطلب منها ألا تحترق؟

الطامة الكبرى بدأت عند مفهوم الحرية الخاطئ. الحرية لا تعني التفلت، ولا تعني التعري، ولا الوقاحة وطول اللسان، ولا العقوق. هذه ليست حريات، إنما عبادة للهوى. والله تعالى يقول: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

الحرية لها مفهوم مختلف عما نراه هذه الأيام. هي تحرير من كل المعتقدات الباطلة والخرافات، وتحرر من اتباع الهوى وأهل الضلال والفتن، والتحرر من عبودية الحجارة، والأصنام، والبشر، والمال، والشهرة إلى عبادة الله الواحد الأحد. الحرية المطلقة تكون بالعبودية لله وحده، لا باتباع الشهوات وخطوات الشيطان.

لماذا تحتشم المرأة بينما يُترك الرجل؟

عبارات مبتذلة نسمعها في الكثير من المجالس، وفي النقاشات والحوارات، سواء على مواقع التواصل الاجتماعي أو في حياتنا الاجتماعية، مثل: «لماذا على المرأة التستر والحشمة كي لا ينظر لها الرجل؟ أليس الأصح أن يسيطر الرجل على شهواته عندما يرى امرأة كاسية عارية؟» وغير ذلك، عندما تتزين المرأة، فهي لا تتزين من أجل الرجال، وكم من محجبات ومتسترات يلفتن نظر الرجل، ويثرن فضوله أكثر من مئة متبرجة!

هناك من يتناسى أن الله تعالى فطرنا على وجود جاذبية بين الرجل والمرأة، ولن تتغير هذه الجاذبية بأي ادعاءات باطلة، فهي تجري في النفوس كمجرى الدم في العروق. فالمرأة تتميز عن الرجل بشكلها، وأفكارها، وميولها، والرجل له صفاته في شكله، وهيئته، وميوله، وأعماله، ولن تتغير هذه الصفات حتى تقوم الساعة.

فلو كانت المرأة لا تتزين للفت الأنظار، وبالأخص أنظار الرجال، فلماذا تتعنت، وتتزين، وتتجمل، وتخرج بأبهى حلة؟ ولماذا تصرف الغالي والرخيص لتغيير ألوان شعرها، ونحت جسدها، وتنميق أظافرها؟ وكيف يُطالب الرجل بعد هذا بأن لا يتأثر بهذه المناظر؟ مع العلم أن الرجل مطالب بغض البصر، وهذا لا يختلف عليه عاقلان. لكن عندما أمر الله تعالى المرأة بالتستر والحجاب، فلأنه سبحانه أعلم بنا وبنفوسنا، ويعلم تأثر الرجل برؤية النساء المتبرجات.

وعبارات أن المحجبة تثير فضول الرجل أكثر من المتبرجة قد تكون حالات شاذة وقليلة جدًا، ولا يمكن تعميمها. والإحصائيات تؤكد هذا الكلام؛ ففي أمريكا، تحدث حالة اغتصاب كل ست دقائق تحت تأثير السلاح، مع العلم أنهن غير محجبات، وكثير منهن متبرجات.

فالزوج عندما تتزين الزوجة له، تزداد رغبته بها أكثر من عدم تزينها، أو لباسها حجابها الشرعي. هذا ما هو مجبول عليه الرجل. ففهم طبيعة الرجل كما هي، وطبيعة المرأة بشكلها الصحيح يريح جميع الأطراف.

والشذوذ بالأفكار، ورفض ما جُبل عليه الذكر والأنثى، إنما هو منبع الظلم، ورمز من رموز فساد الفطرة السليمة.

المرأة راعية ومربية في عالم التحديات

خلق الله تعالى النساء وأوكل إليهن مسؤوليات كما أوكل للرجال واجبات. فما هي واجباتنا كنساء؟

تنقسم واجبات النساء إلى قسمين: الأول هو مسؤوليتها نحو ربها، وتعلم دينها. أما القسم الثاني، فهو يتمحور حول واجباتها نحو أبويها، وزوجها، وأولادها، وبيتها، ونفسها.

فالمرأة خُلقت لتكون ذات أثر أينما حلت، فتبر والديها، وتعينهما، وتطيعهما في كل ما يرضي الله. كما ينبغي أن تطيع زوجها فيما يرضي الله، وتكون عونًا له في بناء أسرة، وبيت آمن، وسكن مريح. ولا تنسى أن المرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، ومسؤولة عن مال زوجها وأسراره، وعن بيتها وكذلك عن أولادها.

أولادها هم زينة الحياة الدنيا، وهي مسؤولة عن تعليمهم دينهم وصلاتهم، وتخشى عليهم من نار وقودها الناس والحجارة. وهي مسؤولة أيضًا عن تربيتهم على الخلق القويم.

وبقدر ما تكون الأم متحمّلة لمسؤولياتها تجاه أبنائها، فهذا يعكس خُلقها، وفهمها للمسؤولية التي وضعت بين يديها. فلا يمكن لامرأة أن تنجح خارج منزلها، وتفشل داخله؛ لأن النجاح يبدأ من الدائرة الضيقة، ألا وهي تربية الأبناء.

كذلك، من واجبها تجاه نفسها ألا تهمل صحتها، وألا تتحول حياتها وحياة من حولها إلى كوابيس، وألا تكتئب لكل صغيرة وكبيرة، ولا تسلم نفسها لوساوس الشيطان. فلجسدها حق، وهو حق العناية، والنظافة، والترويح عن النفس بما يرضي الله، لا بأرجيلة أو سيجارة، أو سهرة في مطعم على أنغام المطربين، والتمايل مع الموسيقى كيفما ترنحت. كما أن اللبس الفاضح أو المكياج الصاخب،

والضحكات المعيبة، أو الرقصات أمام الشاشات، ليس ترويحًا عن النفس، بل هو إغضاب لله والوقوع في المعاصي والغرق بها.

نحن كنساء لدينا مسؤوليات كبيرة تجاه آبائنا، وأمهاتنا، وأزواجنا، وأولادنا، ومجتمعنا. فمهما حاولنا التهرب والتخلص منها، تبقى مسؤولياتنا، وسنحاسب عليها أمام الله تعالى.

حماية خصوصيتنا في عالم متصل؟

مع انفتاح الناس على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بصورة كثيفة، أصبحت حياتهم الشخصية أكثر عرضة لانتهاك الخصوصية، وصارت بيوتهم هدفًا للمتطفلين والحاسدين.

قد تترتب المكائد بسبب حالات أو قصص يشاركها الأشخاص على هذه المواقع، تهدف إلى إظهار الجانب المضيء من حياتهم. ومع مشاركة التفاصيل اليومية والعائلية، بدأ الشعور بالضغط الاجتماعي يزداد، مما دفع البعض إلى منافسة بعضهم في عرض حياتهم بشكل إيجابي وجذاب، مما يؤدي إلى زيادة التوتر داخل العائلة. وما قد يبدو لامعًا عندهم قد يكون سببًا في دمار حياتهم ونفسياتهم مستقبلًا، لكننا لا نرى من هذا الجانب شيئًا، وإن سمعنا فلا نسمع إلا فلتات لسان، وتخمينات لا تسمن ولا تغني من جوع.

مـع تقـدم التكنولوجيـا، أصبـح مـن السـهل مشـاركة تفاصيـل حياتنـا الشـخصية، مـما يعـرض خصوصيتنـا للخطـر. فتفاقمـت المشـكلات العائليـة بعـد أن تمكنـت مواقـع التواصـل مـن تسريـع نقـل المعلومـات، والتواصـل بـين مـن يبعـد عنـا مئـات الكيلومـترات، مـما يـؤدي إلى تفاقـم المشـكلات. عـلى سـبيل المثـال، قـد يتـم مشـاركة مشـكلات زوجيـة أو عائليـة بشـكل علنـي على الواتـس، أو الفيسـبوك، أو الإنسـتغرام، مـما يزيـد مـن تعقيـد هـذه المشـكلات ويجعلهـا أكـثر صعوبـة في الحـل. بـل قـد يشـارك الإنسـان حالـة كي يزعـج زوجتـه، أو لتغيـظ صديقاتهـا برحلـة مـع زوجهـا، أو هديـة قدمهـا لهـا، مـما يفاقـم الحسـد والغـيرة.

ولا ننـسى مجامـلات السوشـيال ميديـا القاتلـة، فـإذا وضعـت إحداهـن منشـورًا ولم يعلـق لهـا الـزوج، سـتقوم الدنيـا فـوق رأسـه، وقـد تتحـول حياتـه إلى جحيـم. وقـد شـهدت حـالات حيـث تمسـك بعـض النسـاء بهواتـف أزواجهـن لتعديـل تعليقاتهـن، مـما يعكـس مسـتوى مـن الخـداع والتمثيـل.

لقـد صـارت البيـوت تعيـش في حالـة انفصـال اجتماعـي بـدلًا مـن التفاعـل الواقعـي مـع العائلـة، مـما يتسـبب في انعـزال عـن الأسرة والأحبـاب. حتـى الأطفـال لم يسـلموا مـن هـذا التلـوث، إذ صـارت متعتهـم تكمـن بالتقـاط الصـور ونشرهـا. أروي هنـا حادثـة: كنـت في إحـدى الحدائـق، ولاحظـت أمًّـا تلتقـط صـورًا لابنهـا الـذي لا يتجـاوز سـبع سـنوات، بينـما كان الطفـل يـصرخ متعبًـا. وكانـت الأم تسـتمر في طلـب الابتسـامة، معتمـدة عـلى مـا سـيقوله الآخـرون، مـما يؤكـد عـلى تأثـير المجتمـع الخارجـي عـلى تربيـة الأبنـاء.

لقد تحولت بيوت الناس إلى عورة مكشوفة، وصارت المصلحة الأساسية تنفيذ ما تتطلبه مظاهر السوشيال ميديا الخداعة، مما جعل النفوس متعبة ومرهقة، تلهث وراء الفراغ.

كم من خلافات ونزاعات أدت إلى تدهور العلاقات العائلية، وربما إلى الطلاق في بعض الحالات، نتيجة مشاركة حالة على تطبيق أو موقع ما. فصديقتكِ التي وضعتِ الحالة لتفسدي رضاها في حياتها لن تنفعك، والمجتمع الذي صفق لكِ، وانبهر بحالاتك قد شتمك من خلفك، وربما دعا الكثير منهم عليك بالهلاك. وجارتك التي مدحتك قد تكون حسدتكِ.

ثم بعد فترة، ستجدين نفسك الخاسر الأكبر بسبب لهاثك وراء تصوير ومشاركة خصوصياتك التي ليس من حق أحد الاطلاع عليها، فقد قمتِ بنشرها بإرادتك ورضاك. وكم من مشاركات يتمنى بعضنا الآن لو يستطيع حذفها من تاريخ من رآها، بينما كانوا آنذاك سعيدين بمشاركتها، لكن لا ينفع الندم.

كيف نواجه هذه الظواهر؟ ما من مشكلة إلا ولها حل. وأول الحلول هو الحزم مع النفس وضبطها، وهذا أمر غاية في الأهمية. فتحديد وقت لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، والامتناع عن استخدامها خلال الأوقات الأسرية هو بداية العلاج، وهذا سيساعد في تعزيز التفاعل بين أفراد العائلة.

قد تكون وسائل التواصل الاجتماعي مفيدة إذا تم استخدامها بشكل صحيح للتواصل مع أصدقاء، وأفراد عائلة بعيدين جغرافيًا. التواصل الإيجابي مهم ويُحسن من نفسيتنا. لكن لا بد من تعزيز إعدادات الخصوصية على حسابات وسائل التواصل الاجتماعي، والتأكد من أن المعلومات الحساسة ليست متاحة للجميع.

إلى جانب ذلك، يجب العمل من قِبل الوالدين والمجتمع على توعية الأطفال والشباب، والتحدث معهم عن تأثير وسائل التواصل الاجتماعي، والضغوط التي قد تنشأ عنها، والمشكلات التي قد توقع الكثيرين في مخاطر جسدية، أو مادية، أو نفسية.

كذلك، لا بد من الحد من الاعتماد الزائد على وسائل التواصل الاجتماعي لتقييم الذات والقيمة الشخصية. فالنجاح والسعادة لا يُقاسان بعدد الإعجابات أو المشاركات.

إثبات الذات والثقة بالنفس لا يكون من خلال إطراء ومدح حصلت عليه من مجهول هوية لا تعرف دينه، ولا خلقه، ولا مستواه العلمي. السعادة التي تشعر بها بسبب كلمة معسولة من شخص ما ستزول بعد انتهاء القراءة، وقد يكون الشخص الذي قالها من أسوأ الأشخاص خُلقًا وتعاملًا، فلا يغرنكم أصحاب اللسان المعسول.

لتجنب هذه المشكلات، والتقليل أو الحد منها، لا بد من الحذر فيما يتعلق بمشاركة المعلومات الشخصية على الإنترنت، واستخدام الوقت على مواقع التواصل بحذر وتوازن، مع الحفاظ على الاتصال الواقعي مع الأهل، والأحباب، والأصدقاء، والعائلة. وبهذا يمكن التقليل من التأثير السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي على العلاقات العائلية، وتعزيز التواصل والتفاهم داخل الأسرة.

بين تأليه الرجل وتأليه المرأة

ربما يكون عنوانًا غريبًا، ولكن لشخص لم يعش في زماننا، تأليه المرأة هو مبدأ تدندن حوله النسوية ودُعاتها. أما تأليه الرجل، فتلك ظاهرة جديدة تنمو طحالبها في مستنقع مواقع التواصل الاجتماعي، وهناك من يدعم هذه التوجهات، ويقف معها لأسباب متنوعة.

سأبدأ بما هو مجهول ربما للبعض: من يؤلّه الرجل، وما المقصود بهذا المفهوم؟ ومن هم دعاته؟ وهل يختلف إعطاء الرجل حقه عن إيصاله إلى درجة التأليه؟ وهل يمكن وضع المرأة في موضع الاستقلالية دون حاجتها للرجل؟ هذا ما أود التوقف عنده اليوم.

ظهرت هذه الأيام على قنوات فضائية كبرى وصفحات وسائل التواصل الاجتماعي، نساء يوجّهِن رسالتهن للنساء حول طريقة التعامل مع الرجال، ويصفن الرجل بطريقة لا تليق بإنسانية المرأة، وفيها انتقاص لا يقبله الشرع

ولا العرف. كما يصفن الرجل بالفرعون، والمرأة بأوصاف مشينة كالخادمة، ويتم مطالبة المرأة في هذه المقاطع والحلقات بأن تتصرف بأسلوب ذليل، يعاكس مفهوم المرأة المسلمة الحرة الكريمة، وبطريقة فيها مبالغة، وتنفير، وإفساد.

على النقيض من ذلك، نجد دعاة النسوية وقد أصبحت معروفة ومعروفٌ داعموها، فهم -خاصة المتطرفون منهم- يؤلّهون المرأة ويصورونها على أنها مستغنية عن الرجل غنى كاملًا. فهو لا يكملها، ولا يمكن أن يقدم لها شيئًا، أو يطلب منها.

فهي قوية بنفسها متفردة، لا سلطة لأحد عليها، وهي كامل المجتمع لا نصفه، بل ربما تكون مجتمعًا ونصف، والرجل مجرد إنسان متسلط يجب التغلب عليه. إلا إذا كان صاحب العمل، فطاعته واجبة، ولكن إن كان زوجًا، أو أبا، أو أخًا، فعليك الاعتراض وإخراج المارد الذي بداخلكِ، وضعي الواجب، والحب، والعرف جانبًا، فأنتِ في وجهة نظرهم كل شيء، والرجل لا شيء، بل هو بحاجة ماسة إليكِ، وسيأتيكِ مكسورًا، فافعلي ما يحلو لكِ.

نشهد هذا التطرف والمبالغة في أسلوب التفكير في علاقة الرجل والمرأة، ربما بسبب رغبة دعاته بأن يكونوا ركاب موجة تريند ما، أو مشاهير في عصر السوشيال ميديا. فكثيرون يهتمون بكل ما هو غريب، وشاذ، وغير مألوف، يهتمون به إنكارًا، وتعليقًا، أو إعجابًا؛ لأن القلوب المريضة تتلقف الخبث كالذباب يحط على الروائح الكريهة، فينتعش ويقاتل من أجل ذلك. فالانحراف

الشـديد يتسـبب للمنحـرف برغبتـه في المواجهـة لأجـل مبـادئ مريضـة؛ لأن عقلـه تعلـق بهـا وقلبـه تـورط معهـا. فتراهـا قضيتهـم الشـاغلة، ويؤسسـون لأجـل تأليـه الرجـل أو تأليـه المـرأة جمعيـات، ومنظـمات، وتيـارات، وحمـلات لدعـم هـذه الأفكار التـي يجـب عـلى كل مصلـح وعاقـل التحذيـر منهـا.

في حـين أن الإسـلام قـد جـاء بمـا هـو عـدل، وحكيـم، ولمصلحـة الطرفـين، ونظّـم العلاقـة بـين الجنسـين، فكلاهـما مكـرّم. والمـرأة شريكـة للرجـل في الحيـاة، ودينـنـا يشـجع عـلى الحفـاظ عـلى كرامـة المـرأة وحقوقهـا، وبنفـس الوقـت يعطـي الرجـل حقوقـه وقوامتـه. ولـكل مـن الطرفـين حقوقـه المبنيـة عـلى العـدل والإحسـان، ومـن يتجـاوز في حـق الآخـر يكـون مخطئًـا مدانًـا، فقـد خالـف الحـق. وتكـون الملامـة عليـه لا عـلى تعاليـم الديـن. وإن كان رجـلًا تظهـر عليـه علامـات الالتـزام، فليـس هـذا كافيًـا، بـل الامتثـال لأمـر اللـه تعـالى هـو الأوجـب؛ لأن الرجـال يعرفـون بالحـق، وليـس الحـق يعـرف بالرجـال.

وجـود الضوابـط في علاقـة الطرفـين والخصوصيـة في حقـوق كل طـرف عـلى الآخـر إنمـا ينبـع عـن عدالـة وحكمـة مطلقـة، وهـي لتنظيـم البيـت المسـلم، كي لا تتحكـم الأهـواء في ظلـم الأطـراف لبعضهـا. فنظـرة الإسـلام لـكلا الطرفـين إيجابيـة ومتوازنـة، وتهـدف إلى الوصـول لحيـاة آمنـة مسـتقرة وعادلـة للجميـع.

ألم العقوق: بين التربية والابتلاء

اعتبر النبي -صلى الله عليه وسلم- عقوق الوالدين من الكبائر، وذلك حين سُئل عن الكبائر؛ فقال: (...الشِّرْكُ باللَّهِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ...) [رواه أنس بن مالك، أخرجه البخاري].

وفي مقابل النهي عن عقوق الوالدين، أمر الله تعالى ببرّهما، والتودد لهما، والدعاء لهما، وحفظ معروفهما. إذ قال تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. [لقمان: ١٥]، حيث تبيّن هذه الآية أنه يمكن للولد أن يعصي والديه ولا يطيعهما فقط في حال أمراه بأن يشرك بالله تعالى أو أمراه بمعصية.

فطاعة الله تعالى فوق طاعة المخلوقين، مع بقاء المعروف والمعاملة بالحسنى. قال عزّ وجلّ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

فماذا لو اجتهد الوالدان في تربية ابنهما أو ابنتهما، وبذلا الغالي والرخيص كي يكون إنسانًا صالحًا وبارًا، لكن لم يجدا إلا العقوق والإساءة؟ ماذا يفعل الأب أو الأم في هذه الحالة؟

هـذه ليسـت مهمتـكِ ولا مهمتـي، وإنمـا عليـكِ، أيتهـا الأخـت، أن تسـعي وتجتهـدي في تربيتـه، واتـركي الأمـر بعـد ذلـك للـه. قـد نحـزن، ونتـألم، ونبـكي، ونبحـث، ونسـأل عـن حلـول بعـد أن نعجـز عـن كل الحلـول التـي جربناهـا معهـم، لكـن قـد لا ننجـح في هداهـم ولا صلاحهـم مهـما فعلنـا، ومهـما سـعينا، ومهـما دعونـا؛ لأن ذلـك قـد يكـون ابتـلاءً واختبـارًا مـن اللـه تعـالى لنـا، فنحـن لسـنا أفضـل مـن الأنبيـاء.

فقـد اختـبر اللـه تعـالى سـيدنا نـوح وهـو نبـي، فـكان يدعـو النـاس، ويتـألم عـلى كل مـن لا يتبعـه، فـما بالنـا بألمـه لأن ابنـه لم يسـتجب لـه؟!

قـد يكـون ابتـلاء الأبنـاء مـن أصعـب الابتـلاءات التـي قـد يمـر بهـا الوالـدان، وأخـص هنـا ألم العقـوق لا ألم الفـراق، فلـو فـارق الولـد الحيـاة، والوالـدان راضيـان عنـه، فـلا حـزن عليـه إن شـاء اللـه إن كان مـن أهـل الصـلاح. ولكـن لـو بقـي عـلى قيـد الحيـاة، فإنـه سيسـبّب لهـما المتاعـب والشـقاء، وسـيكسر خاطرهـما ويُخجِلَهـما أمـام القريـب والبعيـد، بعـد أن اجتهـدا في تربيتـه، وتعبـا كثـيرًا ليكـون اللـه راضيًـا عنهـما، هنـا يكـون ألم المـوت أهـون عـلى النفـس مـن ألم العقـوق.

قـد يظـن الوالـدان بعـد ذلـك العقـوق أنهـما قـد أخفقـا في تربيـة ذلـك الابـن أو تلـك الابنـة، وهنـا أركـز عـلى كلمـة «تربيـة»، أي فعـلًا قدّمـا لـه التربيـة الواجبـة عليهـما كوالديـن، مـن تعليـم دينـه، وتعليمـه العلـم الدنيـوي، وتربيتـه عـلى الأخـلاق الفاضلـة منـذ صغـره، ثـم كانـت النتيجـة عكـس مـا قدّمـا. فهنـا يـترك الأمـر للـه، ويلجـأ إليـه بالدعـاء والإلحـاح عليـه بـأن يهديـه ويصلـح قلبـه، فـإن لم يهـده اللـه،

فالرضا ثم الرضا بقضاء الله وقدره، والرضا هنا يكون بقضاء الله بالخير والشر، وليس فقط بالخير، وهذه من المسلّمات.

أعرف تمامًا ما في قلب الأم والأب المتألمين والمهمومين لحال ابنهما الذي انحرف عن الطريق، وابتعد عن الله، وعن معظم أو كل الأخلاق التي بذلا ساعات، وأيامًا، وشهورًا، وسنين في تعليمه.

فتكون النتيجة شابًا عاصيًا لله تاركًا لأوامره، ويرفع صوته على والديه، وقد يضربهما، والعياذ بالله، أو قد يكون إنسانًا فاشلًا أو ناجحًا ولا يسأل عنهما، بل ويشعر بالعار كونهما والديه، أو قد يكون سارقًا أو مجرمًا، أو حتى شاذًا، أو مدمنًا على المخدرات لا يُفرق بين حلال أو حرام، وإنما جل ما يهمه هو متعته فقط.

إذا خرج الوالدان ووجدوا جارهما فلان، وهو يخبرهما أن ولدهما فعل كذا، وآخر يقول: «يا أخي، ما عرفتم تربوا هالولد»، وأخرى تقول: «لو كان عندي مثل ابنك والله لربيته أحسن تربية -عدم المؤاخذة- التقصير واضح في التربية»، وتذكر لها إنجازات ابنها. هنا، يتحرّق قلب الأم لمجرد أنها موضع اتهام. وإذا ذهب الوالدان إلى المدرسة، يرون المعلم يشتكي، والمدير، والطلاب، والجميع يلقون اللوم على الوالدين المسكينين.

أقول لكم: رفقًا بهما، فالله تعالى وحده أعلم بقلبيهما المكلومين. خففوا عنهما واجعلوا لكم دورًا وتجربة في صلاح ولديهما، فإن لم تستطيعا فادعوا لهما، ولا تثقلوا الحمل فوق ثقله، وكونوا سعاة بالخير لا بالشر.

وهنا سأذكر قصة الغلام الذي قتله الخضر في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]. قال قتادة: قد فرح به أبواه حين وُلد، وحزنا عليه حين قُتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما. فليرضَ امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب.

لا شك في ذلك، ففي الحديث يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له.) [رواه صهيب بن سنان الرومي، صحيح مسلم].

فالمؤمن إما في ذنب فيحتاج إلى التوبة، وإما في مصيبة فيحتاج إلى صبر، وإما في نعمة فيحتاج إلى شكر. فإذا كان المسلم يصبر عند الضراء، ولا يجزع، ولا يتسخط، ولا يتكلم بلسانه بما يغضب الله، ولا يعمل بجوارحه ما يغضب الله، بل يصبر ويقول: ﴿...إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، ويشكر عند النعمة، ويتوب عند المعصية والذنب، فهذه علامة السعادة.

لا تدعوا على أولادكم مهما كانوا عاقين وعاصين، ادعوا لهم بالخير والصلاح، لعل دعوة من دعائكم تقلب موازينهم، وينصلح حالهم، ويتحولوا من عاقين إلى أبناء بارين، نادمين على ما فعلوا بكما. فالدعاء يغير القدر، وإن لم يستجب الله لدعائكم فلا تبتئسوا، فالله وحده يعلم الخير في أمره. استعينوا بالله واحتسبوا، وعزاؤكم أنكم لم تقصروا في تربيته، لكنه اختار الطريق الخاطئ.

لوموا أنفسكم إن قصرتم في تربيته وتعليمه، وتركتوه لشياطين الإنس والجن، ولم تعلموه الحلال من الحرام، ولم تكونوا مثالًا يُقتدى به. تحسروا على أبنائكم وعلى أنفسكم إن كنتم آباء ضيّعتم البوصلة، فلم تعتنوا بهم، ولم تنتبهوا لهم، وعندما كبروا تذكرتم أنهم صاروا عاقين.

هنا، اعذروني إن قلت لكم: لقد فات الأوان في إصلاحهم. فقد ربّاهم الهاتف الذي بين أيديهم، وصديق السوء الذي كان أقرب إليهم منكم، والشيطان كان يسرح ويمرح فيهم كيفما شاء.

في النهاية، أيها الآباء والأمهات، ليس للمرء إلا ما سعى، وأنتم اجتهدتم في تربيتهم، فإن كانوا من البارين، فهذا من توفيق ورضا الله. وإن كانوا عاقين، فلا تنسوا عليكم بالدعاء، والاحتساب، واللجوء إلى الله تعالى.

النظريات النسوية

النسوية ترفض قوامة الرجل، والله تعالى يقول: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾

[النساء: ٣٤].

النسوية تؤكد أن «الذكر يتساوى مع المرأة في كل شيء»، بينما الله تعالى يقول:

﴿...لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ...﴾ [النساء: ١١].

النسوية تحارب التعدد للرجل، والله تعالى قال: ﴿...فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...﴾ [النساء: ٣].

النسوية تدعم الشذوذ وتدعو للإلحاد، والله تعالى يقول: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

النسوية تعتبر الذكر كالأنثى، والله تعالى يقول: ﴿...وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ...﴾ [آل عمران: ٣٦].

النسوية قائمة على محاربة الرجل وتدعو لحرية التعري لدى الأنثى.

النسوية تشجع على الإجهاض بحجة أنها حرة بجسدها، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ* بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [سورة التكوير: ٨ - ٩].

النسوية فكرة غربية لها شروطها وقوانينها، بينما الإسلام أنصف المرأة وأعطاها حقوقًا لم يعطها الغرب للمرأة حتى الآن.

النسوية تدعم المساكنة والزنا، والله تعالى حرم الزنا وكرمنا نحن المسلمين بمعرفة نسبنا حتى سابع جد: حرة ابنة حرة.

الفاشينيستا: عارٌ ثقافي أم طموح زائف؟

ما معنى فاشينيستا وما مخاطرها؟

الفاشينيستا هو مصطلح مشتق من كلمة «fashion» باللغة الإنجليزية، والتي تعني الموضة، و«ista» بالإسبانية هي حروف تُضاف إلى الكلمة لتصف بها؛ لذا يصبح معنى الكلمة حرفيًا «موضتيّة». يُستخدم مصطلح فاشينيستا للإشارة إلى الأنثى، بينما يطلق مصطلح فاشينيست على الرجل.

ومع الأسف، فإن النساء -خصوصًا في هذا المجال- يتحولن إلى ماركات، وسعرهن يعتمد على جمالهن وعدد متابعيهن. أصبحت هذه وظيفة تمتهنها بعض النساء من خلال عرض أجسادهن، والتسويق لمنتجات غير معروفة، مما يمثل إهانة شديدة للمرأة، حيث تُنتهك خصوصيتها مقابل أجر تتقاضاه الفتاة، التي قد تصور نفسها في المنزل، أو في الشارع، أو في أماكن عامة، لتروّج لمنتج ما خلال حياتها اليومية.

بصراحة، يمكن أن تكون أي واحدة من متابعاتهن إنسانة فعالة ومؤثرة في الواقع أكثر بكثير منها؛ فقد تكون متعلمة بينما الفاشينيستا التي تتابعها ليست كذلك، وقد تكون ناجحة في العديد من مجالات حياتها، بينما هي ناجحة في عرض مفاتنها، وتبذل جهودًا للحصول على إعجاب إضافي.

كـما أنهـا مسـتعدة للتضحيـة بصحتهـا، وبمـن حولهـا مـن أجـل المبالـغ التـي بـدأت تكسـبها دون مجهـود يُذكـر، حتـى لـو كان ذلـك عـلى حسـاب خلـع قطعـة أو قطـع إضافيـة مـن ملابسـها. ثـم تـأتي إحـدى متابعاتهـا لتقلدهـا تقليـدًا أعمـى، وقـد يصـل بهـا الأمـر إلى الطـلاق، أو إلى زيـادة الأعبـاء عـلى زوجهـا، مـن أجـل الحصـول عـلى كنـزة مشـابهة للتـي ترتديهـا الفاشينيسـتا، أو كريـم تسـتخدمه الفاشينيسـتا. وهـذا الأمـر لا يتناسـب مـع ديننـا ولا مـع ثقافتنـا.

بينـما تتفـشى هـذه الظاهـرة عـبر مواقـع التواصـل الاجتماعـي مثـل الإنفلونـزا، فإنهـا للأسـف تنتـشر بشـكل كبـير في مجتمعاتنـا. فعندمـا نتصفـح الإنترنـت نجـد واحـدة جديـدة ذات ملايـين المتابعـين، نسـأل أنفسـنا: مـن هـي؟ ومتـى ظهـرت؟ ولمـاذا حصلـت عـلى هـذا العـدد الضخـم مـن المتابعـين؟ نجـد أنهـا ليسـت سـوى فاشينيسـتا، ولا أكـثر، وربمـا نجدهـا صغـيرة في السـن، وقـد تكـون دون سـن التاسـعة عـشرة، ومـع ذلـك يتهافـت الشـباب عليهـا في التعليقـات بطريقـة مخزيـة.

في إحـدى الـدول الخليجيـة، سـألت معلمـة طالباتهـا في المرحلـة الابتدائيـة: مـاذا تحبـي أن تكـوني في المسـتقبل؟ بالطبـع، كانـت المعلمـة تتوقـع إجابـات تقليديـة مثـل «دكتـورة» أو «مهندسـة» أو «محاميـة»، لكـن المفاجـأة كانـت حـين قالـت إحـدى الفتيـات: «أريـد أن أكـون فاشينيسـتا مثـل فلانـة مـن المشـاهير»، مـع حـركات تعبيريـة تثـير الدهشـة.

إن متابعـة هـؤلاء الأشـخاص مـن قبـل الأطفـال والمراهقـين -مع ظاهـرة الفاشينيسـتا- تجعلهـم منبهريـن بالمنتجات التـي يروجـون لهـا، مـما يشـكل خطـرًا يهـدد أخلاقيات المجتمـع في كثـير مـن الأحيـان. وللأسـف، لا يوجـد قانـون رادع للمحتـوى المنشـور عـبر مواقـع التواصـل الاجتماعـي.

لكـن مـا الـذي يدفـع هـؤلاء الأشـخاص للظهـور بهـذا الشـكل؟ للأسـف، بعـض هـؤلاء المشـاهير الفاشينيسـتا يعانـون مـن هـوس حـب الظهـور، والرغبـة في الحصـول عـلى مبالـغ ماليـة مهـما كان الثمـن، فـيرون أن الأمـر يسـتحق. فقـد نجـد الواحـدة منهـن ترقـص في الشـارع، أو تجدهـا تقبّـل كلبًـا (أجلكـم اللـه)، أو تخلـع حجابهـا وتضـع الكثـير مـن المكيـاج، مسـتعدّات للقيـام بـأي سـلوك مسـتهجن لجـذب الانتبـاه، والحصـول عـلى المزيـد مـن المتابعـين. ومـا هـن إلا مدمنـات شـهرة.

المصيبـة الكـبرى هــي أن الواحــدة منهــن، عندمـا تعـاني مـن مشـكلة مـا، تقـوم بعمـل بـث مبـاشر، وتجيـب عـن الأسـئلة، وفي كثـير مـن الأحيـان تكـون الأسـئلة التـي تتلقاهـا غـير مفهومـة، لكنهـا تسـتمر في المماطلـة أو تحويـل همـوم وأوجـاع النـاس إلى موضـوع للسـخرية والاسـتهزاء. ومـا يُحـزن أكـثر هـو أن بعـض الشـواذ المتحولـين جنسـيًا مـن الرجـال، يتابعهـم بعـض الرجـال والنسـاء، ويتخذونهـم قـدوة.

فهـل القـدوة تكـون باتبـاع أشـخاص فارغـين، أم أن المظاهـر أصبحـت هـي الحاكـم لنـا، وليـس صـلاح الإنسـان، أو حكمتـه، أو خبرتـه، أو تخصصـه؟

عانس!

قالت: «عنست، فهل بالفعل أنا فتاة ناقصة عن غيري من النساء حتى لم يُعجب بي أي رجل، ويطلبني للزواج؟ لماذا العنوسة عار في مجتمعنا؟ ألف كلمة مطلقة، ولا كلمة عانس. أكره نفسي لأني امرأة لم تحظَ بزوج كباقي النساء!»

أختي الغالية: «كما أن الزواج نعمة، قد يكون ابتلاءً أيضًا لمن ابتليت بزوج لا يعاملها بمعروف ولا يُحسن إليها. كذلك، العنوسة أو التأخر عن الزواج فيه ابتلاء من الله، وقد تكون نعمة أيضًا، فالله تعالى قال: ﴿...وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. فكل ابتلاء نعمة إذا صبرنا واحتسبنا.

العنوسة أو التأخر عن الزواج ليس عارًا. فكم من امرأة جميلة جدًا لم يكتب لها رب العالمين الزواج. وهذا يعني أن التي لم تتزوج ليست بالضرورة فتاة قبيحة.

ألف كلمة مطلقة ولا كلمة عانس! والمطلقة تقول: «ألف كلمة عانس ولا كلمة مطلقة!» لكن فعلًا، لو كُشف لنا الغيب، لشكرنا الله ليلًا ونهارًا على ما اختاره لنا من سعادة، وهم، ورزق، ومرض، وزواج، وعنوسة، وطلاق، وغيره. فهو المدبر لأمورنا بما يناسبنا.

المشكلة أننا نبني سعادتنا في ما فقدنا، ولا ننظر إلى الخير الذي اختاره الله لنا،

بـل نركـز عـلى مـا نفقـد. اللـه تعـالى قسـم لنـا الأرزاق بالعـدل، ومـن صفاتـه العـدل. فـلا تكـترثي لـكل مـا يُقـال عـن العانـس، ولا للنظـرات أو التهكـمات التـي نلاحظهـا مـن خـلال الغمـزات، واللمـزات لمـن كُتـب لهـا أن تبقـى مدللـة في بيـت أهلهـا.

اصـبري، واحتسـبي، ولا تعجـزي، واسـعدي بمـا بـين يديـكِ، وتذكـري كـم مـن امـرأة متزوجـة تتمنـى لـو بقيـت عانسًـا تحـت رعايـة أهلهـا، ولم تعـش يومًـا واحـدًا مـع زوج ظـالم وفاسـد ومُفسـد.»

خيانة المجالس

قـد يتعـرض أي شـخص فينـا لخيانـة المجالـس، بحيـث يكـون هنـاك حديـث شـخصي وخـاص مـع أحدهـم، لكنـك لا تعلـم أن حديثـك وكلامـك انتـشر عـبر تسـجيل صـوتي عـلى الواتسـاب في نفـس اللحظـة التـي تتحـدث بهـا. أو ربمـا يفتـح اتصـالًا مباشرًا، ويسـمع طـرف مـا دون أن يسـتأذنك.

الشـخص الـذي وثقـت بـه وتحدثـت أمامـه بمـا لا يجـب أن يسـمعه غـيره خانـك، وقبـل أن يخونـك، خـان الأمانـة. نعـم، أمانـة؛ فالمجالـس أمانـات.

قـد يتـصرف أحدنـا بهـذه التصرفـات دون إدراك لهـذه الأمـور، ويظنهـا أمـورًا بسـيطة، لكـن الحقيقـة هـي أن هـذه التصرفـات قـد تنخـر حيـاة أشـخاص، وتدمـر حيـاة

عائلة، ويُطرد موظف من عمله، ويغضب أب على ابنه أو ابنته، أو قد يطلق رجل زوجته أو تترك زوجة زوجها بسبب حديث استؤمن عليه. لكنك خنت المجلس، ونقلت الحديث من فم المتحدث، ليصير متداول بين الأهل والأصدقاء.

وصف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حال الناس في آخر الزمان، ومنها حينما قال: (تَكونُ فتنةٌ النَّائمِ فيها خيرٌ منَ المضطَّجِعِ، والمضَّطَجعُ فيها خيرٌ منَ القاعِدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ منَ القائمِ، والقائمُ خيرٌ منَ الماشي، والماشي خيرٌ منَ الرَّاكبِ، والرَّاكبُ خيرٌ منَ المجري قتلاها كلُّها في النَّارِ. قال: قلتُ يا رسولَ اللَّه، ومتى ذلِكَ؟ قال: ذلِكَ أيَّامَ الهرْجِ . قلت: ومتى أيَّامُ الهرْجِ؟ قال: حينَ لا يأمنُ الرَّجلُ جليسَهُ...) [رواه عبد الله بن مسعود، أخرجه أبو داوود].

رحلة المرأة عبر الحضارات وانتزاع حقوقها من براثن الظلم

كانت المرأة في كثير من الحضارات السابقة في منزلة أقل من منزلة الرجل، بل ربما تم إخراجها من دائرة الإنسانية، وجعلها أقرب للحيوان!

ففي زمن الإغريق، كانت المرأة مستعبدة، ومصنفة كرجس من عمل الشيطان، وعليه فقد تعرّضت لشتى أنواع التعذيب والمهانة. أما في الحضارة الصينية، فقد اعتُبرت المرأة مخلوقًا بلا قيمة ولا وزن، وشرًّا يمكن للرجل التخلص منه متى أراد، وتُحبس كالدواب للخدمة إذا ما مات عنها زوجها.

أما عند اليهود، فهي متهمة بإثم إغواء آدم، وإخراجه من الجنة، وللرجل الحق في بيعها، وحرمانها من الميراث. أما الهندوس، فقد تفننوا بظلمها أكثر، باعتبارها في نظرهم مخلوقًا نجسًا، لدرجة أنها تُحرَق مع جثة زوجها المتوفى حتى يومنا هذا!

أما الفرس، فقد اعتبروا المرأة سببًا لانتشار الفساد، وللرجل الحق المطلق في قتلها وقتما يشاء. وحتى في جاهلية العرب قبل الإسلام، فالمعروف أنها امرأة تزداد قيمتها فيما تحققه للرجل من إنجاب للبنين، وانتشار ثقافة كُره الفتيات.

ومما لا يخفى، أنه في عهد الكنيسة الأولى، اعتبرت المرأة بابًا للشيطان حينما أطاعته بما يريد وأغرت آدم في الجنة، لدرجة أن بعض مجامع الكنيسة في روما اعتبرتها حيوانًا نجسًا لا روح له ولا خلود، يجب الابتعاد عنه، ويجب ألا تلقن مبادئ ديانتهم لها لعدم قبول عبادتها.

أما في الحضارة الغربية الحديثة، فقد تمكنت المرأة الغربية من نيل بعض حقوقها عندما تم التخلص من سلطة الكنيسة على الدولة، وفرض الرؤى العلمانية على الحياة ومؤسسات الحكم. فحصلت المرأة الغربية على حقوق مادية وإنسانية كانت قد حرمتها منها الكنيسة بتعاليمها الجائرة، وكُتبت معاهدات لإنصاف المرأة، وتم تشريع أعياد لها للتغني بحقوقها. ونالت المرأة في الغرب الاحترام والتقدير كما لم تكن من قبل.

ولكن على أرض الواقع، ورغم كل التقدم الذي حصل في ملف حقوق المرأة، إلا أن النظام الغربي العلماني المادي افتقد القيم الأخلاقية السامية، مما جعله يخسر الرادع السلوكي الأقوى للإنسان، أي الدين. ولذا فإنه لم يُؤمّن حماية كافية للمرأة التي بقيت تعاني من التسليع، والإتجار بجسدها، والاعتداء المتكرر عليها، ولم يراعي ضعفها وخصوصيتها كأنثى.

وكانت دعاوى مساواتها بالرجل ظالمة لها في كثير من الجهات، وصار المجتمع الغربي الرأسمالي مجتمعًا يقدس المادة، ويشرع من القوانين والأنظمة المتعلقة بالمرأة ما يقوي عجلة الاقتصاد في المقام الأول، ولو سبب هذا الكثير من المآسي والآلام التي تعيشها المرأة بسبب هذا النظام الجائر.

وهكذا بقيت المرأة تترنح بين قصور الظلم وظلمات التخلف، وتعاني السبي، والمتاجرة، والوأد، والحرمان من الميراث والحقوق، حتى في عصرنا الحديث، كُتبت معاهدات لإنصاف المرأة، وجُعِلَت أعياد لها وللتغني بحقوقها، ولكنها على أرض الواقع ما زالت تعاني من التسليع والإتجار بجسدها، وحاجتها، وضعفها، وعدم التقدير لخصوصياتها وطبيعتها، مما ولّد مئات آلاف حالات الاعتداء عليها دوريًا، إلى جانب هضم حقوقها، ومن ثم احتياجها لشتى أنواع المساعدة النفسية والاجتماعية وغيرها.

حتى وصلت إلى تضاعف نسب ارتياد النساء في الغرب لعيادات الطب النفسي،

واستخدام مضادات الاكتئاب، وازدياد حالات الانتحار بين النساء، نتيجة زيادة الضغط المادي والمعنوي، وافتقادها الدفء والأمان الاجتماعي في البيت والمجتمع في كثير من الحالات. وهذا ما أشارت إليه خبيرة التعليم الأمريكية -الدكتورة أسماء باميلا- حيث قالت مضيفة: «لقد وجدت في الإسلام ما كنت أفتقده، وجدت ما كنت أبحث عنه».

المرأة كقيمة إنسانية مكرمة

علّمنا الإسلام أن قيمة الإنسان ليست بلونه، ولا جنسيته، ولا جنسه، بل قيمته مستمدة من عمله، ومن قربه إلى الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ [الحجرات: ١٣]. وبالتالي فقيمة الإنسان المسلم يستمدها من إسلامه، وكرامته عند الله تعالى وعند الناس إنما تقاس بتدينه وصلاحه، وهذا ينطبق على الذكر والأنثى، سواء كانت أمًا، أو أختًا، أو بنتًا، أو زوجة، فقد فصّل لها حقوقها أينما كان موضعها.

كما أجابها في كل مرة عن سؤالها الوجودي في الحياة وعلى مر العصور: «من أنا ولماذا خلقت في الدنيا؟». وكانت الإجابة للنساء: «أنتم شقائق الرجال، تتشاركن معهم نفس الأهداف والهموم، وتعشن معهم بمساواة في قضايا معينة، وبتفاوت في قضايا أخرى تتناسب مع طبيعة كل جنس وتتفهمه».

لقـد أنـزل تلـك التعليـمات العليـم الخبـير، المـشرّع الـذي أنصـف المـرأة وأعطاهـا اعتبارهـا الـذي تسـتحقه، فهـو العـادل سـبحانه الـذي أجـرى عـلى لسـان نبيـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- وصـف القواريـر عـن النسـاء، واسـتوصى الرجـالَ بهـم خـيرًا، ليرفـع سـيف الظلـم عـن النسـاء بعـد عصـور ذاقـت فيهـا الأمرّيـن. فيـا سـعد مـن اهتـدت بالنـور الـذي نـزل، وطمأنـت نفسـها بـه.

الخاتمة

في الختام، الحمد لله الذي لا يُحمد أحدٌ سواه، الحمد لله الذي ما جرى قلمٌ لولاه، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد، وعلى آله، وصحبه ومن والاه، إنّه لمن سروري وبهجتي أن وفقني الله تعالى لأن أكتب هذا الكتاب، وسعيت لأن يكون كل ما ذكرته صحيح بعد الاستشارة والتوجيه بمن أثق بهم، ووضعتها بين أيديكم، وما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ، أو سهو، أو زلل، أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأعوذ بالله أن أكون جسرًا تعبرون عليه إلى الجنة، ويُلقى بي في جهنم، وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه. سائلة الله تعالى أن يتقبل منا خالص أعمالنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

الإهداء.. ٢

المقدمة... ٣

ملاحظات أود التركيز عليها.. ٤

كيف أختار زوج المستقبل.. ٦

تحرش مقبول!!... ١١

الرجل مهم في حياة المرأة... ١٢

اختيار زوجة المستقبل.. ١٣

معاناة النساء في ظل فقدان الحقوق الأساسية.. ١٧

تشويه منظومة الزواج.. ١٨

تجارة الشرف في عالم التواصل الاجتماعي... ٢٤

طاعة الزوج قيمة وليست عارًا.. ٢٧

أخطاء زوجية مدمرة!.. ٢٨

فن التعامل مع الزوج.. ٢٩

أصداء الفقد حين يختفي السند.............................. ٣٤

هل تزوجت لأتحول لخادمة في البيت؟........................ ٣٥

هل العدة قيد أم حماية؟.................................... ٤٠

الانفصال العاطفي مقبرة الزواج.............................. ٤١

تصحر عاطفي... ٤٣

ثلاثة أسئلة معاصرة لكل مقبلة على الزواج................... ٤٦

تعدد الزوجات: ظلم أم عدل؟................................ ٤٧

هل ضاعت الرجولة والنخوة في عصر الفتن؟.................. ٥٤

عدل أم مساواة؟.. ٥٦

المطلقة حقائق مؤلمة!....................................... ٦٤

الفطرة والحرية نحو حياة متوازنة............................. ٦٨

تغريب المرأة!... ٦٩

لا تحزن على من لم يتغير.................................... ٧٩

حقيقة حقوق المرأة.. ٨٠

عمل المرأة بين واجباتها وطموحاتها.................................. ٨٦

تبهيم الجسد في تسليع المرأة!.. ٩١

النسوية فكرة غير بريئة!.. ٩٧

موضة أسلمة النسوية.. ١٠٥

النسوية ببساطة!.. ١٠٩

جيلٌ تحت القصف الإلكتروني!....................................... ١١١

الجمال وعمليات التجميل.. ١١٤

هل سمعتم عن أرامل الإنترنت؟....................................... ١١٩

إدمان العصر عند الأطفال والمراهقين................................ ١٢٠

شتان بين أتباع الله وأتباع الشيطان!................................. ١٢٨

الكنز الضائع.. بين الحياء والخجل!................................... ١٢٩

الحرية تبدأ بالعفة لا بإظهار المفاتن................................. ١٣٤

التفاخر والمقارنات: داء القلوب...................................... ١٣٥

كيف أكون ابنة صالحة؟.. ١٤٢

الثراء السريع.. ١٤٧

مليار تحميل في عالم الفساد!.. ١٤٨

القدوة تبدأ منكِ!... ١٥٣

المرأة بنظر الفلاسفة... ١٥٧

كيف نحول المحنة إلى منحة؟.. ١٥٨

الزنا على مواقع التواصل الاجتماعي... ١٦٣

الأم البطل المجهول في حياة كل نجاح... ١٦٥

هل الحجاب فرض على المرأة؟ ولماذا؟... ١٦٩

حجابٌ في وجه الرفض!.. ١٧٣

أنا مسلمة دون إضافات حداثية... ١٧٤

نحن أولى بتمكين المرأة.. ١٧٥

هل المرأة إنسان أم حيوان؟.. ١٨٠

الأبعاد الاجتماعية للجندر ومخاطرها... ١٨١

المرأة الغربية: قدوة أم خديعة؟.......................... ١٨٨

كما تدين تدان.. ١٩١

السعادة في زمن المقارنات............................... ١٩٢

الشهرة سرطان يتغلغل في المجتمعات....................... ١٩٤

لماذا طوبى للغرباء؟.................................... ١٩٥

خداع الإيجابية: تبحث عن الحل في ظلام واقعها!............ ١٩٦

ضياع المعاني في ضوضاء الرقمية.......................... ١٩٨

قل لي من تصاحب.. أقل لك من أنت!...................... ١٩٩

ما الحكمة من المصائب؟................................. ١٩٩

ليس الذكر كالأنثى...................................... ٢٠١

بين الحرية والانحراف................................... ٢٠٢

لماذا تحتشم المرأة بينما يُترك الرجل؟..................... ٢٠٣

المرأة راعية ومربية في عالم التحديات..................... ٢٠٥

حماية خصوصيتنا في عالم متصل؟......................... ٢٠٦

بين تأليه الرجل وتأليه المرأة... ٢١١

ألم العقوق: بين التربية والابتلاء.. ٢١٣

النظريات النسوية... ٢١٨

الفاشينيستا: عار ثقافي أم طموح زائف؟... ٢١٩

عانس!... ٢٢٢

خيانة المجالس.. ٢٢٤

رحلة المرأة عبر الحضارات وانتزاع حقوقها من براثن الظلم.......................... ٢٢٥

المرأة كقيمة إنسانية مكرمة... ٢٢٨

نورة علي أردوغان:

خريجة علم الاجتماع من قسم الآداب في جامعة دمشق ، عملت في قطاع الإعلام منذ عام ٢٠١٢، وساهمت في تسليط الضوء على قضايا المرأة المسلمة في المجتمعات العربية والغربية، كاتبة و روائية وناشطة معنية بالشؤون المعاصرة التي تعايشها العائلة المسلمة عموما والمرأة خصوصا في العالم الجديد الذي فرضت معالمه وسائل التواصل الاجتماعي.